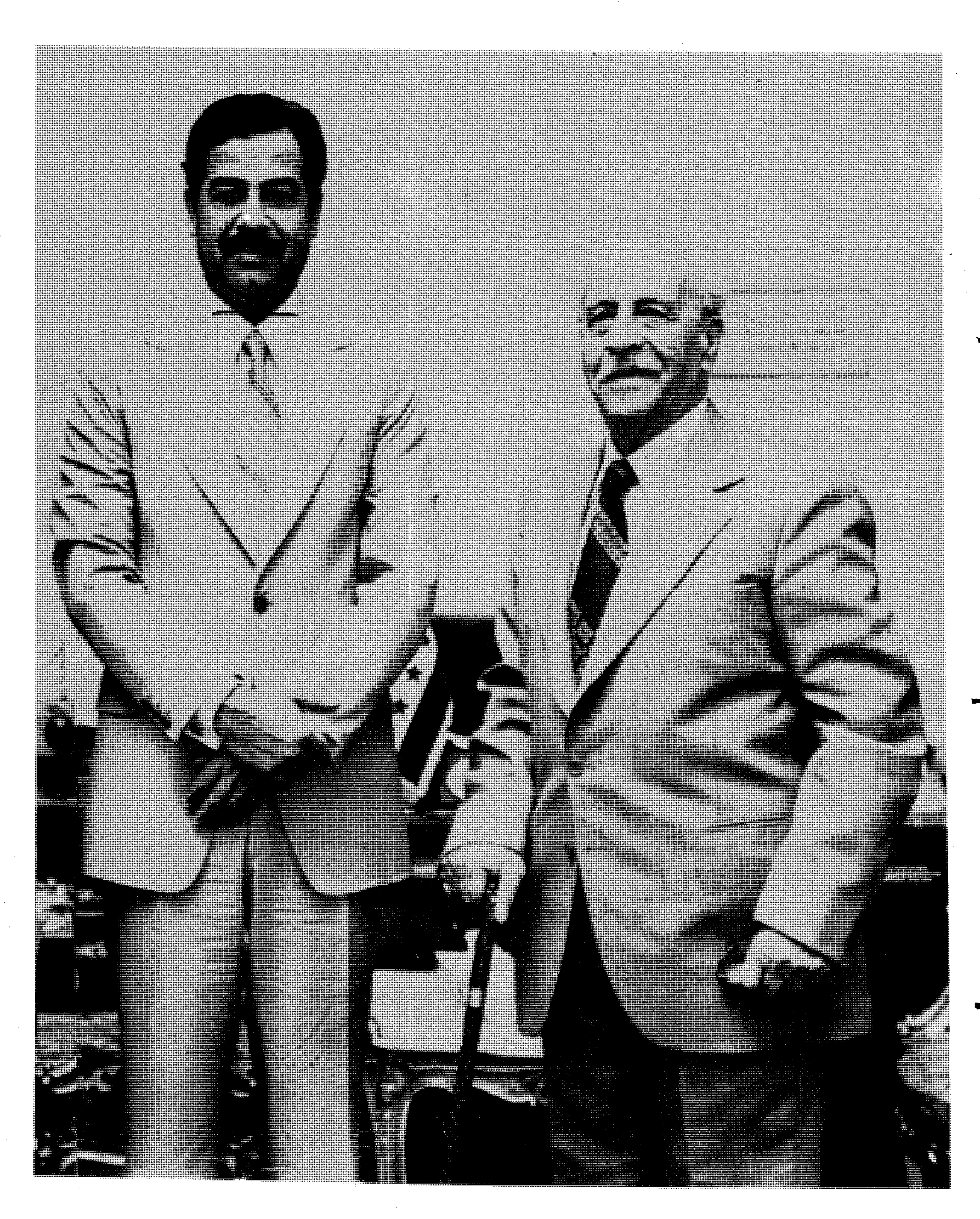
موسوعة الخط العربي

الجزء الاول والجزء الثاني

ناجي زين الدين المصرف

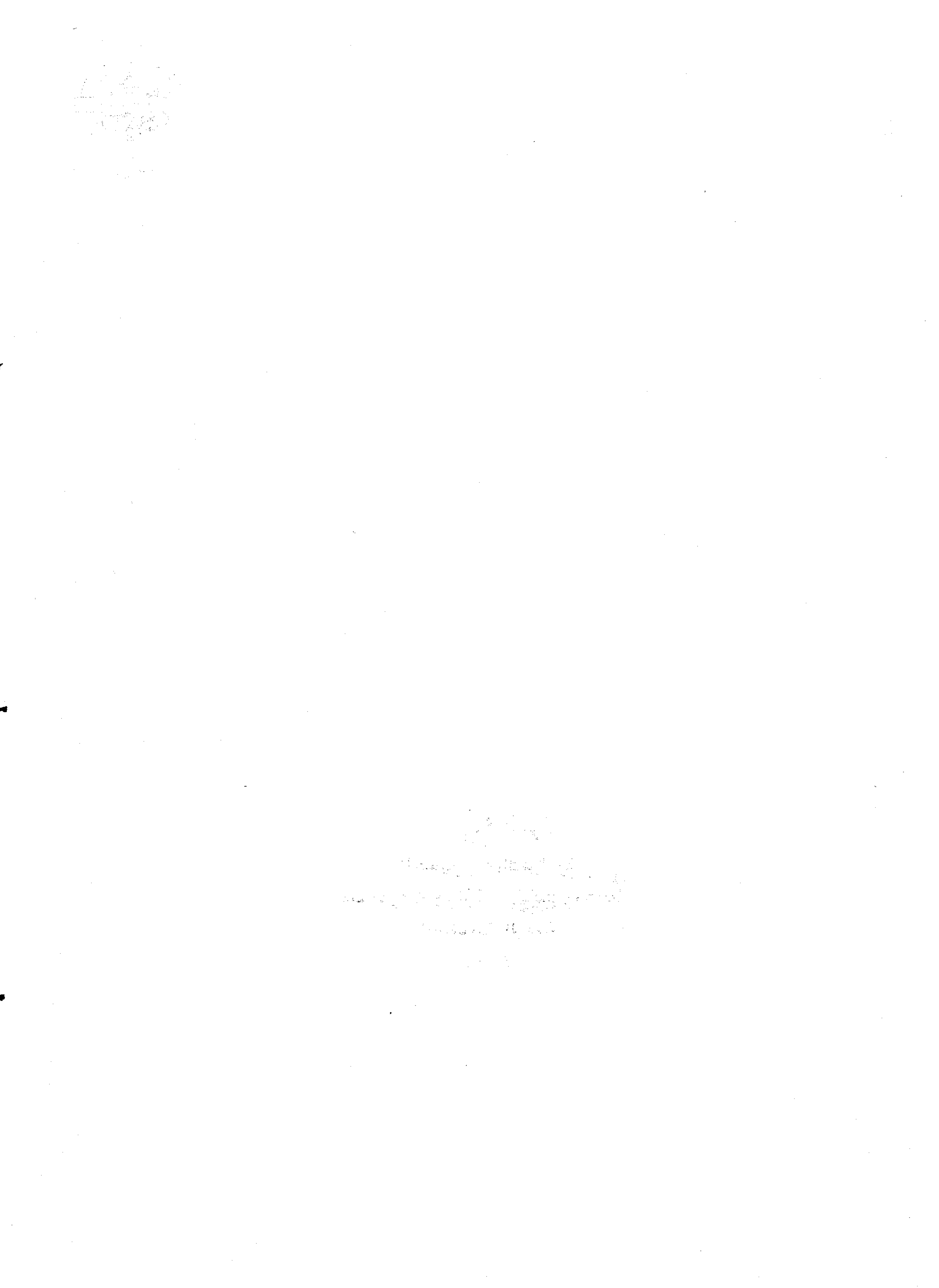


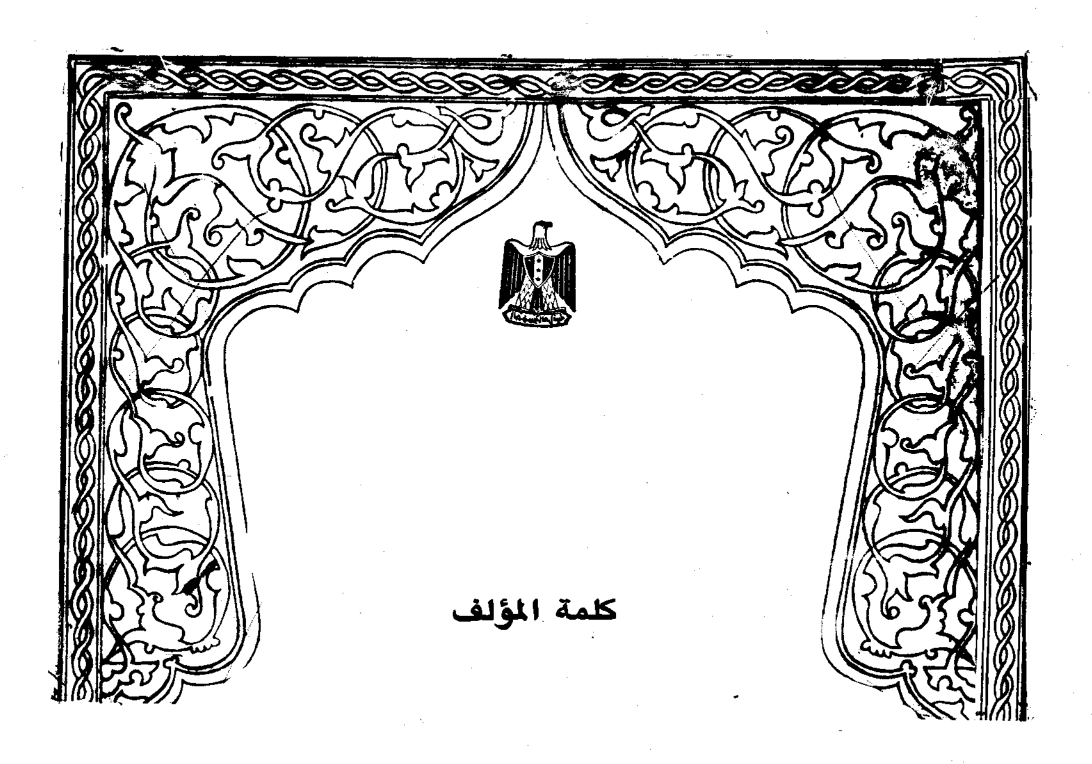
السيد الرئيس المناضل صدام حسين والى جانب سيادته المؤلف



١٩٨٤

الجمهورية العراقية
منشورات وزارة الثقافة والاعلام
السلسلة الفنية
(٥١)





كلمة المؤلف

استهل كلمتي بالحمد لولي النعم والصلاة والسلام على خاتم الانبياء محمد النبي الاتم . وبعد فقد وقع في ٨ شباط ١٩٨٠ وهو يوم الاحتفال بتفجير عروس الثورات التي اقتحم فيها البطل المغوار ولدنا الملازم وجدي ناجي ميدان الاستشهاد فخر صريعا مع رفاقه الاشاوس بين جلجلة الرصاص وهدير القنابل بباب وزارة الدفاع ببغداد . وهم باعمار الورود .

ومن هذا المنطلق جاشت القريحة فاشتد النزاع على اليراع فعكفت على جمع الكراريس التي ادخرتها لمثل هذا اليوم من المؤلف الاخير في موضوع موسوعي لما قبل التاريخ ، وهو كتاب ثالث لي يفوق في اخراجه مؤلفاتي السابقة التي تبنى طبعها (المجمع العلمي) و (وزارة الثقافة والاعلام العراقية) .

ومن هذا المنطلق دعاني الداعي لتقديم هذا الجهد الى رئيس دولتي وقائد امتي قبل ان يحين اوان رحيلي وقد ناهزت اعتاب الثمانينات ، والكلام في هذا الباب طويل كقطرة بالنسبة لليم وما الناس في الدنيا الا ثلاث ـ عالم ومتعلم وهمج ـ واينما ذهب الانسان مودعا . ودعه علمه ومعرفته لذا تعين علي ان اطلب مواجهة القائد الرئيس المناضل صدام حسين (رافع راية محو الامية الخفاقة) وتقديم كتابي بمجلداته وعرضها بلمحة خاطفة بين يديه وهو اولى واقدر من يقدر .. اهل المعرفة للوطن الحبيب ، وفوق كل ذي علم عليم .

المهندس ناجي زين الدين

رسالة اهتمام واعجاب مثيرة وثناء كتاب الخط العربي بقلم بيير برنارد مؤسس المكتبة العربية في باريس

LA BIBLIOTHÈQUE
ARABE

Monsieur le Secrétaire Général
de l'ACADEMIE DES SCIENCES D'IRAK
Bagdad
Irak

Paris, le 6 juillet 1973

Monsieur le Secrétaire Général,

M. Alani, à qui j'en parlais longuement, me dit que je pourrais, grâce à vous, obtenir l'achat de deux exemplaires de chacun des deux volumes intitulés Atlas de la calligraphie arabe de l'architecte Naji Zayn ad-Dine.
Je me suis déjà adressé à l'Ambassade d'Irak à Paris, mais sans résultat. Etant fondateur et éditeur de La Bibliothèque Arabe à Paris, cet ouvrage m'intéresse au plus haut point.
Ce que vous pourrez faire afin que je puisse lire ces deux livres me sera très précieux. Ils peuvent être envoyés à mon nom et facturés, je réglerai par l'intermédiaire de ma banque parisienne.
Je vous prie de trouver ici, Monsieur le Secrétaire Général, mes remerciements et l'expression de ma haute considération.

Pierre Bernard

السيد السكرتير العام للمجمع العلمي العراقي ببغداد

اخبرني السيد العاني ، بعد ان تحدثت اليه طويلا حول الموضوع ، بأني استطيع الحصول على نسختين من المجلد المعنون بـ (اطلس الخط العربي) للمهندس ناجي زين الدين .

ولقد سبق ان توجهت بالسؤال الى السفارة العراقية العربية في باريس ، ولكن لم اظفر بنتيجة .
ولكوني مؤسس وناشر المكتبة العربية في باريس ، فان هذا المطبوع يثير اهتمامي الى اقصى حد ، ان ما تتخذونه من اجراءات لكي يصل اليّ الكتابان سيكون موضع تقديري العظيم .

ارجو ياسيدي السكرتير العام ان تتقبلوا شكري وفائق احترامي .

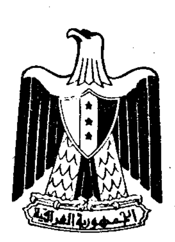
بيير برنارد

ترجمة الرسالة

باريس ١٩٧٣/٧/٦

بسم الله الرحمن الرحيم

REPUBLIC OF IRAQ
IRAQI ACADEMY
Baghdad



الجمهورية العراقية
المجمع العلمي العراقي
الوزيرية - بغداد

العدد ـــ

التاريخ / ٧ / ٣ ١٩٧

بدالة ٢٥٠٢٦ ـ ٢٥٠٢٩

Monsieur Pierre Bernard

La Bibliothèque
ARABE

الاستاذ بيير برنارد

المكتبة العربية في باريس

تحية طيبة وبعد ،

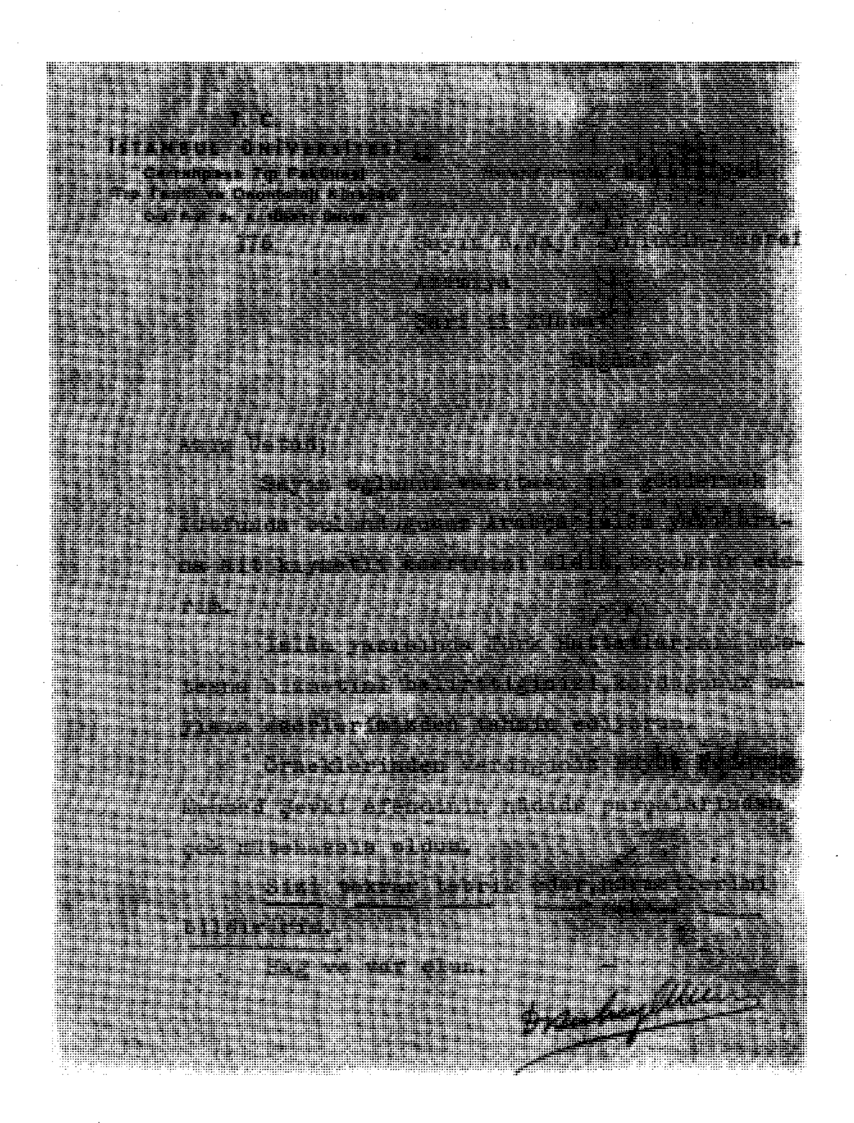
اشارة الى رسالتكم المؤرخة في ٦/ تموز/ ١٩٧٢
نعتذر عن عدم امكان تلبية الطلب الوارد في رسالتكم اعلاه
بسبب نفاد نسخ " مصور الخط العربي " . مع التقدير .

الدكتور فاضل الطائي
الامين العام

نسخة منه الى ـــ

المهندس السيد ناجي زين الدين
نرسل اليكم نسخة من الرسالة اعلاه المتضمنة طلب
نسختين من " مصور الخط العربي " مع التقدير .

فجر الراوي ٢٦/ ٧



T.C.

İSTANBUL ÜNİVERSİTESİ

Cerrahpaşa Tıp Fakültesi

Aziz Üstad;

Örneklerinden dedemiz

Mehmed Şevki Efendinin nadide parçalarından

çok müteahhassis oldum.

Sizi tekrar tebrik eder, hürmetlerimi

bildiririm.

Sağ ve var olun.

رسالة شكر وتبريك الى المؤلف من البروفسور الزكي أ . سهيل من استانبول

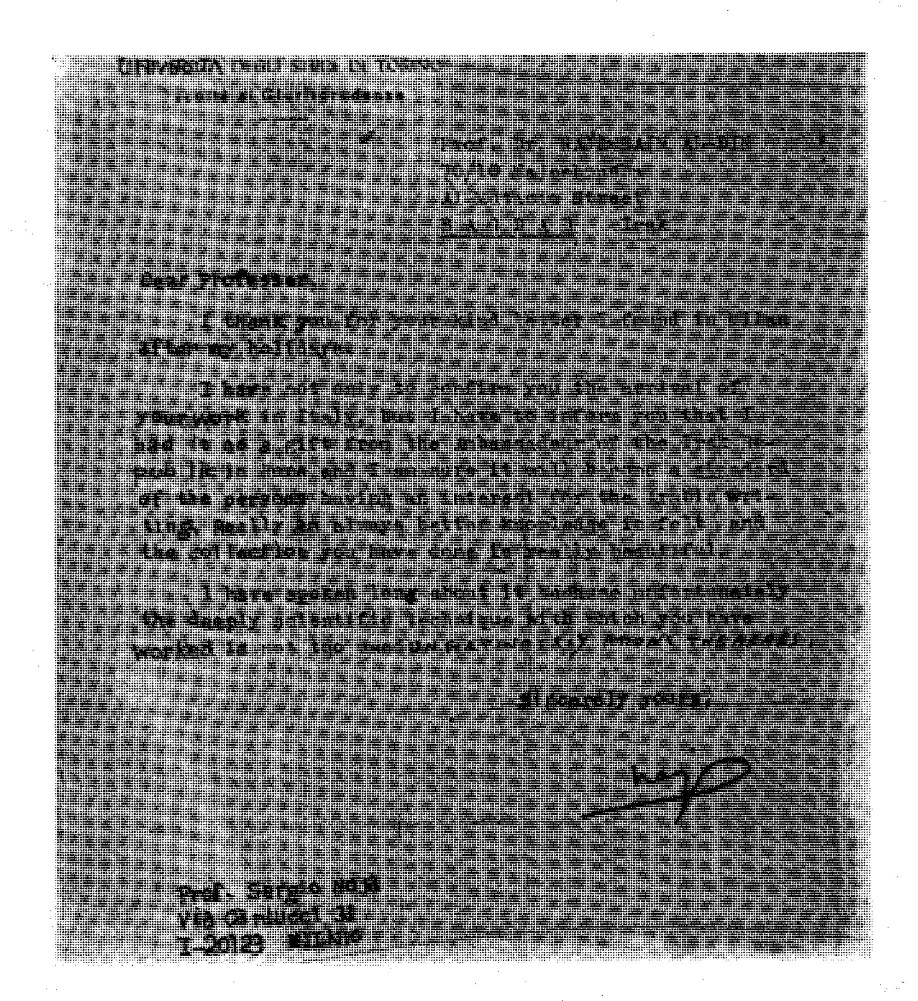
(نص الترجمة العربية)

الاستاذ العزيز

استلمت مؤلفكم القيم الذي تفضلتم بارساله بصحبة محروسكم فشكراً للطفكم ولقد غمرني احساس عميق لاطرائكم توغل المواطنين الاتراك في الخط الاسلامي الجميل لاسيما تلك القطع النادرة التي كانت بقلم جدي الاستاذ السيد محمد شوقي التي اثارت احساسي وشعوري لذا بادرت بتكرار شكري وامتناني واهديكم تبريكي ودمتم سالمين .

التوقيع

سهيل انور



Dear Professor,

Sincerely yours,

Prof. Sergio

I-20123

رسالة تقييم من البروفسور «نوجا» عميد جامعة تورينو

(ترجمة هذه الرسالة التقديرية الصادرة من البروفسور نوجا عميد الجامعة في روما)

دكلي ــ تورينو ــ بايطاليا

البروفسور . د . ناجي زين الدين ــ ٧٠/ ١٠ نجيب باشا شارع المعتصم بغداد ــ عراق

عزيزي البروفسور :

اشكركم على رسالتكم التي وجدتها في ميلانو بعد عطلتي . كما انني ليس فقط اود ان اعلمكم باستلامي مؤلفكم الذي اهداه لي سفير الجمهورية العراقية بايطاليا فاعتبرته بمثابة مرجع رفيع ومصدر ثمين لكل من له الرغبة في فن الخط العربي . وانه يعتبر دائماً شحنة معلومات قيمة . علماً بان المجاميع التي يحتويها جهد رائع حقاً .

انني قد اطنبت في حديثي عن جهدكم المنقطع النظير بل ولم يتطرق لمثله اي عربي آخر .الخ .. اتمنى ان اسمع عن اخباركم في هذا الميدان المبجل في الحضارة وان القاك .

المخلص

التوقيع

....

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الحمد والشكر وصلى الله على محمد وآله وصحبه الطيبين

حضرة أستاذنا العم ابو هلال الحاج ناجي زين الدين حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحية عاطرة وسلام جميل ❁ وبعد فتجدون طي كتابي هذا لوحة خطية مشتملة على بعض الاحاديث النبوية الكريمة والآيات المقدسة التي أطمع ان تنال رضاكم وتحوز على اعجابكم ❁ وحسبي ذلك وقد تركت باسفلها فراغين ❁ ليكتب باولها الشيخ محمد صالح الموصلي وبالفراغ الثاني لتتكرموا مشكورين بكتابة شهادة للاجازة التي سيكتبها ابو عبد القدوس وترجعوها الينا وتحسنون الينا بذلك ايما احسان ❁

هاشم محمد الموسوي

مصلحة توزيع المنتجات النفطيه
فرع البصرة
شعبة المؤسسات

REFRIGERATION AND AIR-CONDITIONING ENGINEERS



311-C/2 BEHIND SINGER
TARIQ ROAD, P.E.C.H.S.
KARACHI-29

DATED ....

Phone : 435970

بسم الله الرحمٰن الرحيم

من نواز احمد ملك صاحب محل "يونائتد" للمكيفات والثلاجات بكراتشي ،

الى حضرة المكرم سعادة القنصل العراقي الموقر السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فأرجو الله أن تكونوا بخير . ولعلّكم تذكرون انني سبق أن أرسلت الى سيادتكم بطاقة أهنئكم فيها بمناسبة العيد المبارك واستفسرت سيادتكم فيها عن عنوان والدكم الكريم في العراق . فكنت استلمت من سيادتكم ردّاً دون العنوان . وقد عرفت اليوم من سعادة القنصل السعودي زيد عبد الله الخيال أن والدكم الكريم ناجي زين الدين المصرف حفظه الله قد وصل مدينة كراتشي فلا تسأل عن مدى سروري . وأحبّ انا وبعض أصدقائي مقابلة سيادته والسلام عليه وذالك بمناسبة التحدث وجمع بعض المعلومات حول خط العربي والى اللقاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

منتظر ردكم بفارغ الصبر
نواز احمد ملك
(نواز احمد ملك)

تحريراً في
٦/٣/١٣٩٩هـ

٢٩ صفر ١٣٩٥

الموصل

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأستاذ ناجي زين الدين المصرف المحترم

تحية واحتراما

سرني جداً ما قرأته من نصيحة

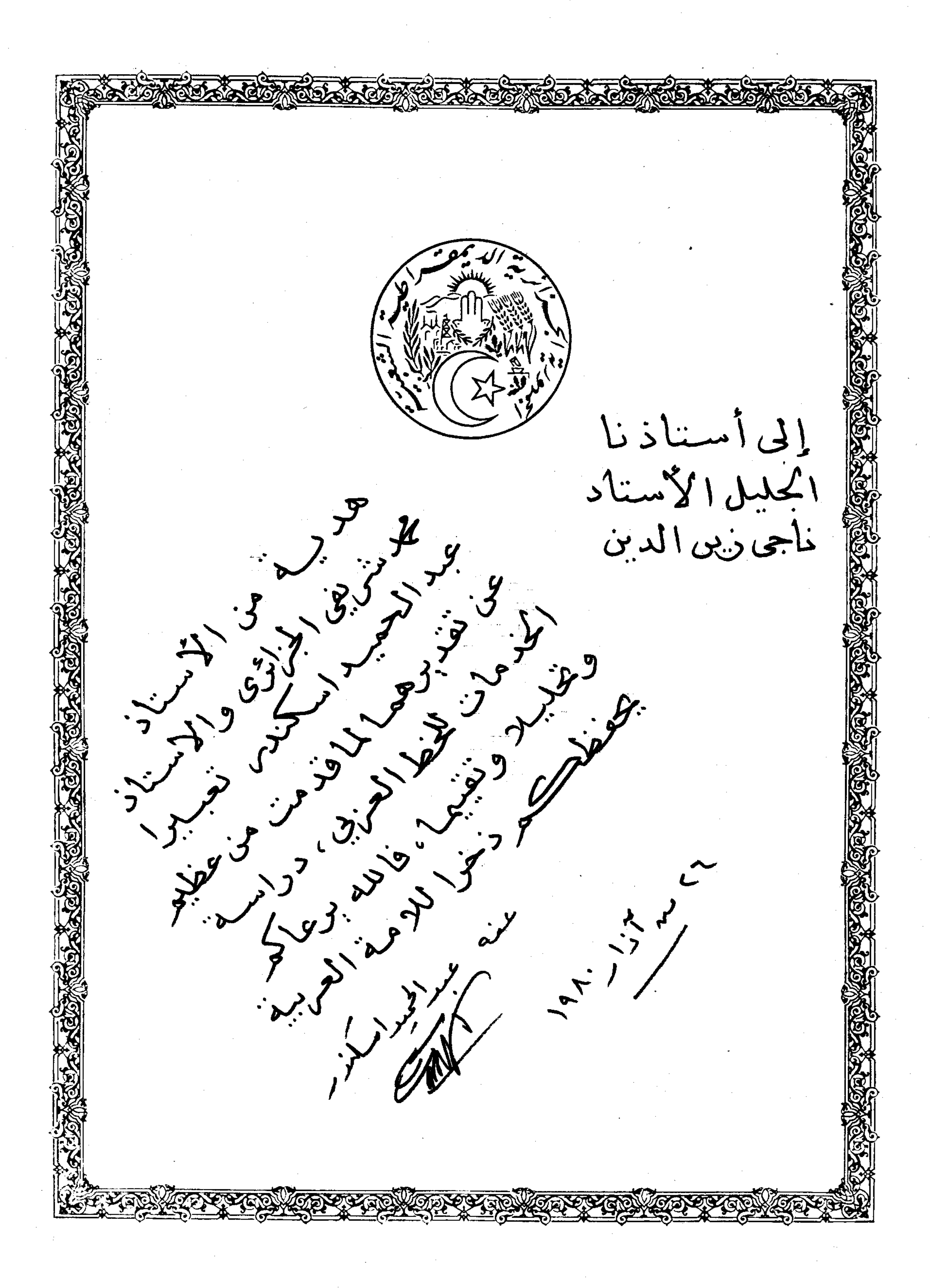
حول خط الرقعة وسأأخذ بتنفيذها . وأشكر لكم تعازيكم

كما أشكر لكم رأيكم الصائب حول لوحتي في معرض الخط

وأخيراً كلامكم المشجع فضل كبير في هذا التقدم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ابنكم : أحمد الحسيني « محافظة نينوى / باب الجديد / الاعدادية الغربية



إلى أستاذنا
الجليل الأستاذ
ناجي زين الدين

هدية من الأستاذ
محمد شريفي الجزائري والأستاذ
عبد الحميد اسكندر تعبيرا
عن تقديرهما لما قدمت من عظيم
الخدمات للخط العربي، دراسة
وتحليلا وتقييما، فالله يرعاكم
ويحفظكم ذخرا للأمة العربية

٢٦ من آذار ١٩٨٠

عنه
عبد الحميد اسكندر

توقير وتقدير بقلم شيخ الخطاطين حامد الآمدي

الترجمة

إن ما أهديتموه إلى دنيا الإسلام في رحاب الخط من النفائس القيمة مما يفوق التقدير والتوقير قد جعل اسمكم المبجل مخلداً حياً في القلوب عصراً بعد عصر مع الاستحسان والتبريكات ليكون سعيكم مشكوراً... آمين.



يازي صنعتی ساحه سنده اسلام دنیاسنه تقدیر و توقیرك فوقنده اویله قیمتلی اثرلر اهدا ایلدیکز که نام مبجلکز عصراً بعد عصر قلبلرده یاشایه جقدر، تحسین و تبریکلرمله سعیکز مشکور اولسون آمین.



صورة المؤلف ناجي زين الدين والخطاط حامد الآمدي في استانبول

من قصيدة للشاعر امين نخلة



بأحلى خطوط الوشي ما خطّ حامدُ … وتفديه أمٌّ للربيع ووالدُ
أحاول بالتشبيه وصف سطوره … وإن أعجز التشبيه ما أنا ناشدُ
فكالجيش، هذا صفّه غير ملتوٍ … وكالغيد هذا سربه المتواردُ
له مرك؛ ليس اثنان في العصر إنما … أخو العبقريات المراقم واحدُ
إذا خطّ شعراً جوّد الشعر خطّه … كأن عليه أن تجود القصائدُ
وما ذاك صوغ اللفظ لكن روعةً … لها من صوغ الخط لمحٌ يشاهدُ
أحامدُ تلك الضاد، هل لحروفها … حلا لعيون أثمد ومراود؟
فسل قومك الترك الذين تغيّروا … عن الضاد: هل قد يدرك الفقد فاقد
هو الحلى جنب الحلي دون سطورها … فيا أحرف اللاتين: أين القلائد؟؟
إذا ألفات الضاد لاحت قدودها … بدا من خدود الغيد قالٍ وحاسدُ
ومن نقط التاءات غمزٌ محبّبٌ … وفي «العين» غنج فهي غيداء ناهدُ
ولله كم في السين روح لمقلةٍ … لها من تعاريج، هناك، وسائدُ
لخطك بات الحبر كالتبر غالياً … وأطنب دلال وفصّل شاهدُ
وفي السيج اللماح قام معيّرٌ … يقول: إلى أين الحلى، والفرائد!

MUNICIPIO DI REGGIO NELL'EMILIA

DIREZIONE CIVICI MUSEI E GALLERIE

M. l'architect
Nagi Zain al Din
Baghdad

[illegible]

[illegible]

Giancarlo Ambrosetti



ARABIC AND MIDDLE EASTERN STUDIES

Mounir R. Sa'Adah, Consultant

دراسات اللغة العربية والشرق الأدنى

المدير: منير سعاده

في ١٥ تموز سنة ١٩٧٧

789 Orange St.
New Haven, Conn 06511
U.S.A.

سيدي الفاضل

تحية وإكرام. انا من المعجبين والشاكرين لفضلكم في تاليف كتاب مصور الخط العربي ولما تبذلون من الجهد في المحافظة على هذا التراث المجيد. وفقكم الله وباركم في هذا العمل الكريم.

انا يا سيّدي في وسط دراسة تطوّر كتابة اسم الجلالة عند الخطّاطين العرب وخصوصًا اود ان اعلم متى بدأوا في كتابة اسم الجلالة (بالهاء المخطوفة). أيضًا احاول في دراستي ان اكشف بعض التفاعلات بين الخطوط البيزنطية واللاتينية والخطوط العربية.

اكون لكم من الشاكرين لأي معلومات او مراجع بهذه الخصوص.

المخلص لكم ولتراثنا العربي

منير سعاده

الجمهورية العراقية
وزارة الخارجية



الدائرة
الرقم ا ف / ١ / ع / ٢ / ٦٦٦ / ٤١٨٩٠
التاريخ ٢٥ / ١٢ / ١٩٧٩

الاستاذ ناجي زين الدين المحترم

تحية طيبة

ستؤلف الوزارة لجنة استشارية للاشراف على زخرفة قاعات بناية الوزارة الجديدة بالنقوش والريازة العربية والاسلامية .

وقد تم اختياركم لعضوية اللجنة .. مع التقدير .

عن وزير الخارجية
طارق حمد عبد الرزاق

ملاحظة : عند الاجابة يرجى الاشارة الى رقم الكتاب كاملا .

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية العراقية

وزارة التربيـــة

المديرية العامة للمناهج والوسائل التعليمية

مديرية المناهج والكتب

العدد / ١٤٦١

التاريخ ٢٣/ ٢/ ١٩٧٨ ٠

امـــر وزاري

الموضوع ـ تشكيل لجنـــة

تقرر تشكيل لجنة من الذوات المدرجة اسماؤهم وعناوين وظائفهم في ادناه بوضع مفردات للخط العربي المقرر تدريسه في معاهد ودور المعلمين ومن ثم وضع كتيب لهذا الموضوع ٠

على ان تنجز اللجنة عملها خلال مدة اربعة شهور٠

ويتصرف لهم الاجور ـ حسب تعليمات وزارة المالية /رقم ٤ لسنة ١٩٦٩ ٠

الاسمـــاء٠

١ـ الدكتور سلمان ابراهيم عيسى / استاذ تاريخ الفن ـ اكاديمية الفنون الجميلة / رئيسا

٢ـ السيد ناجي زين الدين المصرف ـ مهندس متقاعـــد عضوا

٣ـ " صادق علي جمعـــة ـ مدرس معهد الفنون الجميلـــة عضوا

٤ـ " مهدي محمد صالح ـ رئيس ملاحظين في مديرية المساحة العامة "

٥ـ " يحيى سلوم محمد ـ مشرف وسائل ـ مديرية الوسائل التعليمية "

٦ـ " محمود شكر محمود ـ مديرية المناهج والكتب ـ مقررا ٠

الدكتور عبد الجبار توفيـــق

و٠ وزير التربيـــة

نسخة منه الى ـ

المكتب الخاص ـ ليتفضل السيد الوزيـــر بالاطلاع ـ مـــع التقديـــر٠

مكتب السيد الوكيل ـ " " الوكيل "

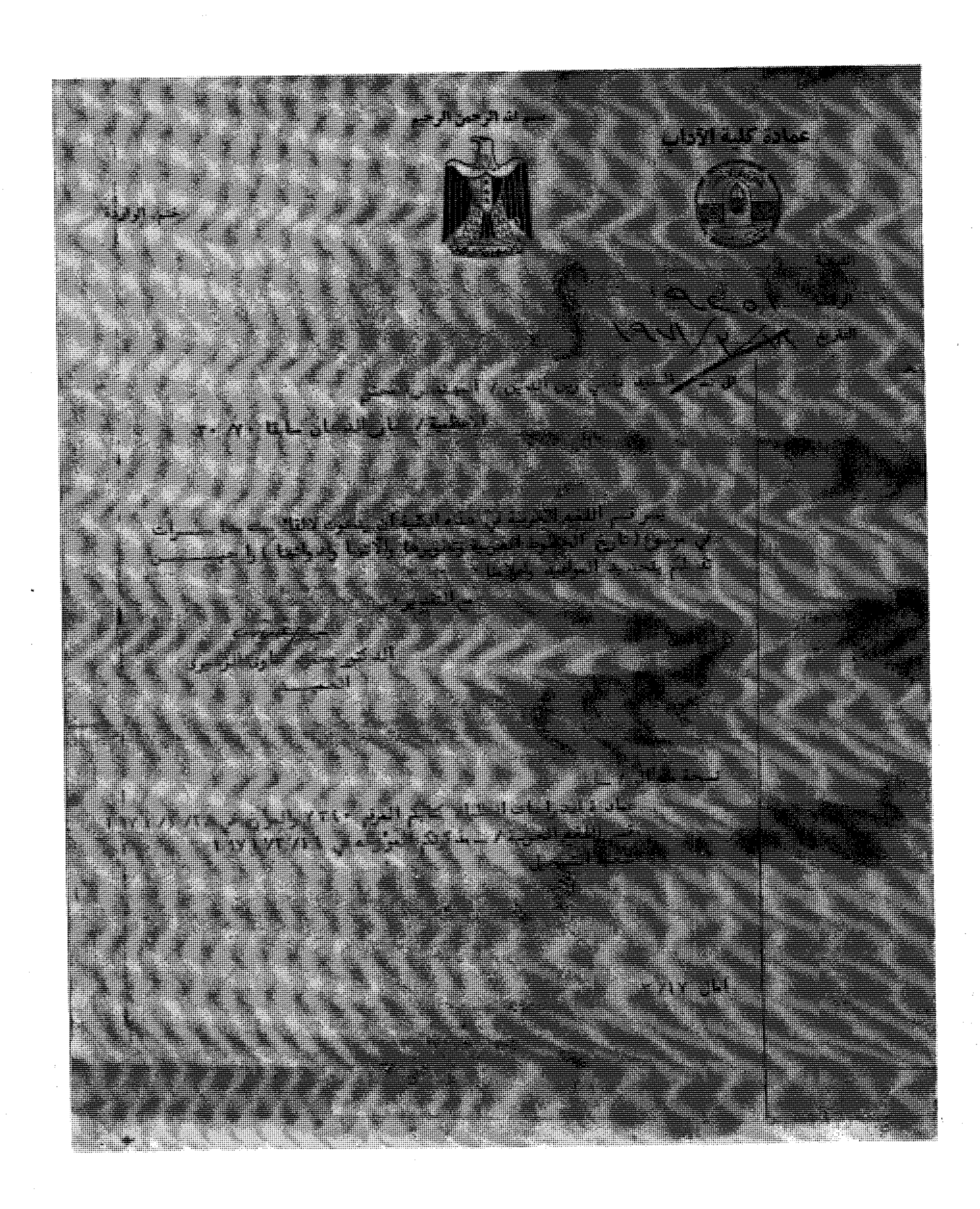
وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي ـ مديرية المساحة العامة

" المالية ـ مديرية الميزانية العامة

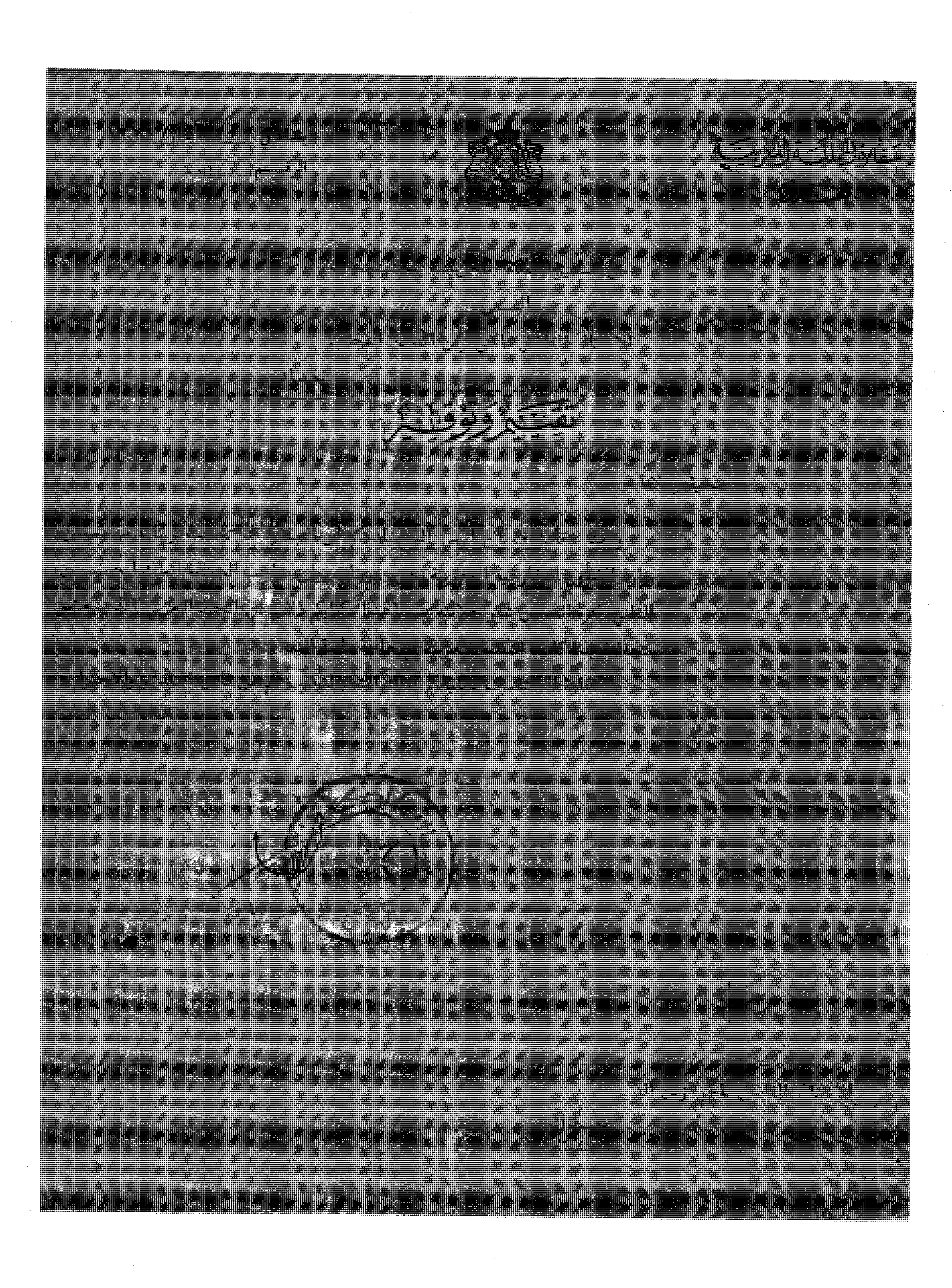
جامعة بغداد ـ اكاديميـــة الفنون الجميلة

المديرية العامة للتعليم الثانـــوي ـ مديرية النشاط ـ اشارة لمذكرتكم المرقمة ١٨١٧ في ١٩٧٨/١/٩

يتبع رجاء٠


بسم الله الرحمن الرحيم

عمادة كلية الآداب



المقدمة

تجتاز الامة العربية اليوم مرحلة تقدمية في عصر الالكترون والذرة اللامرئية بالعين المجردة بل حتى تقاس بتقدير الاثر ، عصر الفضاء وثورة الاختراعات التكنولوجية . ومن هذا المنطلق للغور في متاهات ما لا يعيه ما قبل التأريخ يحسن بنا البدء بظهور الانسان على وجه الكرة الارضية والبحث في الاشياء التي ضاعت جذورها الموغلة في أعماق الدهور لاوائل الاشياء التي مرت بفجر البشرية منذ عصور الانجمادات التي لم تؤرخ سنيها ، لما قبل «الباليولثية» و «النيوليثية» حتى باتت الكهوف مسكنا للانسان المتوحش وسجلا لاحداثه فنقش على جدرانها ما وصل الينا من صور عجائب الحيوانات ، كما عثر على غرائب المصنوعات التي صنعها الانسان من المواد البدائية لادراك حاجاته في مختلف اصقاع الشرق والغرب وجنوب البحر المتوسط حتى كان العصر الذي تغير فيه المناخ الانجمادي في اوروبة وشمالي افريقية بعدما انحسرت الثلوج ، فكان آنئذ نقطة تحول في رسوم الكهوف كما وصل الينا من «انسكلوبيديا لاروس» التي تحتوي على اقدم مظاهر الحضارة من بواكير سحرية .

فاذا اضفنا هذه الاحداث الى التطورات الزمنية التي تراءت لنا في تقدم البشرية ، وجدنا انفسنا في خضم يستحيل على العقل البشري خوضه ، ومن هنا تراءى لنا ان من الافضل الاخذ «الببليوغرافيا» التي تنطلق منها الدراسات الثقافية باعتبارها وسيلة للتدوين والنقل للمعرفة لعلم تطور الكتابات المستندة الى وثائق المكتشفات الحديثة في القرن العشرين منذ اقدم العصور .

ولما كان لكل امة لغتها وكتابتها وتراثها وهي جزء من حضارتها الناطقة في تاريخها الذي دونته منذ نشوء واختراع تلك الكتابة التخطيطية «الخربشية» الاولى التي توصل الانسان القديم الى تسجيل احداثه بها على صخور الكهوف التي لا زالت غير محللة في ضرائب السند في الشرق وعلى الرسوم والصور المعبرة في اوربة ، في فرنسا ، في انكلترا واسبانيا وجنوبي البحر المتوسط ، حتى الهند والصين والافغان ..

كانت بداية السومريين بخطهم المسماري الذي اخترعوه على الطين المعجون وبالقلم المثلث برموز تشبه المسامير وهي الاصل للرسوم التصويرية لاسماء الاشياء، وكذلك كانت الهيروغليفية والسينائية رموزا صورية شبه حروف.

والسومريون هم الذين استمروا في تطوير ذلك الخط الذي انتشر واستمر استعماله لدى الشعوب السامية «الاكديين والآشوريين والعموريين (البدو) والبابليين» ولكنهم لم يتوصلوا لغير الشكل «المقطعي» اي غير الحرفي ولو ارادوا ان يكتبوا بحروف ابجدية لفعلوا ولكنهم ابو الانحراف عن طريقتهم خشية مفارقة تراثهم الفخم الذي توارثوه عبر الاجيال وانما ابقوه على هيأته المقطعية حتى ظهور الكتابة الابجدية السامية الجنوبية المطورة.

وقحف راس شمرا الذي عثر عليه المنقبون في «اوغاريت» هذا القحف الذي وجدانه مكتوب بمسمارية ولكنها بكامل الحروف الابجدية لعرف من الالف الى الياء وهي التي نشرناها هنا في كتابنا وقد تضاربت آراء المستشرقين في نسبتها وتعددت النظريات في التأكيد من اصلها الحقيقي.

واما المكتشفون فقد ارتأوا تفضيل تركها باسم الموقع والموطن الذي عثر فيه عليها في «راس شمرا» التي هي ارض بني كنعان في سوريا وقد ذكرت المصادر التأريخية ان لغة ـ الاوغاريتين ـ الفينيقين الذين اطلق عليهم اليونان هذه التسمية كانت من اللغات السامية العربية وهي تشبه اللهجة السورية العامية كسائر اللغات السامية مثل الاكدية والعمورية اللتين كانتا ضمن الساميات القديمة المشابهة للعربية المعروفة لدى علماء الساميات الفينيقيين. منذ الهجرات الاولى من جنوب الجزيرة العربية التي يؤرخها علماء التأريخ في الالف الرابع ق.م.

اما الابجدية السينائية الصورية (وهي التي ذكر العالم د. ديرنجر في احتمال وجود قرابة بينها وبين السامية الجنوبية المعنية) فقد تضاربت اقوال الباحثين القدماء في تأريخ الكتابة المعينية (المسند) والفينيقية وايهما اسبق في الوجود؟ فرجحت الاولى على الثانية وان المسند الحميري المنحدر من المعيني قد تطور تطورا مستقلا وقدموا رسم صور حروف المسند الابجدية في جداول الخطوط بعد السينائية مباشرة متقدمة على الفينيقية في القدم ومنهم من جعلها بعد الفينيقية. اذ كان من المقطوع به تقريبا ان الاصل هي الفينيقية، عند العالم «موسكاتي» واختلف العلماء الآخرون «اولبرايت» و «فان براندن» و «د. ديرنجر» في ذلك الراي، وقد حدث هذه الاختلافات بالعلماء الى معالجة اهميتها على انفراد وسيرها القارىء الكريم في فصول هذا الكتاب.

وفي الربع الاول من هذا القرن الحالي لم يكن لدى الباحثين من المعلومات الاصلية مدونات مركزة عن الابجديات السامية سوى كتابة «حجر ميشن» المكتشف في عام ١٨٦٨م ثم اكتشف العالم «ب. مونته» في عام ١٩٢٣ كتابات «الملك احيرام» في جبل «ببيلوس» عاصمة فينيقيا. اما العالم «د. ديرنجر» فانه يقول «ان اهل اختراع

الابجدية قد تأثروا بالهيروغليفية المصرية» ثم يتراجع قائلا : ولكن مـا يثير العجب هو انعدام وضوح هذا التأثير او الظن غير المؤكد الى اقصى الحدود لاثبات ذلك . اي ان ذلك وهم وتخمين ، سوف تنكشف على ايدي ذوي الحظ السعيد من الرجال الافذاذ من علماء التنقيب . لذلك نقول : ان حاجتنا الى عشرات من السنين للتنقيب لعل الحظسيسعدنافيظهر الحقيقة للتاريخ ، ويثبت بسلسلة انحدار الالفباء العربية التأريخ الصحيح غير الاسطوري حتى مجيء العصر الاسلامي بشكل صحيح على ضوء الحقائق التنقيبية المحققة التي تتبعها علماء الاركيولوجيا كمعلم مضبوط ويزداد هذا التأريخ وضوحا باستخراج آثار اكثر كثيرا مما كشفوه لنا وقد يكون ناقصا لبعض ما ذهب اليه بعض المستشرقين .

اننا نعتقد انه ليس هنالك امة من الامم تناولت التأليف في الخط العربي ونشوئه وتحسين هندسته وتجميله مثل الامة العربية ، من حيث كونه فنا مرتبطا بالعقيدة الاسلامية اولا ، اذ جعل الدين الاسلامي من الخط وتجويده مثوبة واجراً وتعلما كما جاء في قول النبي عليه السلام «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وهذا ما جعل من تجويد الخط علما لكتابة المصاحف ونسخها للمسلمين في جميع المناطق التي امتد اليها الاسلام ، والقرآن كلام الله وقانون الدين ومن ذلك كان الاهتمام بتحسين الخط لكتابة المصاحف منذ فجر الاسلام فالعهد الاموي حتى العصر العباسي ، وبرز خلال ذلك الاعلام العماليق من المجودين الذين جعلوا منه خطا منقوطا وموزونا مهندما تحلت أوضاعه بالتزويق وازدهرت بالتذهيب فكونت هذا الرصيد الهائل من المخطوطات العلمية والريازات على واجهات المساجد والعمائر والقباب والمنائر التي لا استطيع تسمياتها ولا إحصاءها ذلك لسعتها في هذا العالم .

ان المصاحف التي كان الفنان المسلم يخطها بتلك العناية العقائدية الفائقة كانت فنا من اجل الفنون الاسلامية العربية التي يصمنا المستشرقون من اجلها بأننا مكثرون من التبجح بها والمباهاة بامجادها ، في حين ان الخط العربي على انواعه صار القاسم المشترك الاعظم لكل الفنون الزخرفية ، بل صارت المخطوطات المزوقة يفوق ثمنها ثمن تلك اللوحات المرسومة في عصر النهضة الاوربية لمشاهير وكبار الفنانين الغربيين . ولكن هناك حقيقة واقعية نصطدم بها بحكم الغفلة التي تعيشها جمهرة من ادعياء العلم والمؤلفين في تأريخ الخط العربي وهم الذين يجترون النظريات والاقوال البالية من المصادر العربية القديمة المكتوبة خلال الف عام مضى والتي اكتسحتها المكتشفات الحديثة الاوروبية في سيناء والاردن وفلسطين وسوريا والعراق والتي تشدنا وتجتذبنا بقوة لتصحيح تلك المجترات العربية من الاخطاء التي ذهب مؤلفوها للماضي معها وكرروها في اقوالهم ونشروها في مقالات لبعضهم على صفحات الصحف والمجلات وكأنهم ينهلون من منبع واحد اقول هذا وان كان ليس من طبيعتي اتخاذ طابع الناقد لتأريخ الامة ، حيث ان المؤلفات الحديثة التي صدرت في لندن وغيرها من بلاد المستشرقين والعلماء الجدد قد غيرت كل الاحكام التي بنيت قبل خمسين عاما في الخطوط السامية ومنها الخط العربي واضافت وازالت ظنوننا

لم تكن في الحسبان .

ان هناك مطبوعات تصور في العواصم الغربية تبحث في التنقيبات الاثارية ، والمعارض التي تقام حول التراث العربي والمخطوطات العربية وتكتب عما استوحاه الخط وطبعته وما جد من محاولات الفنانين الذين وجدوا في زخارف الفنانين العرب من مصادر والهامات غنية بالنسبة الى نوازعهم واتجاهاتهم التجريدية التي لمسوها في الواح المساجد ولوحات الفنانين من اهل الخط مثل الواح الاستاذ الدكتور غني العاني في باريس التي عرضها في معرض اللوفر ومعرض قصر باريس والتويكري عام ١٩٧٧م هذا المعرض الذي اقيم عند زيارتي لباريس وكانت قد رافقته ضجة اعلامية واسعة ودراسات مسهبة تناولت طبيعته ومميزاته واصوله ، ومثل ذلك يمكن ان يحدث ويشرح صلته بالفن العربي كفن تتمثل في زواياه عبقرية الانسان العربي يضم نخبة من النماذج العربية الاسلامية توسع ادراك جمالية هذا الفن في هذه المعارض التي ضمت نماذج بيوت وعمارات ومصوغات نحاسية وفخارية ومخطوطات ، وهي التي ما تزال تثير عند الفنانين المعاصرين نزوعا للاستلهام من خصائصها بالاضافة الى ما يتألف معها من رغبة في الآفاق من الواح الخط العربي التركيبي لمرونته مما اكسبه قدرة تشكيلية كبيرة في الرسم ذات ابعاد رمزية ابدع فيها الخط العربي ابداعا منقطع النظير في اية امة من الامم عبر عنها الفنان الافرنسي تعبيرات غير محدودة لمعاني الآيات القرآنية وعلى سبيل المثال قد ابتاع احد الاعيان الفرنسيين احد الالواح التي كانت بقلم الاستاذ غني الصالحي العراقي صاحب المعروضات بالرغم من امتناعه الشديد بسبب تعشقه لمعاني الآية «محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم» بمبلغ خيالي من المال .

وقد عرض في قاعات اخرى عدد من المنمنمات التي اعطى الفنان المسلم لها قيما تشكيلية ، ومؤلفات مخطوطة لابن سيناء وابن رشد والكندي والخوارزمي ومؤلفات العرب من القرون الاربعة الاولى بعد الهجرة منها لابن النديم والاشبيلي كهدية العارفين وكشف الظنون وهي من جماع تأريخ امتنا ومقومات شخصيتها التي لا يمكن ان يتجاهلها اي فرد في الدنيا من مؤلفات عربية في العلم من طب وجغرافية وفلك وتأريخ وتشريح وبعض آلات القياس ، ولم ينس المستشرقون المشرفون على ذلك المعرض ان يفردوا قاعة للاسلحة والعدد الحربية التي استخدمت ايام الفتح الاسلامي كالرماح والسيوف والدروع التي يمكن الاستدلال بها على كل ما هو عظيم من التراث العربي . والغاية من ذلك تعريف العرب المهاجرين والاجانب على السواء باعتناء الفرنسيين بالحضارة الاسلامية والعلاقة الطيبة بين الطرفين وهو بادرة صداقة مع الوطن العربي ، نرجو ان يكون دور امتنا مماثلا في اقامة امثال هذا المعرض لعرض الثروات الاصلية لما في ذلك من تجديد للحضارة وبعث شبابها ومشاهدة الاشياء التي ابتدعها الانسان العربي من اعماقه وخلجات نفسه عبر التأريخ ..

ان الفنانين الكرام من طلاب المعرفة قد علموا بنفاذ كتابي الاولين «مصور الخط وبدائع الخط» اللذين اعيد طبعهما مرارا عديدة وذلك بناء على الطلبات الخارجية من بلاد اجنبية مجاورة فضلا عن الاقطار الشقيقة . وقد حملني ذلك على جمع وتصنيف هذه الموسوعة التي اطرحها لعالم المطبوعات وقد بذلت لجمع مادتها من خزانة «طوب قابو» في اسطنبول ومن مكتبات باريس وأما الذي قد ناهز العقد الثامن من العمر ... دائبا على التأليف والبذل المستمر لما يفيد الامة والوطن والدولة الناهضة بالتعليم الالزامي لمحو الامية .

والله ولي التوفيق

المؤلف

العصر الباليوسين

اطلق علماء الجيولجيا على عصر ما قبل العصر الجليدي «باليوسين» Pliocin ليدل على العصر الذي كانت الارض مغمورة في مناطق دون اخرى[1] بالثلوج .

وقد تكون الجليد اربع مرات ، خلال عصر بالباليوسين[2] على سطح الكرة الارضية منذ بضعة ملايين من السنين . وقد استعان الجيولوجيون بالعلوم لتأريخ الادلة واستطاعوا ان يعرفوا ان العصر الجليدي الأخير «دسكنسن» قد إنتهى منذ حوالي ثمانية الاف عام ، اذ اخذت حيوانات العصر الجليدي التي ميزت هذه الحقبة تنقرض منذ ذلك الوقت ، وبلغ الجيولوجيون الرشد في علم الاركيولوجيا كمعلم مضبوط في معرفة التطورات البشرية ولذا استطاع علماء الآثار في غرب اوروبا ان يجمعوا من مصادر متعددة ما امكنهم من تدوين قصة مفصلة لحياة الانسان الذي عاش قبل اكتشاف الوثائق المكتوبة ، وقطع الباحثون اشواطا بعيدة وتكرر العثور على اكتشاف منذ عام ١٧١٤م على مقربة من لندن تفتحت له عيون العلماء على حقيقة وجود الانسان على سطح الكرة الارضية منذ مليون سنة على الارجح ، واثبتت ابحاث دراسات ما قبل التاريخ التي قام بها المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو ، بأن الانسان كان يصنع ادواته الحجرية وخلفها وراءه منذ مليون سنة وقد تكون الجليد اربع مرات وذاب اربع مرات خلال البلثوسين في نصف الكرة الشمالي . ويلوح ان معلومات الباحثين لا تكفي لوضع تأريخ محدد لا يقبل الشك ، حيث ان هذا البحث يستنزف المجلدات في الاماكن «الباليوليثية» فقط (٢٠٠,٠٠٠ و ـ ١٠٠,٠٠) سنة ق.م. وهو العصر الحجري القديم[3] في حين كان نصف الكرة الجنوبي تحت تأثير امطار غزيرة .

ان تلك المخلفات الاثرية التي عثر عليها ترينا الى اية درجة عالية من المهارة وصل الانسان اليها في ذلك العصر يعد ان مر بمراحل التطور ثم اختفى مع اثاره . وكان حدوث ذلك الانجماد العام لاسباب انخفاض قليل في درجة حرارة الشمس قبل اعتدال المناخ ، ومن الجائز ان الحضارة تقلصت بعد فترة تقدم ثم عادت الانجمادات بعد ذلك مراراً عديدة كما قلنا آنفا .

---

(١) انظر : انسكلوبيديا لاروز ـ الصورة في الصفحة السابقة

(٢) فرانك هيبن ، الحضارة القديمة في الدنيا الجديدة ، ١٩٦٢ . وانظر : انتصار الحضارة : هنري برسيد ١٩٣٨ .

(٣) اي العصر الذي يسبق مباشرة بداية البلسوسين او العصر الجليدي

ومن الجائز ان تلك العصور تخللتهـا هجـرات لاقـوام مجهـولة وتغيرات غريبة للمناخات . فقد دلت البحوث على ان صحراء افريقيا كانت منذ عشرات الالاف مـن السنين منطقة خصبة تتمتع بامطار غزيرة في الغـطاء الجليدي الشـمالي ثم اخـذت تتوقف عن الهطول ثم حدث الجفاف في الصحراء تدريجيا خلال الاف مـن السـنين فاختفت الاشجار فيها ، وربما كانت الحالة شاملة في احوال الجزيرة العـربية التي ادت الى الهجرات العربية كما حدثنا التأريخ .

ينبغي على رائد معرفة مبادىء العلوم ان ينظر في اجماع العلماء على ان الانسان الاول لم يقدر ان يخبر بكل ما جـرى تحـت الشـمس منذ خلق الكون وجـرت مياه الانهار ولم يتوصل الى معرفة كيف انقرضت الحيوانات الهائلة ولا استطاع مقاومة الطبيعة التي نازع القوي الضعيف فيها للبقاء في عصور ما قبل التأريخ .

ولم يكن ميسوراً لأي احد من الناس القدرة على اقامة اي بناء اذ لم يكن الانسان قـد عرف اسـتعمال اي شيء مـن الادوات الضرورية للحياة لانه لم يكن قـد عرف ممارستها فكان الانسان همجياً ، ولم يكن لديه القدرة على التحدث الطويل المنتظم ، ولا معرفة اشعال النار الا بعد مرور الاف العصور من الزمن .

ولقد مرت اجيال وعصور وقرون الى ان اخذ ذهن الانسان يتفتح ويستوحي عمـل ادواته البسـيطة اذا مـا ادخلنا في حسـابنا النتائج التي ترتبت على اختراع هـذه الادوات من الطين وطبخه على النار ليكون صلباً ونحت الصخور بحجر اصلب مـا يكون ليتخذ منه فأساً في تلك العصور ما بعد الجليدية ، ثم صيرورته «اي الانسـان» جامعاً للغذاء اول امره .

يجب ان نضع في اذهاننا ان ما وصلت اليه المعلومات لا يكفي لوضع تاريخ محـدد لا يحتمل الشك .

يحتمل أن الاهم من كل ذلك انه كانت هناك لغة ابسط ما تكون تحتوي على كلمات معدودات لجميع الاشياء العـادية التي احتاجـوا الى اسـتعمالها او فعلوهـا او اصطلحوها في حياتهم اليومية البدائية .

لقد عاش البشر عدة مئات من الاف السنين حياة اوضحت لنا ادواتهـم الحجـرية وبقايا هياكلهم العظمية التي عثر عليهـا في الطبقـات الجيولوجية على حـد اقـوال الباحثين في صورة لا تقبل الشك مدى الزمن الطـويل الذي مضى على الانسـان منذ ظهوره في الدنيا والذي كان يظن حتى وقت قريب ان التأريخ الانساني قصير نسـبياً قبل اكتشاف الاختراعات الكاربونية رقـم ١٤ التي اسـتطاعت تقـديراً يكاد يكون مؤكداً لاعمار (الرجل الباليولثي) وانه يقارن بالحيوان المفـكر [٤] لا فـرق بينه وبين انسان عصر البليوسيني في العصور الجليدية ، كما اثبتت ابحاث بعثة دراسـات مـا قبل التأريخ التي قام بها المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو في المرحلة الاولى التي كان

---

(٤) برستد : انتصار الحضارة ص ٢٠ ـ ٢٧

فيها الانسان يستعمل الادوات في العصر الذي يسبق (البلستونين) اي عصر الجليد الذي استمر ٦٠٠ الف سنة وربما ضعف هذا الوقت[٥] حيث كانت الطبقات الجليدية تزحف وتتراجع مرات عدة . ومن الجائز ان ذلك العصر كان عصر هجرات كثيرة وان العصر الجليدي انتهى في اوروبا وصار صالحا لاقامة الناس قبل ١٠,٠٠٠ سنة تقريبا . وقد عثر العلماء على اشياء حضارية في كثير من ارجاء اوروبا وآسيا وشمال افريقيا ، ولكن لا يعرف احد في اي مكان تمت جميع المراحل التي ساعدت على تكوين جميع هذه الاشياء التي صنعها الانسان كما نعرف الان انسانيته .

ان الآثار التي تدل على وجود استقرار سكاني يعتمد الرعي والزراعة في العصور الحجرية والبرونزية ، الجزيرة العربية ، تدل من جانب آخر على فجر الحضارة البشرية ، الذي اطل عليه العرب . والاشارة الى ذلك امر ضروري لتثبيت مدخل صحيح ، ومتابعة التطورات في المجتمع العربي بتشكيلاته الاولى ، فالامة العربية امة تأريخية في مراحل التأريخ .

مما ذكره الدكتور محمد عزة دروزه في تأريخ الجنس البشري قوله : ليس هناك من ينكر امكان كون سكان الجزيرة العربية قد عاشوا عيشة مدنية وسياسية واجتماعية منذ اقدم العصور التي عاش الجنس البشري حياة مماثلة في بعض الاقطار الاخرى . وبتعبير ادق منذ الزمن الذي تشير اليه الآثار المكتشفة في ارض الجزيرة وخارجها او الاخبار الواردة في كتب اليونان والرومان واسفار العهد القديم او نقوش بابل ومصر وآشور وأكد .

ولما تفتحت عيون العلماء خلال (١٧١٤ ـ ١٨٦٠م) على امور هذا الانسان الحجري الذي خلف وراءه تلك الادوات الحجرية عرفت (نتيجة التنقيبات الجيولوجية) اوائل الاشياء كما قدمنا وكما سنفصلها في الفصول اللاحقة في البحث عن المبتكرات العلمية التي استكشفت ان لا يوجد لاي كتابة «في عصر البليوسين والنيلويثي» .

هذا العصر سمي بالجليدي الاعظم تفرقه له عن عصور جليدية سابقة اقدم منه لم يكتشف الجيولوجيون والمناخيون حتى الان السبب الذي كون حالة الانجماد وتكون طبقات هائلة من الثلوج فوق سطح الارض اكثر مما كان عليه منذ الاف السنين تقدر مساحته بنحو ١٢ مليون ميل مربع بلغ امتداده الى امريكا الشمالية ، وفي اوروبا واسيا وصلت حوافي الجليد لانكلترا كما نراه مرسوما في الخارطة امتدادا جنوبا وشرقا وشمالا الى جبال اورال وجبال البرانس والالب والكربان والبلقان والقوفاز وسواحل الاناضول وايران وقمم الجبال المرتفعة في آسيا . واما نصف الكرة الجنوبي فان الثلاجات تركزت واعقبتها هجرات كثيرة الى اسكندينافيا واصبحت الكهوف سجلا لحالة الانسان في ذلك العصر ... وعلى العموم فان العصر الجليدي

---

(٥) انظر : كثائب ، رئيس الجمعنية الجيولوجية الامريكية

دام نحو مليون سنة بين زحف وتراجع مرات عديدة حسبما ذكر واتفق عليه الجيولوجيون . وان الثلوج غطت شمال افريقيا غرباً اذ كانت هي الفاصل الذي سبب سقوط الامطار الغزيرة في وسط وجنوب افريقيا والصحراء الكبرى ، كما ان النيل في ذلك العهد كان وسيعا .

وقد عرف العلماء الاثريون الكثير عن هذا العصر من حياة الانسان في عصور ما قبل التأريخ المكتوب من الاعمال التي اكتشفت في الاماكن الباليوليتية بعد ان مر بمراحل التطور الانساني وساعدته غريزته ان يشعر بجمال الحياة اكثر من ذي قبل وتقدم في انسانيته . ولكن عندما تغير المناخ اختفى الانسان الباليوليثي واختفت معه اشياؤه ثم تلاه (العصر النيوليثي) .

واقدم الاشياء التي كان قد وضعها الانسان باسم (الباليوليثية) هو سنان الحربة من قرون غزال الرنة وشص السمك وخياطة جلود النمر المقتولة لاتخاذها ملابس وتعلم الرسم ونحت الاشياء الصغيرة التي عثر عليها الاثريون ، صنعها اناس مبتدؤون محاولين الرسم التخطيطي ويظهر انها مصححة على يد استاذ ترينا المهارة التي وصل اليها ذلك الانسان على جدران الكهوف وهي تشبه الطريقة الحديثة .

وجاء العصر الحجري وكانت تنقص الانسان المعادن والسفن الشراعية واشياء هامة لكي يعيش حياة افضل . لم يتوصل علم التأريخ الى تحديد بداية فمثلا انتهى العصر النيوليثي في مصر والعراق قبل ان يحدث انتهاؤها في غربي اوروبا بحوالي (عشرين الف سنة) وعثر الانسان على دبوس من النحاس فوقف على ابواب عصر جديد هو عصر المعادن فارخه بحوالي ٥٠٠٠ عام قبل الميلاد على اقل تقدير وتبع ذلك عصر (النيوليثي) في اوروبا الذي خلف لنا مقابر من الحجر الهائل في اسبانيا والدانمارك وفرنسا وانكلترا . ولكن لم يكن لاية طريقة للكتابة وجود في كل اوربا .

يمكن تلخيص هذا المبدأ بالقاعدة الاساسية التي تقول بانه «لا يمكن ان يوجد شيء دون ان يكون له اسم» وقد بدأت ملحمة الخلق بالتأكيد على انه في البداية لم يكن يوجد شيء سوى الهيولي ، ولم يكن هناك شيء له اسم .

«عندما كانت السماوات من فوقنا بلا اسماء ولم يكن لاي شيء اسم ما .»

وما دام لم يكن ثمة شيء له اسم فانه لم يكن موجودا . ومما لاشك فيه ان هذا هو السبب الذي يبين لنا ما نقرأه في سفر التكوين من التوراة (الاصحاح الثاني) من ان الله تعالى استدعى الحيوانات بعد خلقه آدم لكي يعلمه اسماءها وبذلك يضفي عليها وجودها الفردي .

فالعبارة الأكدية التي تقول : «كل شيء يحمل أسما» تشير الى الشمول والعلم ، كما انها تعبر عن هذا الايمان بحد ذاته ، واذا اعتبرنا هذه العبارة نوعا من الاسلوب الفكري فانها تتماثل تماثلا شديداً مع نظرية شوبنهاور ، الفيلسوف الالماني ،

---

(٦) برستد ، انتصار الحضارة ص ٣٢ ، ٤٢ ، احمد فخري ، القاهرة

القائلة : «انه لا يمكن ان توجد العلة دون المعلول» وشارك المصريون البابليين في نظريتهم إذ اعتقدوا «ان اسم اي شيء يشاركه في طبيعته الاساسية» .

اقدم ما وعاه التاريخ لمعجزات الابداع لصور المرئيات

كان ظهور الزخرفة ونشأة نقوشاتها على الاشياء والجدران والتكوينات الاخرى منذ اقدم العصور في مختلف المهارات والقيم الجمالية مع بداية الانسانية .

كان الانسان معرضاً في العصر الاول لما قبل التأريخ لهجمات الحيوانات الضارية ولتقلبات الجو الهائلة التي اضطرت بعض القبائل تحت الكتل الثلجية التي اجتاحت اوروبا مثلا ان تهجر الوديان وتلجأ الى المغارات والكهوف طلبا للامن والدفء . ووسط هذه الحياة القاسية اخذ ذلك الانسان يرسم على جدران الكهوف صور المرئيات من حيوانات واشكال نساء عاريات يتجلى فيها الادراك اذا ما قيست بقدمها حيث يرجع تأريخها الى عشرة الاف عام قبل التأريخ .

وفي العصر الحجري الاول ، اخذت الجبال الثلجية تذوب وبحيرة قزوين والبحر الابيض المتوسط تنحسر ثلوجها فكانت تلك الكهوف سجلا لاحوال الانسان فاخذت تهاجر نحو الاراضي الخصبة واستقر الناس بعد ان كانوا لا يعيشون الا على الصيد واستئناس الحيوان وزرع الارض بالحب . فقد كان الانسان يخشى العواصف والرعود ، وكان يعتقد ان هذه القوى مسلطة عليه ارهاباً وانحصر تفكيره العقائدي في الاساطير والخرافات وكان يرسم الحيوانات المفترسة وهو يطاردها ليدل على جرأته وقوته ، ويصنع بمرور الزمن ونمو حواسه في ما يحيط به من اشياء ما ادرك جمالها ، واول ما استوحى من مشاهد الطبيعة وهي مصدر الهامه عناصر التزيين بالنقوش البدائية ليزين بها جسده ، واسلحته وما وعاه التأريخ هو الزخرفة السومرية والزخرفة المصرية ، فصنع السومريون الثياب من الكتان وزادوا في زخرفتها وعملوا الاساور والحلي ، وازدهر الفن بصورة موازية لحضاراتهم فكانت التطورات الناتجة عن ذلك في العمارة والاداب والعلوم وكل ما يتصل بذلك من فروع تابعة اخرى .. وركن الفنانون الاولون في وادي الرافدين (والاشوريون والكلدانيون) ٤٥٠٠ ـ ٨٠٠ ق.م ، الى تجسيد جمال الرجولة وخشونتها فبالغوا في نحت وابراز عضلات الرجال الاشداء فجعلوها ضخمة منتفخة ، واهتموا بحركات الخيل وعليها سروجها المزركشة اثناء القتال وكذا وثبات الاسود الكاسرة .

ولما كانت المحاجر غير كثيرة عمد معماريوها فحرقوا اللبن الذي صنعوه من الطمى فصار عندهم (الطوب) ولما جاء البابليون سجلوا على جدران معابدهم من وحي البيئة التكوينات الزخرفية الحيوانية التي ظلت من معجزات الابداع من تحويرات زخرت بها اثارهم من الكائنات المندرسة مما وصل الينا عبر الاجيال فكانت من بعدهم اسس هذا الفن العريق .

انتشار الخط المسماري ونشوء الارقام العددية (القديمة)

بعد ان اخترع السومريون الكتابة المسمارية وانتشر خطهم في موطنهم بلاد الرافدين انتقل الى اقطار عديدة من الشرق الادنى فاتخذه الحيثيون في الاناضول بشمالي سوريا والعيلاميون في شرقي العراق، ثم اقتبسه الميثانيون والحوريون والفرس والاخمينيون.

ثم اشتق من الخط المسماري الخط الاكدي والبابلي، والاشوري وهو بنفس الرسوم. واشتق من الاكدي الخط الحوري والحثي المذكوران في حدود الالف الثاني قبل الميلاد، وقد اشتق من الخط المسماري خط عيلامي بعد ان بطل استعمال العيلامي الصوري القديم. وقد عاش وناصر نشوء (الارقام العددية في وادي الرافدين لاول مرة في تأريخ البشرية).

وكان اختلاف الشعوب ذات الحضارات القديمة في حوض البحر المتوسط ووادي الرافدين في التعبير عن العدد ورسومه. فقدماء المصريين استخدموا في الاشارة للاعداد خطوطاً مستقيمة افقية وعمودية تشبه اعواد الكبريت، وهذه الخطوط العمودية تستخدم في رقمي (١ ـ ٣) بينما يستخدم الخط الافقي منها ليعبر عن الرقم (٤) لذلك كان الخطان الافقيان في مصر القديمة يعبران عن العدد (٨) وقد وصلتنا مجموعات من خطوط افقية وعمودية ونقط تربط بينها اشارات خاصة هيراطيقية للتعبير عن الاعداد (١٠، ١٠٠، ١٠٠٠) الخ فالارقام في مصر نشأت عن الهيروغليفية اما البابليون فقد استخدموا هذه الاشارات المسمارية.

تمهيد في الدراسة العلمية لتأريخ الكتابة في العالم

لقد مضى العهد الذي كان يظن فيه الناس ان من الممكن دراسة اي تأريخ من تواريخ الامم السامية او غيرها على حدة بشكل منفرد كتأريخ العراق او تأريخ مصر

او الامم الاخرى التي تعايشت في الشرق الاوسط، لقد مضى ذلك العهد الى غير رجعة، ويتحتم على من يريد دراسة نشوء الكتابة في العالم في مختلف بقاعه ان يبدأ بدراسة تواريخ الشرق القديم جميعاً ليطلع على صلة حضارته بعضها ببعض ويتعرف على اثر كل منها بالاخرى وعلى تحدر خطوطهم ونشأتها وتطورها واثر كل منها وتأثرها ببعضها..

اذ لم تكن تلك الحضارات «العراق ـ مصر» بمعزل عن بعض فمثلا، قد اجمع علماء التأريخ ان عصر ـ جمدة نصر ـ في العراق يوافق عصر ما قبل حكم الاسر المصرية. وان مما لابد منه بعد الاطلاع على التحولات الحضارية واصل العمران البشري وبوجه خاص دراسة تأريخ اختراع الكتابة الصورية قبل تطورها لتكون الحروف منذ ان وطأت اقدام الانسان العتبة الحضارية واستطاع ان يقول انني

سأكتب كلمات بحروف ، كانت الانسانية جميعا في حاجة الى اختراعها بعد جهود بذلها عبر ما قبل التأريخ يوم كان الانسان يعيش في اعماق الكهوف ورمال الصحاري والكثبان المجوفة في ثلوج اوروبا التي تعرضت للانجمادات المتكررة .

ينبغي ان نتفهم التطورات البعيدة من جذورها الشرقية التي لم تكن مدروسة في ضوء المكتشفات الاثارية الحديثة ، لان اكثر ما وصل الينا من المؤلفات غير المنصفة واغلبها مترجم غير جديرة بأن تكون مصدرا لثقافة الاجيال الواعية للناشئة الثورية .

كيف تكلم الصمت من خلال الرسوم والاشكال والخطوط والالوان في تأريخ الانسانية القديمة الاولى

ان التفاتة ــ ولو خاطفة ــ عبر العصور التي مرت على الانسان منذ اقدم عهوده قبل التأريخ ، قد تساعدنا ولا شك على تفسير الترابط العضوي بين (الرسم والكتابة) قبل تكونها خلال الحضارات المختلفة التي نشأت في منتصف الالف الرابع قبل الميلاد ، تجعلنا اقرب الى فهم التحولات وادراك الاساليب التي ربما تتوضح بها كيفية الانتقال والتطور من فن الانسان الذي ابدع نحت الاحجار والرسوم في عصور كان لها شطر كبير من التصور التأريخي اطلق عليه علماء الجيولوجيا (عصر ما قبل العصر الجليدي في مناطق دون اخرى) من الارض خلال الباليوسين منذ بضعة ملايين من السنين . حتى جاء العصر الجليدي الاخير «فورم» الذي انتهى منذ ثمانية الاف سنة في اوروبا ، حيث ان هذا البحث يستنزف المجلدات لوضع تأريخ محدد له كما قد ذكرنا في الفصل الاول من كتابنا هنا . والبحث الطويل قد يدعو الى سرد واستقصاء ما صنعه ذلك الانسان الاقدم في الكهوف ــ في التاميرا ، ولاسكو ، وزورزي ، وشانيدرا وزاري جيمي وغيرها ــ الى آخر ما هنالك مما خلفه من الفخاريات دون الحجريات في حضارات وادي الرافدين الى الاختام الاسطوانية من الوركاء ونفر واور وبابل ، الى الرقم الطينية المكتوبة بالخط المسماري التي ضمت روائع الفكر الانساني في العراق القديم كما يراها القارىء في اللوح المرقم (هنا) والذي يمثل مراحل تأريخ العراق الطويل الحافل بالمنجزات التي حققها الانسان والتي نشرت في مجلة ميزوبوتاميا سنة ١٩٦٧ .

فالى هنا نمسك بالقلم لنتحول الى صلب الفصول على ترتيبها التسلسلي التأريخي .

كان يظن حتى وقت قريب ان التاريخ الانساني فقير نسبيا

لقد عاش البشر عدة مئات من الاف السنين حياة همجية اوضحت لنا ادواتهم الحجرية نوعها في صورة لا تقبل الشك مدى الزمن الطويل الذي مضى على الانسان منذ ظهوره على وجه الكرة الارضية .

في هذه الازمان قبل التأريخية كان مأوى الانسان الكهف فكان يسجل احداثه بالرسوم على الجدران تقليداً بحسب وسائله المتوفرة كما وصلت الينا من مؤلفات الباحثين ، ولما حدثت الثورة التكنولوجية واكتشفت حضارة القرن العشرين اخترع الكربون رقم (١٤) اعانت العلماء على المكتشفات الاثارية ، وظهر من تحليل تلك الاشياء المرسومة رسماً تخطيطياً انها النواة الاولى التي تمخضت عنها خربشة رموز ما قبل الكتابة التي تعود الى ٢٠,٠٠٠ سنة ق.م كما نشرها D. Diringer في الصفحات التالية هنا . وهي تحتوي على رموز رياضية ورسوم بشرية باوضاع متحركة عثر عليها في جنوب فرنسا وايطاليا واسبانيا وكاليفورنيا واوستراليا وانكلترا ثم اكتشفت اشياء اخرى في الهند والصين وشمالي افريقيا وصحارى مصر وجبالها ، وربما ستكتشف فصول جديدة من عمر الانسان لم تعرفها البشرية من قبل اطلاقاً ، وتظلم الامة حينما تطلق على مرحلة حياتها السابقة لمعرفتها بالكتابة عصر ما قبل التأريخ ، فليست الكتابة سوى مظهر جديد في تأريخ الامة المسجل .

ابتكار طريقة لتاريخ المستكشفات(٧) لحل كل الالغاز الاركيولوجية في العالم

واصل علماء الآثار الاستعانة بالعلوم الاخرى لتاريخ الادلة البشرية الاولى ، خلال فترة طويلة من الزمن وكان الصوان وما شابه من الصخور هو المادة المفضلة لدى الانسان القديم في تشكيل أدواته . ومن ثم وفي عشرينات هذا القرن عمل عدد من الكيميائيين والاركيولوجيين بخطة اخرى فابتكروا عملا مغناطيسيا بقوة عبر سطح الارض من انحراف القطبين المغناطيسيين ولم تحل هذه الطريقة مشكلا لعلماء الآثار .

وبعد الحرب العالمية الثانية تطلع علماء الاثار الى علم تحطيم الذرة وقام احد علماء الفيزياء وهو الدكتور «ليبي» بدراسة علم الاشعاع الجديد واعلن الطريقة المسماة (اعداد الجدار الحاجز) في سنة ١٩٣٣ قبل ان تخترع القنبلة الذرية بزمن بعيد .

الخلاصة : آثر علماء الآثار الاستمرار بالاعتقاد بأن مواد معينة ذات نشاط اشعاعي قد تكونت في طبقات الجو العليا بفعل الاشعة الكونية وهذه المواد هي

---

(٧) فرانك هيبن ـ الحضارة القديمة في الدنيا الجديدة ـ ترجمة الدكتور محمد محمود الصياد ، مصر ، ١٩٧٢ ص ٢٦ ـ ٣٤

«الترتيوم وكاربون ١٤» ثم اكتشف الباحثون ان هذا الكاربون موجود في كل الكائنات الحية ، فكل نوع من النبات او الحيوان يمتص كاربون ١٤ من الوسط الذي يحيط به ، وندرك لاول وهلة كيف كان من الاهمية بمكان للعلماء الذين ابتكروا نوعا من الاجهزة بصورة مقياس يحسب بالضبط كمية «كاربون ١٤» في اي عينة . ويمكن ان نعين المدى الصحيح لتركيز هذه المادة الكربونية في قطعة من الخشب او في سن حيوان كالفيل او في بقايا عظمة محترقة . فتوصلوا الى وضع رقم ٥٩٦٨ سنة ، وفي اللحظة التي تقطع فيها الشجرة او يقتل فيها الحيوان يتوقف الجسم الهامد على امتصاص كربون ١٤ ولكن الكربون الذي دخل جذع الشجرة او جسم الحيوان يواصل تحلله بنفس المعدل المحدد رياضياً .

وهكذا وجد العلماء ان في استطاعتهم ان يقيسوا ويحددوا بالضبط حياة حيوانات عصر الجليد او اذا انهت فيها فأس حجرية حياة شجرة من الاشجار . واصبح من الممكن ان تؤرخ احداث الاف من السنين خلت بنفس الدقة التي للتاريخ المكتوب في عصرنا الحديث .

ولكي يتحقق العلماء من صحة الطريقة قاموا بقياس كمية كربون ١٤ في خشب التوابيت التي وضعت فيها موميات فراعنة مصر الاقدمين ، وردت اسماؤهم في قوائم ملوك مصر القديمة ، وتاريخ وفاتهم معروف بمفهوم التقويم الحديث وكانت النتيجة تطابقا تاما بين تواريخ كربون ١٤ المستخلصة من العينات المصرية والتواريخ المسجلة لوفاة هؤلاء الفراعنة ، وفي سنة ١٩٤٩ تأكد ان كربون ١٤ يمكن استعماله كتقويم اركيولوجي .

وقد اصبح من الممكن ان تؤرخ احداث الاف من السنين خلت بنفس الدقة التي للتاريخ المكتوب في عصرنا الحديث . ولما اخذت تواريخ كربون ١٤ تتجمع من الامريكيتين واوروبا وآسيا وافريقيا ، بدأ نظام الحوادث البشرية يؤخذ نمطاً يمكن التسليم به . وبصفة خاصة في قصة البشرية ، لقد عاش صيادو العصر الجليدي كأهل فلصم وساندیا الذين امكن التعرف عليهم من اجزاء الخشب الرطب الموجود في الركامات الجليدية ذاتها حركات السنة الجليد وغيرها من الحوادث الى دقة التاريخ لأعمال الانسان ، وان يضعوا الجدول الزمني المضبوط لتغيرات المناخ وحركات الجليد التي لم تنقرض منذ نحو ذلك التاريخ .

لقد استعمل للتعبير مختلف الوسائل لمعرفة قراءة هذه الصورة بما في ذلك الكومبيوتر. الا انه لم يتم التوصل الى شيء حاسم في هذا المجال.

غير ان الاحتمال يقول انها اختام مشابهة للاختام التي عثرت عليها البعثة البريطانية في اور قرب مدينة الناصرية في العراق مما يشير الى وجود علاقات تجارية بين السومريين وبين (موهنجو دورو) في الباكستان وهي شبيهة باختام وجدت في السند. عن كتاب (ريكها) طبعة دلهي ١٩٦١م.

ليس في مقدور علم التأريخ تقدير اعمار الكهوف التي وجدت وقد عبث بها الدهر والاحداث، ولما كانت اكتشافات الرواد المستشرقين لهده البقاع النائية خاطفة لما يحيط بها من اخطار تحيط بحياة الانسان فلذا يتعذر ويصعب استخراج او استكشاف ما يتصل بمعرفة وتأريخ رسوم هذه الكهوف لامثال هذه النقوش التي تمثل حياة الانسان وممارساته قبل ان يتفتح ذهنه ويستوحي وسائل ادامة حياته خلال تنازع البقاء في تلك التطورات.

من منتجات الحفريات الحديثة.

اذا ما حاولت ان تضع التأريخ بين قوسين في كتاب فانك ستجد البعد بينهما على الاقل خمسة آلاف سنة للتأريخ المدون، وما لا يقدر من السنين والقرون للتأريخ غير المدون. منذ حين لم تكن الكتابة موجودة بعد. ولا شك في ان الكتابة شيء حاول الانسان واستمر يحاول باقصى جهده لايجادها وابرازها الى حيز الوجود واستمر زمنا طويلا لتطويرها وتحسينها للافضل ونشرها وتعليمها بين الشعوب. فهي فن جميع التأريخ ومقومات الحضارات وحصيلة التراث للماضي السحيق. وإن تأريخ ما قبل التأريخ (الباليونتولوجيا) فيشمل ما قبل الانسان ايضا من حيوان ونبات، وهو تأريخ غامض معقد يشكل المتحجرات ومستحدثات اخرس لا يتكلم ولكن تستنطقه بصائر العلماء، هذا التأريخ هو السابق للتأريخ غير المدون لقسم من الماضي المتصل بالانسان في اجزائه الاخيرة التي اصطلح على تسميتها بما قبل التأريخ وهي التي الى حد ما ميدان مشترك (للانثروبولوجيين).

علم الانسان - و (الاركيولوجين) الآثار - و (الباليونتولوجيين) (علم السلالات البشرية) والمؤرخين ايضا يسمى - انتوغرافيا.

ويأتي في هذه العلوم علم الحفائر والمطمورات وعلم الاساطير (الميثولوجيا) وعلم اللغات (الفيلولوجيا) وعلم الانماط السلوكية (الايثولوجيا). وعلم علاقات الكائنات الطبيعية (الايكولوجيا).

ولقد اصاب التأريخ في العقدين الاخيرين الشيء الكثير من الثورة في كمية مادته واتساع مواضيعه ذلك أن مشكلته اختلفت فيها عشرات من العلوم. وحدوده مفتوحة على مستودع هائل الابعاد مفتوح الحدود يحتوي المكتوب وغير المكتوب، ومن هنا

امتدت جسوره الى كل معرفة من كل قديم محير يخفي وراءه دراسة العلاقات المتبادلة الايضاحية .
فالفن يفتش عن امجاده والمعنى البيولوجي تأريخ متحرك .

رموز تأريخ السحر لما قبل التأريخ المكتوب عبر العصور النيوليثية منذ ٢٠,٠٠٠ سنة .

ان تأريخ السحر العجيب هو ما اطلق في بدء نشوء الرسوم المخربشة والصور على الكتابات الاولى منذ اقدم العصور ، وهي تسمية حرية بالمسمى لما قبل التأريخ .. فلقد اجابت حسابات علماء الفلك والكيمياء والفيزياء اجابة مستفيضة عن هذه الاسئلة التي تساءل الباحثون عنها «كيف ومتى بدأت الكتابة ؟»
وبالطبع قد اجاب عدد من الباحثين القدامى على هذا التساؤل باقتناع كأقتناع الاطفال . اما كيف كان حدوثها ، فهو أمر سيجده القارىء في طيات صحائف هذا الكتيب [٨] المدونة في الهامش هنا .. ويظهر من تحليل هذه الاشكال المرسومة رسماً تخطيطيا انها النواة الاصلية التي تمخضت عنها الكتابة ، وهي تلك النقوش التي وجدت في اجواف الكهوف وفي القحوف وغيرها عبر العصور التي تعود الى ٢٠,٠٠٠ سنة كما تكلمنا بايجاز عن الاطوار التي مرت بها الكتابة في الفصول اللاحقة ووصف ادواتها ورسوم علاماتها التالية .
١ ـ اكتشفت هذه الرموز من جنوب مقاطعة (ازيل) في جنوب فرنسا وايطاليا واسبانيا وجزيرة كريت ، ٢ ـ من شمال افريقيا ، اصطلاحات رياضية ، ٣ ـ ورموز ايطاليا تمثل فقرات مصورة ، ٤ ـ واشارات من جزيرة كريت ، ٥ ـ واصطلاحات تمثل حركات بشرية ، من شمال افريقيا منقوشة على الصخور ٦ و ٧ ـ رسوم تخطيطية من كاليفورنيا ، ٨ ـ رسوم تخطيطية ليونات مختلفة من استراليا[٩] .
وقد اكتشفت في عدة جهات من (سوانكوب) في انكلترا وفي فورتيشفا بفرنسا وفي كانجرايا بأفريقيا الشرقية . وقد ظهر من نتيجة الحفريات اناس تختلف ملامحهم عن ملامح الانسان المعاصر ومع ذلك فقد عثر على ادوات ترجع الى اوائل العصر الجليدي ، وهي بقايا البشرية من سلسلة العناصر البدائية التي اطلق العلماء عليها اسم (السلالة النياندرتالية) نسبة الى انسان نياندرتال ، ثم اكتشفت في اربعينات القرن الحاضر في عدة جهات من انكلترا وفرنسا وافريقيا الشرقية بقايا انسان لا

---

(٨) انظر : انتصار الحضارة ، تاريخ الشرق القديم ، جيمس هنري برستد ، ١٩٣٨
Conquest of Civilization
(٩) انظر : الحضارة القديمة ، فرانك هيبن ، استاذ علم السلالات البشرية «انتروبولوجيا» ، انظر : الكتابة ، د . د . ديرنجر
(Writing. David Diringer)

تختلف ملامحه عن الانسان المعاصر بين تلك الادوات التي ترجع الى اوائل العصر الجليدي ، ثم اكتشفت اشياء كثيرة بين الحضارتين العراقية القديمة والمصرية وحضارات اخرى في الهند والصين من العالم وستكشف لنا فصولا جديدة لم تعرفها البشرية ، وعنها تفرعت وتطورت الرسوم التخطيطية على توالي الدهور والتي بواسطتها استطاع العلماء تقدير عمر الانسان القديم الذي رسمها وهي رسوم حيوانات او اشكال هندسية اخرى او (خربشات) اراد الانسان ان يعبر بها عن اشياء عاشها في زمانه . ولم يعرف ان تلك الرسوم هل أريد بها تعبير ما للاتصال الاجتماعي او للزخرفة في المعنى العصري الحديث . ولكن الحقيقة على ما يبدو انها كانت رسوماً عاطفية معبرة لغايات مقصودة . حتى ان الرسوم التي وجدت حوالي جبال البرينية اوضحت مهارات واريد بها غايات بأن يوجه هنا صيد او حيوانات مختلفة ، ومن المشوق حقا انه يمعن النظر في هذه الرسوم البسيطة التي وجدت في قطع من الصخور او القحوف او على جدران الكهوف التي كان القصد منها تنفيذ ما يريده الانسان الذي كتبها او لعلها ذكرياته .. وهي رموز استطاع الانسان الاقدم على بدائيته ان يقلد بعض الصور الحقيقية تقليداً على قدر يثبت امكانيته الفنية للتعبير عما يقصد ويروم ، فكانت الظاهرة البدائية للانسان الاقدم التي واكبت البشرية في تقدمها الحضاري الاول ، فكان ذلك مبدأ التعبير في تلك الرسوم في محاولات طويلة وجهود بطيئة ورسوم مخربشة تعرضت لتأملات واسعة لا زال يكتنف اصلها الغموض والسعي الى الظفر باصل الابجدية اقدامها على دروب الحياة الطويلة ، وهي حدث عظيم يمكن ان يتخذ بداية لتأريخ مرحلة ما في حياة امة

وليس من شك في ان معرفة الكتابة كانت خطوة خطتها البشرية وهي تتحسس موقع من الأمم ، ولكنه يغفل كثيراً من فصول القصة الانسانية قد تكون اهم واعمق اثراً في تكوين شخصية الامة ، بل تشكل مرحلة اطول كثيراً من مرحلة تأريخها المكتوب . ونظلم الامة العربية حينما نطلق على مرحلة حياتها السابقة لمعرفتها بالكتابة (عصر ما قبل التأريخ) فليست الكتابة في الواقع سوى مظهر جديد في تأريخ حياة الامم ، وقد يكون لها في العصر الذي يسبق معرفتها للكتابة تأريخ لا يقل اهمية عن تأريخها المكتوب ، بل وربما تكون هذه الامة قد عرفت نوعاً من الكتابة اندثرت وثائقه فلم تصل الى ايدينا ، او استغلقت رموزه فلم نهتد الى حلها . ولهذا لابد لنا ان نعرف بين كلمتي (تاريخ) و (تأريخ) .

اما الكلمة الاولى فهي المراحل الاولى المتابعة لحياة شعب من الشعوب منذ ان نشأت واخذت تتبلور شخصيته المستقلة ، وترك مخلفات له من فؤوس حجرية يدوية مطمورة تحت الركامات ، وجماجم وهياكل له ولحيوانات [١٠] تعود الى ما قبل مليون سنة عاشها الانسان في الدور الجليدي الاخير .

---

(١٠) ادرك العلماء الذين يشتغلون بجهاز القياس يحسب بالضبط كمية كربون ١٤ في اي شيء نبض بالحياة يوما ما على اية عظام بشرية او حيوانية .

واما الاخرى فهي وسيلة نسجل بها احداث هذه المراحل ، وليست الكتابة بالوسيلة الوحيدة لذلك التسجيل .

توديع عصر الانسان البدائي واستقبال عصر الانسان الكاتب

«فكرة التوصل الى اختراع وخلق صوت وشكل لكل حرف بمفرده يمثل صوتاً ورمزاً في حالات ان يكون في الاول والوسط والاخير في الافـراد والتركيب كحـرف لا يتبدل رسمه في الالف باء فهو ارقى انواع الالهام التي لم يوح بها الا الملهمون» .

ومن اعظم افعال الروح البشرية

تحدث العالم س . جيديون [١١] في تأريخ الاشياء ورسوم الكهوف واصولها الاولى في دراسته العلمية حول تصورات وافكار الانسان القـديم ومعتقـداته المبكرة التي كان يستوحيها من عالم ما وراء الطبيعة عن الكون وحياته التي يحياها .

وبالرغم من الظلام والوحشة اللذين كانا يكتنفان كيانه لم يخـل مـن شـعاع ينير نفسه عندما كان ينفرد في كهفه ليلا للرقاد ربما كان يسترجع في مخيلته صوراً لبعض الاشياء ويتذكر اشباحاً وخيالات من صور ورموز تجسمها ذاكرته البدائية وعلاقـة تلك الرموز بمتشابهاتها وبمفاهيمها ومعانيها التي تجعل لكل منها شبحاً اسـطورياً مرعباً . وبالنظر الى النجوم ورمش عينيه للرعد والبرق عندما يلمحه من داخل كهفه فيكون لديه مـلامح سـحرية للعبادات والمعبودات فليس مـن الميسـور ان ندرك تلك الظواهر المعنوية ولا كهنه بين يديه تشرح له المصـطلحات الروحية او الرمـزية ولم تكن كثافة انئذ لتبين لنا مبلغ ثراء مخيلته ...

وفي ذلك التيه المظلم لم يتمكن الانسان القديم من اقامة شعور واع تؤلفه المفـاهيم الاجتماعية العاقلة ولو بصورة بدائية رغم مـرور مـئات الالاف مـن السـنين على ظهوره على سطح الكرة الارضية ، انه مما لابد منه ان يتوصل الى نتائج مغلوطـة في اجتهاداته البدائية ويصطدم باخطاء لا تقع تحت حصر في النقوش والرسوم وهي ما زالت باقية الاثر حتى يومنا لدى بعض قبائل امريكا الشمالية للتعبير عن المرام ..

توصل الانسان الى عتبة الحضارة في ربع الكرة الارضية

قد تكلمنا عما استطاع الاثريون في غربي اوربا ان يجمعوه من المصـادر المتعـددة بحيث مكنهم من كتابة قصة على قدر المستطاع لحياة الانسان واساليب معيشته قبل ظهور المصادر المكتوبة وجاءت الاكتشافات الحديثة في القارات الثلاث افريقيا اسـيا واوربا فاظهرت كل الابحاث في كل المناطق التي كانت ميدانا للبحوث تشابها في تتابع المراحل الانسانية نحو الحضارة . وان مثل هذا التطور والتقدم لا يمكن ان يحدث في

---

(١١) S. Giedion, «Mechan zation Taxes command» Ox fordaniversity, 1948

الحضارة القديمة التي كانت اساسا لحضارتنا الحالية لم تنشأ في قارة اوربا بل انها تطورت في الناحية الشرقية من البحر الابيض المتوسط ، فاستطاع كل من سكان العراق ــ الرافدين ــ وسكان مصر وبضمنها سيناء من اختراع الكتابة قبل ان يعرف غربي اوربا شيء عنها بثلاثة الاف سنة في الناحية الشرقية من البحر المذكور ، ومن حوله انتشرت الى داخل القارات الاقوام شمالا الى البحر الشمالي وعبروا الى الجزر البريطانية وانتشروا جنوبا عبر افريقيا في الصحراء الكبرى واجتازوا ايضا نحو شرق البحر الابيض في فترات هذا التطور البدائي . وهكذا كان العلماء الطوفان بها . ومنذ اقدم الازمنة حتى الان يعرف بعض هذه المنظمة من الشرق الاوسط مجموعة في شعوب من الجنس الابيض اطلق عليهم الاوربيون اسم «الساميين» وهي تسمية يهودية تلقاها المستشرقون ولو لم يكونوا في الحقيقة من ابناء سام بن نوح[١٢] .

وتقع آثار الطوفان بين عصر جمدة نصر وبين فجر السلالات وبدأت هذه الاقوام تنقسم الى قبائل رحالة تشجع الارض الخصبة للمراعي وغالبيتهم من العرب الذين صبغت ارواحهم الحرية وفي نفوسهم «الله خالق كل شيء» والحق والعدل بامره . وان جزيرة العرب مهبط الانبياء والاديان السماوية هؤلاء هم الذين اطلق المؤرخون عليهم «البدو الساميين» ولقد آمن العالم برستد[١٣] . ان الشرق الاوسط هو مهد المدينات فانه كان المعلم الاول للبشرية ، وفي مختلف بقاعه بدأ الانسان يخطو خطواته الاولى نحو الحضارة قبل ٦٠٠٠ سنة من يومنا هذا لدى اقدم السكان منها وادي الرافدين على يد السومريين قبل ٤٥٠٠ ق .م وفي شبه جزيرة سيناء ومصر بشمالي افريقيا وصول اطراف البحر الابيض المتوسط شرقا في سوريا والهلال الخصيب وجنوب الانضول الذين شكلوا دولا عرفت في التاريخ في الشرق الاوسط فكان وجود وتجمع هذه الاقوام لاسباب اهمها نتيجة الهجرات العربية في هذه المنظمة وشواطيء البحر الابيض المتوسط السبب الرئيسي في تشكيل التاريخ الانساني الذي كون مجتمع دويلات غنية تخطت الى عتبة الحضارة والعلم الاول للبشرية . وبدأوا يبنون حضارتهم العظيمة التي ابتدأت وابتدأ اول انسان ولاول مرة يكتسب مستندته الاولى التي تقص علينا في كلمات مكتوبة عن حياته ومامر عليه من احداث في هذه البقعة من الهلال الخصيب في ارض سومر قبل غيره .

وليس من السهل الحصول على كنوز اثرية من الماضي السحيق في مناطق صحراوية لجزيرة العرب وقفارها لما لم يعيه التاريخ المكتوب .

منذ اكثر من قرن من يومنا هذا تجمعت تاكيف عديدة من الدراسات المسمارية لابرز العلماء الغربيين عن اثار بلادنا موطن اقدم خط في الدنيا ممن اختصوا في حقل

---

(١١) انظر : محمد عزت دروزة ــ عروبة مصر ، بيروت ١٩٦٣

(١٢) برستد : انتصار الحضارة

التنقيبات فاوغلوا وتوصلوا لمنشأ اول قرية بشمال العراق هي : (قلعة چرمو) التي يعود تأريخها لتسعة الاف سنة ولكن هذه المنطقة الشمالية من العراق عرفت كموطن حضاري لانسان العصور الحجرية .

ويؤكد ذلك تحريات البروفيسور «الموستيري» من جامعة كولومبيا سنة ١٩٦٠ في كهف «شاندر» وعثروه على هياكل عظيمة لانسان «نياندرتال» من منتصف العصر الحجري القديم المعروف بالطور «الموستيري» من ٦٠٠٠٠ سنة الى ٤٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد اي منذ بداية تعلم الانسان الزراعة وتدجين الحيوانات . وتعتبر تحريات بعثة المعهد الشرقي في شيكاغو برئاسة البروفيسور «بريد وود» في منطقة (ديانا) و (كردمامك) عن بدء استقرار الانسان وتكوين القرى الاوائل خير دليل على ما سردناه . في المنطقة الجلية من العراق في الالف الثاني قبل الميلاد ايضا . لا مجال الان للحديث عنها بالتفصيل .

لقد تكلمت في الفصول السابقة عن الاثار قبل التأريخية المتعلقة بالاحداث التي تخص [١٤] الحضارة البشرية وهي تتحسس مواطىء اقدامها على دروب الحياة الطويلة المجهولة لاقدم ما عرفناه من اخبار تربط الماضي السحيق بالحاضر من الدراسات المدعومة بالمستندات حول المعطيات البيوغرافية بواسطة العقول الالكترونية في عصرنا الذي اخذت الدراسات الحضرية تستفيد من المبتكرات والامكانيات التي رست دعائمها في اوروبا ، وقد آن الأوان لان نستعملها نحن في بلادنا لخدمة تراثنا وحضارتنا العربية والتفكير العلمي بوسائلها . فقد تكون لهذه الامة في العصور السابقة للكتابة تأريخ لا يقل اهمية عن تأريخها المكتوب ، بل ربما تكون هذه الامة قد عرفت نوعا من وسائل الحفظ عن ظهر قلب تفوق وسائل الكتابة ولم تترك وثائق لها فاندثرت احداثها او كتابها او حتى اسماء كتابتها وانما نستمد احياء ذلك التأريخ من خرائب وتلال ومواقد مضى على خمود نيرانها الاف من السنين اذا فليست الوثائق المكتوبة بل حتى الكتابة الصورية المعبرة سوى مظهر طرأ على تأريخ الاحداث البشرية اطلق عليه تسمية «كتابة» وقد يكون للبشرية في العصور السابقة للكتابة تأريخ واحداث ارضية او كوارث كرجوم سماوية وصواعق او طوفان لا يقل عن تأريخ ما بعد عصر الكتابة المكتوبة بحروف بنوع من الرسوم في انحاء العالم اندثرت او لم تصل ايدي المستكشفين اليها او وصلت ولم يتسن تحليلها[١٥] .

---

(١٤) كتبوا على الطين ، س ١٠٨ (ادوار كيرا) .
(١٥) الفن والانسان ـ عزالدين اسماعيل ـ القاهرة ١٩٧٤

وكانت الرموز السحرية التي فسرها المفسرون لفترات ما قبل التاريخ بسيطة جدا بحيث تعتمد على مبدأ «الجزء يمثل الكل» ، مثال ذلك «اليد تمثل جسم اكد لنا «جيديون» ذلك بقوله : ان الواقعية هي السبب الكامن وراء انبعاث رمزي بطبيعة تركيبها . وقد استخدمت الرموز بصورة منفردة احياناً ، او مرتبطة بصورة اخرى ، وبهذه الطريقة يؤكد الانسان البدائي التعبير عن معنى الرغبة في اضافة شيء يراد به ان يستخدم اكثر من رمز ذي معان مختلفة ويمكن تسميته بـ (رمز مركب) . ويؤكد الباحثون ان من العسير تعيين حدود رمزية ما قبل الكتابة الصورية التي استفادت بضع آلاف من السنين في الرسم التجريدي حتى ادت الى اختراع الكتابة وبدون ذلك ما اكتشفت الكتابة لان التجريد[١٦] للصور هو الذي منحها الشكل والثبات النهائي . ويفسره السلف القديم على النحو التالي :

ان التجريد في الازمنة البدائية يقتصر على الرمز والسحر . اما في الكتابة فقد نزل التجريد الى مستوى اعمال الحياة اليومية للتعبير عن الرام الذي يعتمد على ارتباط صوت الكلام بالصورة . والكتابة هي خلق الصوت المعقد في خلال الصورة ـ المتفق عليها ـ اي ان الصورة لم تعد تحتفظ بمعناها الاصلي الطبيعي للاسم الذي تحملة الصورة المادية فينبثق متحولا الى صوت ينبثق من الصورة بصفة رمزية تارة وتجريدية تارة اخرى ، وهذا الموضوع هو فلسفي اكثر منه تاريخيا ايضاً . فان صورة الشيء تعتمد على مبدأ (الجزء يمثل الكل) . فصورة اليد تمثل الجسم الانساني كله ، والعضو التناسلي يمثل الخصوبة وصورة القدم يمثل المشي .

هناك ادلة تجعلنا نعتبر ظهور الانسان لاول مرة كان في افريقيا كما ان هناك ادلة لا بأس بها ايضاً على ان نشأته كانت في آسيا ، في ذلك الزمن السحيق البعيد الذي يسمية الجيولوجيون باسم «بيليوسين» اي منذ بضعة ملايين السنين . وعلى مرور الزمن كان التقدم الذي رفعه الى مستوى اعلى من مستوى الحيوانات المنافسة له اوصله الى عتبة الحضارة استغرق ملايين من السنين ، كما استوى تفكيره ايضاً بعد ان اسرعت اختراعاته وادواته التي صنعها بيديه منذ مليون سنة على الارجح ، واستطاع الاثريون في غرب اوربا ان يجمعوا من مصادر شتى ما امكنهم من تجميع كتابة قصة منفصلة لحياة الانسان لما قبل ظهور الكتابة ، وجاءت الاكتشافات الحديثة فايدت الى حد كبير التاريخ الذي توصل اليه هؤلاء العلماء وهكذا ظهرت تلك الابحاث في كل المناطق تشابها في تتابع مراحل التقدم الانساني الذي لم يحدث في وقت واحد او على وتيرة واحدة في امكنة مختلفة من العالم .

فمثلا استطاع كل من سكان وادي الرافدين «العراق» ووادي النيل في مصر اختراع طريقة الكتابة وان اختلفتا من نحو خمسة الاف سنة على ما يرجح ، وقبل

(١٦) فولكنشتاين : تعتبر دراسة هذا الكتاب مسحا شاملا للعلامات الكتابية الأولى ومعانيها الى حد امكانية حل رموزها .

ادم . فولكنشتاين

A. Falkenestein' «Archalshe Texte Ausuruk»

ان يعرف اهل اوربا او غيرهم اية طريقة للكتابة بثلاثة الاف عام ، وان الاراء المتفق عليها لدى جميع الباحثين هو ان مـراحل الحضـارة القـديمة التي كانت اسـاسا لحضارتنا الحالية نشأت وتطورت في الناحية الشرقية من البحر الابيض المتوسط في كل من العراق القديم ومصر الفرعونية .

ففي العراق وفق السومريون الى ابتكار الكتابة المسمارية في حوالي سـنة ٣٠٠٠ ق. م . واستمروا في استعمالها الى ميلاد المسيح حوالي ثلاثة الاف عام ، واخر رقـم طيني مكتوب وصل الينا مؤرخا بسنة (٥٠) ، الا ان ما تجدر الاشـارة اليه هـو ان ظهور الخط الاوغاريتي الهجائي ولو كان بخط صوري قـد غير مجـرى اسـتعمال الخط المقطعي المساري البابلي والاشـوري وغيرهمـا مـن الهيروغليفيات (الحثية والبسيدونية البيبلوسية) . ومن هذا العرض يتبين بأن الخط المسماري يعتبر خـلال هذه المدة الطويلة اهم الخطوط في منطقة الشرق الاوسط جميع .

ومن الخطوط القديمة التي ظهرت الى جنب الخط المسماري ، الخـط العيلامـي القديم الذي ظهر في حـدود الـ (٢٧٠٠) ق.م . في هضـبة ايران ودام الى بداية الالف الثاني قبل الميلاد ، بعد ان حل محل الخط المسماري . ويؤكد علماء البحث ان الخط العيلامي المذكور قد ظهر بتأثير المراحل الاولى لظهور الخط المسماري بالتأكيد وان كان من ابتكار العيلاميين .

واما فيما يخص انتشار الكتابة الحثية (وهي مسمارية الشكل) فـانها سـادت في بلاد الاناضور وشمالي العراق ، واقدم كتابة (حثية) عثر عليهـا في (كول تية) تعـود الى حوالي سنة ١٨٠٠ ق.م . واحدث كتابة حثية تعود الى القرن الثامن قبل الميلاد . ولم ينتشر الخط الهيروغليفـي المصري في منطقـة الشرق الاوسـط ذلك الانتشـار وخاتمة الخط المسماري آلت الى التناقض في التداول في مناطق الشمالية وذلك بسبب ظهور الخط الاوغاريتي الهجائي المكتوب بالرسم المسماري واخذه بالتناقض ايضاً بتأثير شيوع خط آخر هيروغليفي قبله في (بيبلوس) ــ «جبيل» ــ اطلق عليه الباحـث د . ديرنجر في كتابه WRITING تسمية (پوسـيدو ــ Psewdo وهـو خـط شـبيه بالهيروغليفي الفينيقي الذي نشأ على ساحل البحر الابيض المتوسط .. وعقـب ذلك ظهور الابجدية الفينيقية التي ازاحتها الكنعانية المنحدرة عن الكنعانية المبكرة كمـا رسمها العالم د . ديرنجر في جدوله المخطط الحديث هنا فتشعب الساميات الشمالية الجنوبية بحسب التسميات الحديثة هو كما نراه في هذه الجدول ، ويحسن بالقـارىء

مطالعة هذا الموضوع في الفصل اللاحق .. بقايا مدينة «نبور» ، القرن ٢١ ق.م . وهي آثار الخرائب التي اعيد بناء قسمها الارضي الذي يظهر منه السلم الكبير المؤدي الى السطح الذي اقيم فوقه المعبد الذي يرتفع نحو ٦٠ قدما من مستوى الارض الحالية وكان يعتبر موقعا للقاء الناس بالالهة رغم الزقورة مبنية باللبن من الطين المجفف . وهي من ابرز منجزات السومريين الذين سكنوا اور ولا زالت بقايا شوارع المدينة ظاهرة للعيان قرب الناصرية.[١٧]

ذكر المؤلفون العرب القدامى «نضر» بالنشيد وهي «نبور» التي سكنها الناس حتى نهاية العصر العباسي . وكانت في مدى تاريخها مركز الحكم في لكش واورك منزلتها المرموقة ، شيد ملوكها بمعنى بيت الجبل لعلوه ، الزقورة ، وبقيت المدينة . ولما غير نهر الفرات مجراه امست في العصور الاسلامية واشهرها الزقورة.[١٨]

---

(١٧) انظر : انتصار الحضارة «برستد» ص ٧٦ وتاريخ الشرق القديم ترجمة احمد فخري .

(١٨) هنري فرنكورت ــ فجر الحضارة في الشرق الادنى . ترجمة ميخائيل حوري ، بيروت ، ١٩٦٥ .

فهرست الحضارات في العراق القديم وظهور الكتابة سنة ٣٥٠٠ ـ ٣٢٠٠ق.م

الحضارات العراقية القديمة

١ ـ حضارة عصر العبيد : ما بين ٤٥٠٠ ـ ٣٨٠٠ سنة ق.م . يحصر بعض علماء الآثار (الطوفان) والفيضانات التي حصلت في جنوب العراق وشماله ما بين عصر جمدة نصر وبين عصر فجر السلالات ٣٢٠٠ق.م .

٢ ـ حضارة عصر الوركاء : ما بين ٣٨٠٠ ـ ٣٥٠٠ سنة ق.م

٣ ـ حضارة جمدة نصر : ما بين ٣٥٠٠ ـ ٣٢٠٠ سنة ق.م . تمثلت هذه الحضارة السومرية (عصر الوركاء الثاني) . وفي هذه الفترة ظهرت الكتابة عند السومريون والمصريين .

٤ ـ حضارة عصور السلالات : ما بين ٣٢٠٠ ـ ٢٥٥٠ سنة ق.م .

٥ ـ الحضارة الاكدية السرجونية : ما بين ٢٥٥٠ ـ ٢٢٧٧ سنة ق.م . وتبعها حضارة سلالة اور الثالثة ما بين ٢٢٧٧ ـ ٢١٧٠ سنةق.م . وتبعها حضارة ايس لارسا ـ وسلالة بابل الاولى ، سلالة حمورابي : ما بين ٢١٧٠ ـ ١٧٥٠ سنة ق.م . وتبع ذلك حضارة الدور الكاشي ونمو المملكة الآشورية ما بين ١٧٥٠ ـ ٩١١ سنة ق . م وجاء عصر الامبراطورية الاشورية ما بين ٩١١ ـ ٦١١ق.م ، ثم قيام الامبراطورية الكلدانية او مملكة بابل الجديدة : ما بين ٦٣٥ ـ ٥٣٩ سنة ق.م . واعقب ذلك العهد الاخميني الفارسي والعهد السلوقي والعهد الفرتي والعهد الساساني .

ان الحضارة السومرية والمصرية وجدت منذ اللحظة التي كتب فيها هذان البلدان بهاتين اللغتين .

١ ـ انسان النيدرتال ٦٠٠٠٠ ـ ٤٠٠٠٠

٢ ـ العصر الحجري القديم والحديث ٣٥٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ق.م

٣ ـ بداية الزراعة في العراق حوالي ٩٠٠٠ ق.م

٤ ـ عصر العبيد ٥٠٠٠ ـ ٤٠٠٠ ق.م

٥ ـ عصر الوركاء ٤٠٠٠ ـ ٣١٠٠ق.م

٦ ـ عصر جمرة نصر ٣١٠٠ ـ ٢٧٥٠ق.م

٧ ـ عصور فجر السلالات ٢٧٥٠ ـ ٢٣٥٠ق.م

٨ ـ العصر الاكدي ٢٣٥٠ ـ ٢١٦٠ ق.م

٩ ـ العصر الكوتي ٢٢٠٠ ـ ٢١٠٠ق.م العصر الكوتي تعاصر مع اواخر الفترة الاكدية

١٠ ـ سلالة اور الثالثة ٢١٠٠ ـ ٢٠٠٠ق.م

١١ ـ سلالة ايس ٢٠٠٠ ـ ١٧٩٥

١٢ ـ سلالة لارسا ٢٠٢٥ ـ ١٧٩٠
١٣ ـ سلالة بابل الاولى ١٨٩٤ ـ ١٥٩٤ق.م العصر الكاشي ١٦٠٠ ـ ١٢٠٠ق.م
١٤ ـ الاشوريون حوالي ١٩٨٠ ـ ١٢ق.م
١٥ ـ الكلدانيون ٦٣٥ ـ ٥٣٩ق.م

التحضـــر

ان الانتقال من الاحوال البدائية الى الاحوال المتحضرة قد حصل اكثر من مــرة في التاريخ كان نتيجة الاتصال بشعوب غريبة اكثر تحــدثا . ونحــن نعــرف ثلاثة امثلة فقط كان فيها ظهور الحضارة تلقائيا ، اي انه لم يكن نتيجة احتكاك او اتصال بامم غريبة : في الشرق الادنى القديم ، في الصين ، وفي امريكا الوســطى والجنوبية . امــا نشوء حضارتي : المايا والانكا فغامض[١٩] اننا لا نستطيع ان نعلل انشقاق المجتمعات المتحضرة في مصر وفي العراق القديم (ما بين النهرين) على اســاس الاحتكاك اذ ان هذين البلدين كانا الاولين اللذين ارتفعا فوق المستوى العام من الوجود البدائي . فقد تناول آرنولد توينبي ، فيلسوف المؤرخين ، الحضارات كوحدات وقال بأنهــا احــدى وعشرين حضارة ثم راح يوضح متى ظهرت ؟ واين ظهرت ؟

اما كيفية ظهور الحضارة المصرية او السومرية قديما فانة تســاؤل ثانوي الاهمية بالنسبة لعلمــاء الاثار .. وهناك آراء يتمســك بهــا كبار المؤرخين مثل «ان نســـت ثرولتس» بخلاف «شنيفار» وآرنولد توينبي الذين يختصرون مولد الحضارة بالمقــطع التالي : (انها الحضارة تزهر في تربة في منطقة محدودة وتبقى متعلقة بها تعلق النبتة بالأرض . ثم تموت الحضارة حين تحقق مجموع امكاناتها في صور شــعوب ولغــات ولاهوت وفنون ودول وعلوم) .

اما كيفية تسليم الباحثين بشكل عام بان مليون ســنة في الجــزء الاول مــن الدور الجليدي الاخير ، فهو امر قد اقره البحث العلمي .

مقارنة عصر الزقورات السومرية وعصر الهرم المدرج وايهما اقدم من الاخــر بين الحضارتين :

يكاد يجمع علماء الدراسات السامية الاكدية ان عصر الزقورات هو منتصف القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد (حــوالي عام ٢٣٥٠ ق.م .) اي ان العصر الســومري القديم يقع قبل هذا التاريخ ويمتد حتى بداية التاريخ السومري ، الذي يوافــق عصر جمدة نصر في بلاد الرافدين وعصر قبيل الاسرات الاولى في مصر .

---

(١٩) من الواح سومر : صاموئيل كريمر ـ ترجمة ميخائيل حوري ، بيروت ، ١٩٦٥ .

فلو وضعنا في اذهاننا ان الوقت الذي تم فيه تشييد الهرم الاكبر بالجيزة والذي بلغت فيه مصر اوج تفوقها في فن العمارة كان حوالي عام ٢٦٥٠ق.م . وان عام ٢٣٥٠ ق.م يقع منتصف ايام الاسرة السادسة المصرية اي في ايام الدولة القديمة لامكننا ان نحدد بسهولة ان ازدهار العصر السومري القديم يوافق ايام الدولة القديمة في مصر ، وهو الوقت الذي بلغت فيه حضارة وادي النيل في بعض نواحيها درجة لم تستطع مصر ان تتعداه فيما بعد وبخاصة في العمارة والنحت[٢٠].

وقد اشار الدكتور احمد فخري في مقدمته لهذا الكتاب (الواح سومر) : سوف لا نحاول هنا عقد بعض المقارنات بين حضارتي (سومر ومصر) ولكن سأحاول فقط توضيح بعض النقط الهامة . وهي الصلة التي كانت بين الحضارتين من الاخرى ، اذ ان هذه النقطة بالذات اي بين وادي النيل ووادي الرافدين : فقد ثبت ثبوتا قاطعا انه كانت هناك صلة بينها في العصر السابق مباشرة للاسرة الاولى المصرية والايام الاولى للسومريين وان كثيرا من مصنوعات وفنون بلاد الرافدين وصلت الى مصر ووجدت من المصريين اقبالا عليها وعلى الاقتباس منها ، كما ثبت ايضا تفوق الحضارة المصرية وتقدمها تقدما كثيرا في ما تلا من شاطيء البحر الابيض حتى الشلال الاول وذلك لما فاضت به الطبيعة الجغرافية باعتبار مصر بلدا واحدا يحكمه ملك واحد وتتطبق عليه انظمة واحدة وجعلته الطبيعة في شبه مأمن من الغزوات الخارجية الامر الذي لم يتيسر بسهولة في العراق لوصول القبائل والشعوب المهاجرة الى بلاد الرافدين من الشرق ومن شبه الجزيرة العربية والهلال الخصيب من الجهة السورية الامر الذي قضى بنشأة دويلات المدن التي كانت تنافس بعضها بعضا .

ومهما اجملنا في موضوع الصلة بين حضارتي بلاد الرافدين ومصر فان موضوع الكتابة يحتاج الى شيء من الايضاح .. فلا شك في ان اهل بلاد الرافدين «السومريين» قد توصلوا الى اختراع الكتابة منذ زمن بعيد لا يقل عن اواخر الالف الرابع قبل الميلاد ، ولا شك ايضا انهم لم يتعلموا ذلك من غيرهم «اي بعد انتهاء دور العبيد والنصف الاول من دور الوركاء» اذ كشف في الطبقة الرابعة من مدينة الوركاء الواح طين صغيرة عليها اقدم كتابة في العالم بطورها الصوري الاول . ولما كانت نصوص هذا الدور الذي يعرف باسم دور الطبقة الرابعة في الوركاء (حوالي سنة ٣٠٠٠ق.م) والدور الذي يليه جمدة نصر حوالي سنة ٢٩٠٠ ق.م . سمي باسم (البرو تولويت) .

وبالاضافة الى اختراع الكتابة ظهر في النصف الاول من هذا الدور (الطبقة الرابعة من الوركاء) اختراع اخر هو الختم الاسطواني الذي يلي الكتابة المسمارية في الخطورة ، وقد اقتبسته من العراق والاقطار المجاورة ، ولم يخل ميدان العمارة من ظهور مزايا جديدة كاستعمال الموزاييك في المعابد . ومن الدور نفسه جاءتنا اقدم تماثيل الحجر الكبيرة التي تدل على الدرجة الفنية التي وصل اليها فن النحت . كل هذه الابداعات والانجازات قد حدت بمؤرخي الفن الحضاري الى اعتبار حضارة وادي الرافدين هذه من الحضارات الاصيلة

---

(٢٠) هنري برستد : انتصار الحضارة ، ص ٨١ ـ ١٨٦ ـ ٢٠٢ ـ تاريخ الشرق القديم ترجمة احمد فخري .

العكس نرى اقباس هذا الدور قد تخطى حدود العـراق ودخـل بلاد عيلام وسـوريا وحتى مصر .

وبجانب اختلاف الباحثين في تاريخ السومريين توجد حقيقة اخرى هي ان شـعب العراق لم يكن مؤلفا من السومريين فقط بل هناك شعب آخر كان مستوطنا في ارض العراق عندما حل فيه السومريون . هذا الشعب لا نعرف اسـمه ولا اصـله بسـبب فقدان وسـيلة الكتابة قبل الدور الذي ظهـرت فيه الكتابة السـومرية الاولى الا ان الدراسات اللغوية قد اثبتت وجود كلمات سـامية وغير سـامية اقتبسـتها اللغـة السومرية مثل اسماء بعض اشهر المدن وبعض الالهة والحرف . واذا كان القـوم او العنصر الثاني مجهولا – وسيظل مجهولا – فان الشعب الثالث وهو سامي . بوجوده وعيشه بصورة سليمة جنباً الى جنب مع السومريين طوال قرون عديدة حقيقة مسلم بها من قبل علماء الكتابات القديمة وعلماء الاثار . والحقيقة الاخرى بهذا الخصوص هي ان العنصر السومري – الذي له هجرة واحدة الى جنوبي العراق – قد تمركز في منطقة الجنوب خاصة في المدن الواقعة في محافظتي ذي قار والقادسية . واما العنصر السامي – الذي قدم الى العراق بهيئة موجات في فترات مختلفة – فقد تمركز في وسط العراق في محافظات بابل وبغداد وديالى . وهذا الدور الذي اعقب نهـاية دور جمـدة نصر سبق ظهور السلالة الاكدية بقيادة مؤسسها «سرجون الاكدي» يسمى بدور فجر السلالات (الاول والثاني والثالث) (٢٧٠٠ – ٢٣٤٠ ق.م .) .

وقد سبقت الاشارة الى ان مصر قد تأثرت بحضارة العراق في ذلك الوقـت وانهـا ادخلت في فنها بعض مفاهيم الفن العـراقي ، وقـد اراد بعض الباحثين وبخـاصة فرانكفورت ان يجعل الكتابة ايضـا مـن بين الموضـوعات التي يحتمـل ان يكون المصريون قد اقتبسوها من بلاد الرافدين ولكن البحث الجدي يظهر خطأ هذا الظن . والمقبول من جمهرة العلماء في الوقـت الحـاضر ان الكتابة ظهـرت في كل مـن الحضارتين في وقت واحد تقريبا ظهوراً مستقلا وان كل منهما تطور تطوراً محليا لا شأن له بالبلد الآخر او ما كان يجري فيه .

وقد ساعدت الكتابة في تقدم المدنية في كل من البلدين في وقت مبكر وصرنا ندرك مـا قدمه السومريون لحضارة العالم من خدمات ومدى اثرهم على حضارات غيرهم من الشعوب ، واننا اذ نشارك الفضلاء بمد ايدينا لمصافحة استاذنا الدكتور طـه باقـر وهز هذه اليد التي قدمت لدراسـات تاريخ الشرق القـديم اسـنى الخـدمات التي ستضاف الى بحوثه الوفيرة ومؤلفاته المتسمة بالعمق والاحاطة ، فله المنة والتعـظيم لما بذله من مجهود لا يناله الا ذو حظ عظيم .

من منجزات الحضارة العراقية القديمة التي سجلها التاريخ .

ان تاريخ العراق العريق في الاثار حافل بالمنجزات التي حققها الانسان العـراقي القديم ولا يتسع الوقت لذكرها في هذا المجال الضيق . وان ما نقرأء في نشرات مديرية الآثار العراقية Hezopotamia الذي نشرته جامعة طـوكيو سـنة ١٩٤٧م في معـرض طوكيو يعود الى عصور ما قبل التاريخ للالف السابع حتى القرن الثالث عشر للميلاد

وتفصيلاته محفوظة في المتحف وقد اشادت المديرية المذكورة بذكر الذين ساهموا بتحقيق هذا المشروع الكبير وخصت بالذكر منهم المستر «ايجي يورا» رئيس مؤسسة ـ جويجيسي سمودي» والمستر «تاجاناكي آساتي» مدير متحف طوكيو الوطني والبروفيسور «نامو ايكامي» من جامعة طوكيو، رئيس البعثة اليابانية للتنقيبات في العراق .. وان جميع ما يتعلق بالزقورات والابراج وتفسيراتها مشروحة تفصيليا في كتاب «اندره بارو» «مع برج بابل Zigguats etour de Babel .

(الرقم الرياضي من تل الضباعي) ـ ويقع التل بين ساحة سباق الخيل ببغداد الجديدة وقناة الجيش . وكشف فيه عن مبان اثرية مهمة ومعبد بابلي يرجع في تاريخه الى العهد البابلي القديم (الالف الثاني قبل الميلاد) وان اسم المدينة السومري Zarasusm وكان مخصصا للاسيمو Lasimu الا له المراسل : وعثر فيه على مجموعة من الالواح الرياضية المتضمنة قضايا جبرية . وبذلك اضيف دليل جديد الى ان أسس العلوم الرياضية قد وضعت في حضارة وادي الرافدين قبل ٤٠٠٠ عام وقبل ان يؤلف اليونان في الرياضيات اكثر من ١٥٠٠ عام . والرقم الطيني المرسوم اعلاه يتضمن مسألة جبرية هندسية ذات مجهولين واستعمل العراق القديم في حلها علاقة مربعي ضلعي المثلث القائمي الزاوية بمربع وتره وهو يعرف اليوم بنظرية فيثاغورس .

اقدم دور حضاري في العراق « دور العبيد» ٤٥٠٠ ـ ٣٨٠٠ ق.م

١ ـ ثبت لدى العلماء ان حضارة ما بين النهرين هي اقدم الحضارات البشرية في دور العبيد في الوركاء (٤٥٠٠ ـ ٣٨٠٠ ق.م.) فظهرت الكتابة المسمارية في عصر جمدة نصر في العراق ٣٥٠٠ ـ ٣٢٠٠ ق.م .

٢ ـ وقابلها ظهور الكتابة الهيروغليفية في دور نقادة الثاني في مصر وعرف كل من الشعبين كتابة بحسب ما اوحته عقولهم بعد تأملات واسعة . وهاتان الكتابتان هما اقدم ما عرفنا حتى اليوم بعد ان حلت طلاسمهما في القرن التاسع عشر الميلادي .

ولقد تعرضت تلك الكتابات لبحوث ودراسات وتأملات واسعة ولكن اصلها يكتنفه الغموض حيث ثبت لدى العلماء الاثاريين ان دور (العبيد) هو اقدم دور حضارة ظهر في جنوب العراق مابين (٤٥٠٠ ـ ٣٨٠٠ق.م) وفي مدينة «الوركاء» ظهر دوران حضاريان سابقان وهما دور الوركاء الاقدم ودور الوركاء الثاني الذي ظهرت فيه الكتابة الصورية السومرية (٣٣٠٠ ق.م.) باللغة السومرية على الطين اللين . وفي هذه الحالة وجد الباحثون انفسهم عاجزين عن القول بان الطين قد استعمل في بداية الأمر ولاول مرة في الكتابة التي سميت بالمسمارية والتي انتشرت عبر آماد فسيحة الى اقطار الشرق الادنى فكتب بها الحثيون والعيلاميون والميثانيون والحوريون والفرس والاخمينيون . ودونت بتلك الكتابة ملاحم وقوانين بخط يشبه المسامير وبلغة سومرية لاحداث جرت عبر قرون في الكون ولم تكن الكتابة موجودة بعد .

اما الكتابة المصرية التي ظهرت في وادي النيل وهي الهيروغريفية الصورية التي ظهرت في دور نقادة وهو الدور الذي يوافق عصر «جمدة نصر» في العراق ما بين (٣٥٠٠ ـ ٣٢٠٠ ق.م) اي قبل ٥٠٠٠ عام من يومنا هذا في العراق .

وقد علم ذلك من آلاف القطع الاثرية وقد تطورت في ذلك العصر الكتابة المسمارية في وادي الرافدين الى كتابة مقطعية برموز مسمارية تشبه رسومها التخطيطية الاصيلة شكل المسمار .

وقد بقيت الكتابة الهيروغليفية المصرية كتابة صورية ليست على ترتيب الف باء ابجدي . وبعد قرون طويلة من بذل الجهود رأوا ان يرتبوا لكل مادة مخلوقة شكلا مناسباً لتعريف ما هيته وهي رسوم واشكال لا تعد في الكتابات بصور متقنة جميلة الشكل ابرزوها على صفحات او مرمر مصقول على اروع ما يكون كما نراها .

ومما لاشك فيه انه كانت هناك صلة بين مصر والعراق ومماثلة في الحضارة لا في الخط ، فقد تباعدت رموزهم المتطورة لما صيرورها الى مستوى اعمال الحياة اليومية التي ربطت اصوات الكلمات بالرسم المرموز التي ادى معناها الطبيعي للاصل الذي تحمله الصورة المادية لدى كل من الشعبين فصار اشبه بحروف عبر القرون وحمل صوت تلك الصور (السومرية والمصرية) .

وهكذا مكنت هذين الشعبين تلك العلامات من الكتابة الحقة التي نشأت بين سكان وادي الرافدين ووادي النيل قبل ظهورها في اي شعب اخر من شعوب العالم القديم في تاريخ مبكر . وهاتان الكتابتان ليستا الا خطتين ممهدتين ، اولاهما ان اي شيء يجب ان يكون له شكل ثابت لا يتغير يستطيع كل شخص ان يعرف انه هو العلامة لكلمة معينة تدل عليه ، فمثلا رسم رأس حمار شيء متفق عليه عند جميع البشر ، فلا يسمى حصانا . وثانيهما ان تصبح تلك العلامة مقطعا بين حرفين من مقاطع كلمة اخرى .. الخ .

ولم يكن في استطاعة الرجل المصري ان يكتب كلما قيل : (الحب ـ الجمال او العقيدة) . الا انه استعمل عدداً كبيراً من الصور الجيدة كعلامات صوتية وصار يكتب كل كلمة عرفها عدا رسم كلمة (الريح) وكلمة (التغريد لصوت الطائر) . وهكذا مكنته علاماته التي اختارها من كتابة الهيروغليفية واستمر عليها . ولو اراد المصريون في ذلك الوقت ان يخترعوا أبجدية فلم ينبذوا ما اعتادوا عليه كي لا تحصل فجوة رسم الرموز الهيروغليفية التي تأصلت في نفوسهم لكان في وسعهم ولكن كتابهم استسهلوا اعتماد كتابتهم التي لا تفصلهم عن تراثهم واستمروا كالين يكتبون اللغة الانكليزية كما تعلموها لا كما ينطقونها بشكل مختلف الحروف مثل «نايف» و «ويل» سكين او صافرة . ولا يزال يحتفظ الصينيون بكتابتهم الصينية التي ترجع الى حوالي ٤٠٠٠ سنة بشكلها البدائي لانهم لم يطوروها الى المرحلة المقطعية ، فهي تصف الكلمة المعقدة بصورة معقدة ايضا ، لذا ظل اصل الكتابة الصينية مبهما ، ولا يمكننا ان نقبل المحاولات التي ترجعها الى الاصل الذي ينسبها للسومرية .

وخلال قرون عديدة وتطور مستمر بجهود بذلها السومريون والاكديون والاشوريون والبابليون في العراق ـ وادي الرافدين ـ حصل تقدم في الكتابة وذلك برسم عدة مسامير لكل صورة وصوت (سنذكره في الفصول اللاحقة) اي بما يسمى

بالكتابة المقطعية المسمارية[٢١]

ان الدراسات الحديثة التي اقرتها المكتشفات الحديثة ان (حروف ابجد هوز) على ترتيبها لم تكن فريدة، وربما لم يعرفها السومريون فقد وجدت مشكلة وجود (نظام او الأبجدية) اخرى لدى الحوريين في نفس الحقبة من الزمن فهل كان الحوريون الذين كتبوا بالخط المسماري هم السابقون ام كان غيرهم وضع ترتيبا شبيها بالترتيب المقطعي الذي نراه في هذا اللوح اعلاه وهو المنفصل مقابل كل مقطع من المقاطع المسمارية : وهي - .e. i. V. V. i a. - ترينا كيفية توصل الرموز الى اصواتها ab. ad. ag. ah. eh. ih. vh. برسم المرئيات الى ابعد نظام صوتي al. am. an. ar. as. as. في زمانه لايعرف عن الالفبائية لو شاؤوا لقرؤوها وقلبوها الى الفبائية وكان ذلك في وسعهم ولكن خوفهم على تراثم منعهم عن ذلك.

ويؤكد الباحثون ان هذه الاسماء الحالية (الفباء) التي نستعملها حاليا لحروف الهجاء لم تكن معروفة منذ اختراع الكتابة الاولى التي رسموها في الجداول لمنشأ الكتابات التي اخترعت، وانما ذهبوا الى تسميتها «كتابة» فقط. اذا فليست الكتابات التي جرب العلماء تحليلها ولا زالت غير مقروءة سوى مظهر طرأ على تاريخ الاحداث البشرية وربما كان للبشرية في العصور السابقة لحدوث الكتابة (تقويم تاريخي) او كتب منزلة قبل او بعد الطوفان واحداث لا تقل اهمية عن احداث عصر الكتابات بل ربما عرفت نوعا من الكتابات العجيبة في انحاء هذا العالم اندثرت ولم يبق لها اثر وذهبت اخبارها كان لم تكن شيئاً مذكوراً..

على ان افضل واقدم ما وصل الينا عن طريق الاستكشاف هو قحف او غاريت الذي سيجده القارىء مفصلا برموز مسمارية قد نسقت على ترتيب ابجدية مسمارية انتهت في حرف قرشت ... وسنتكلم عنها في فصولها الموضحة.

كانت الكتابة المسمارية السومرية منذ نشأتها متوازية والكتابة الهيروغليفية المصرية وذلك في عصر العبيد في حوالي (٤٥٠٠ ــ ٣٨٠٠) قبل الميلاد.

والكتابة الهيروغليفية المصرية ظهرت في حوالي سنة (٣٣٠٠) قبل الميلاد ايضا وكتابتها صور جميلة قام برسمها كهنة قديرون على الرسم باستخدام صور الاشياء في غاية الدقة، ويتألف هجاء صوتها في اول الكلمات من اول صوتها في الكلمة وهي[٢٢] اقدم كتابة صورية ليست بحروف هجائية كتبت بالقلم والحبر على ورق البردي، ثابتة التعبير اينما وقعت في الكلام عند الكتابة.

من بين الموضوعات يحتمل ان يكون المصريون قد اقتبسوا عن سكان بلاد وادي الرافدين كتابتهم الرمزية الصورية. والبحث الجدي يقول ان الكتابة ظهرت في كل من الحضارتين مستقلا وان كلا منهما تطورت تطورا مختلفا لا علاقة له بالبلد الاخر وما يجري عليه.

---

(٢١) نفس المصدر السابق.

(٢٢) هنري برستد : انتصار الحضارة. وكذلك. هنري فرانكفورت : فجر الحضارة ص ١٤٧ في الشرق الأدنى.

كان لاختراع الكتابة واستعمال الورق والحبر لهذه الغاية اثر عظيم في الحضارة واهم من جميع الدساتير التي وضعت في البشرية منذ خلق الكائنات . ان الكتابة الهيروغليفية ليست الا علامات صورية لا شياء قام برسمها كهنة قديرون على الرسم وهي اقدم كتابة ليست بحروف وكان المصريون يكتبون في اغلب الاحيان من اليسار الى اليمين وبالعكس او من الاعلى الى الاسفل وهكذا مكنته هذه العلامات الصوتية التي وضع اسم نطقها الثابت في الكلمات الهيروغليفية حتى يمكنه التفاهم بها في الكلمات من ان يعرف الكتابة الحقة عند سكان وادي النيل بحروف صورية سميت «هيروغليفية» . ولما اصبحت في الكتابة المصرية اكثر من (٦٠٠) علامة تعلمها الكتاب المصريون ولم يأت القرن ٣٣ قبل الميلاد حتى نزلت هذه الكمية الى (٢٤) صورة او حرف وهي كالحروف الابجدية التي عرفها الانسان فيما بعد[٢٣] .

يقول برستد وفرانكفورت ان هناك صلة وثيقة بين نظامي الكتابة في مصر والعراق القديم في الوقت الذي نجد فيه مصر متأثرة غاية التأثر بالفن العراقي القديم في استعمال الاجر البابلي وغيره ..

استعمل المصريون منذ الاسرة الاولى (٣٢٠٠ ق .م .) التي تقابل عصر جمدة نصر في وادي الرافدين نوعين من الخطوط احدهما زخرفي ، وهو الخط الهيروغليفي[٢٤] وتتألف رموزه من اشكال صغيرة مرسومة بعناية فائقة ، والآخر خط سريع وهو الهيراطيقي ، وكان يستعمل للكتابة على ورق البردي ، والرموز الهيراطيقية ما هي الا رموز هيروغليفية مختصرة ، وابتداء من العصر الاثيوبي ٦٥٠ ق .م . وبخاصة في عصر البطالسة ، ظهر خط ثالث بسط من الهيراطيقي اطلق عليه اسم الديموطيقي ، وكان يستعمل في كتابة اللغة العامة وكانت صورة الهيروغليفية تكتب افقيا في الزمن القديم ٢٤ حرفا وتكتب من اليمين الى اليسار ومن اعلى الى اسفل وهي الرموز التي توصل الى حلها شامبليون . اما الهيروغليفية الحديثة فتتجهه من اليسار الى اليمين كما ذكرنا سابقا .

ولما اعتنق المصريون المسيحية هجروا الكتابة القديمة لما رأوه فيها من تعقيد واستعملوا الابجدية الاغريقية[٢٥] ، وفي نهاية القرن الرابع بعد الميلاد كان قد نسي الناس قراءة الهيروغليفية ثم ان اللغة القبطية التي هي خليط من المصرية القديمة العامة وكلمات اغريقية واجنبية ، ابطل استعمالها بدورها كلغة عامة ، وحلت محلها العربية . وابتداء من القرن السادس عشر بعد الميلاد اصبح استعمالها قاصرا على الطقوس الدينية في الكنائس .

وفي اوائل القرن التاسع عشر نجح (جان فرنسوا شامبليون ean Francois Champollion) الفرنسي في حل رموز الكتابة المصرية القديمة . والكتابة الهيروغليفية كتابة معقدة اذ أن رموزها قد تستعمل تارة للتعبير عن الاصوات وتارة اخرى ...

---

(٢٣) موجز في وصف الآثار الهامة ـ المتحف المصري ـ ، ص ٨ ، ١٩٥٤ .

(٢٤) نفس المصدر اعلاه . ص ١١٨

(٢٥) صموئيل كريمر : الواح سرمد ـ ترجمة د . طه باقر

للتعبير عن الافكار ، ولما كانت الحركات غير مبينية فلا يمكن النطق بالكلمات الا على وجه التقريب ويرجع التباين في قراءة اسماء الاعلام الى ذلك ، نظرا لتعدد الطرق التي اتبعها الاثريون في كتابتها .

وفي كل الاحوال تكتب الرموز بحيث تكون اشكال الانسان والحيوان متجهة نحو اول السطر . وقد جرت العادة ان تكتب اسماء الالهة متقدمة على سواها اذا كانت جزء من اسماء الاعلام وذلك احتراما لها ، حتى ان كانت في الآخر .

مدارس تعلم الكتابة المسمارية

كشفت الابحاث الاثرية عن مدارس كان يتعلم بها الصبية والصبيان الخط المسماري في ذلك العهد على رقم مستطيلة من الطين المجفف قليلا وبالقلم المثلث الرأس يتعلم التلميذ كتابة المفردات الكلمات بسطور طويلة ثم الجمل القصيرة وكانت عملية التصحيح والترتيب تجري من قبل المعلم الاستاذ ومن المعلوم ان شبه جزيرة سيناء هي من اقدم بلاد العرب عمرانا ، وعرف الخط المسماري في العراق القديم (ما بين النهرين) كما عرف المعينيون في الدولة الجنوبية في اليمن (المعينيون وسبأ وذو ريدان وحضرموت) .

يقول العلماء الالفبائية السينائية هي المبرمجة على الابجدية المصرية ، وقالوا ان نقوش سيناء التي عثر عليها فلندرز بتري في المقابر السينائية (سرابت الخادم) انما هي الابجدية الكاملة وهي التي تنطوي على شبه معين بالنقوش الهيروغليفية التي نراها في اللوح المصري ولكن لا يمكن تفسيرها على انها هيروغليفية اطلاقا[٢٦].
تتألف هذه الرموز السينائية من ٢٢[٢٧] حرفا صامتيا في هذا الجدول بنقوش صورية ولكن على نظام النبأ ابجدي فالنظرية السينائية مؤداها ان نقوش سيناء هي الارومة التي منها اشتق الفينيقي والسبأي والمسند الحميري . ولكن هذا الجدول يرينا ان حروف العربية الجنوبية قد تفرعت من السينائية مباشرة . ومن هنا تراجعت النظريات كما سيراه القارىء[٢٨].

يتفق الباحثون على ان العربية الاولى قديمة فتاريخ وجودهم في جزيرتهم قديم جدا لا يمكن تحديد مبداه يوم لم تكن اي كتابة في الوجود ولم تكن اللغة الفصحى قد غدت لغة العرب بل ولم يكن اسم العرب قد غدا علما على العرب ولما دخلوا التاريخ لم يخترع حروفهم غيرهم ولم يوجد مثلها على الحجر[٢٩].

كما وان المؤرخين قد عرفوا ان الكنعانيين هم بنو كنعان الذين تناولتهم التسمية الحديثة الاوربية بالساميين وان هذه التسمية اطلقت على اقوام سكنوا الهلال الخصيب وسوريا والاردن وفلسطين وسيناء وما الفينيقية الا اغريقية وهم الاقوام

---

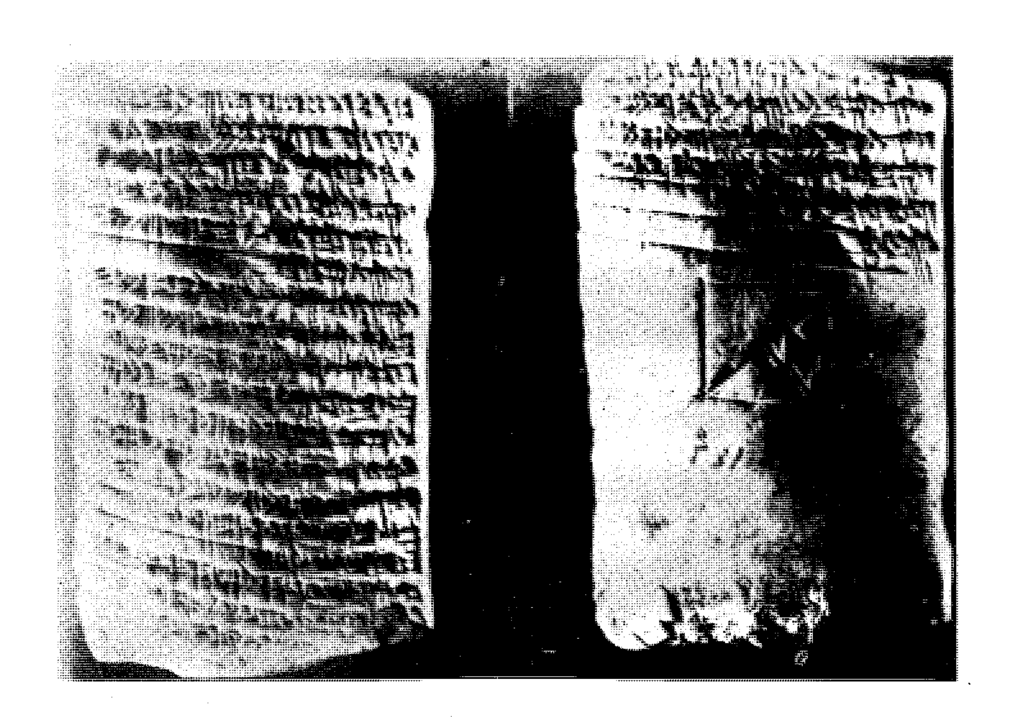
(٢٦) فيليب حتي : تاريخ العرب مطول ج ١ ص ٩٢

(٢٧) انيس فريحه ــ الخط العربي نشأته مشكلته بيروت ١٩٦١

(٢٨) فيليب حتي : تاريخ العرب مطول ، طبعة بيروت ١٩٥٨

(٢٩) انظر : كتبوا على الطين ادوار دكيرا ــ ترجمة الدكتور فرحان باقر وانظر الواح سومر ، صموئيل ، ترجمة د . طه باقر ص ٢١٥ ص ٢٢٤

الذين هاجروا من الجزيرة العربية ومنهم من تأثر بحضارة السومريين القدماء في القرن الثامن عشر قبل الميلاد .



كتابة اوائل الاشياء على الرقم الطينية في التاريخ القديم واول من اخترع طريقة ناجحة في الكتابة .

عرف «سفر الامثال» العبراني منذ زمن طويل وهو يعد اقدم مجموعة من الحكم والاقوال المأثورة في تاريخ الانسان الاول . بيد ان العالمين ادوارد كيرا وصموئيل كريمر[٣٠] قاما بنشر مجموعات وفصول من مكتشفات في آثار نفر وغيرها من انحاء العراق مما يعود لازمان اقدم ازمان وجود تلك الكتب العبرية .

ان الفضل كله يعود لما قدمه وسيقدمه الباحث السومري في (اوائل الاشياء) واصول الثقافة وماذا كانت مثل الانسان الاخلاقية مدونة ؟ وماذا كانت آراؤه الدينية ؟ وكيف كانت افكاره السياسية والاجتماعية وتأملاته الفلسفية ؟ وكيف كانت اوائل المدونات في التاريخ والاساطير وقصص الملاحم والتراتيل الدينية؟ كيف كانت تصاغ اوائل العقود القانونية ؟ من كان اول مصلح اجتماعي ؟ متى حدث لأول مرة في

---

(٣٠) انظر سومر : ج ١ ، ٢ ، ١٣٨١ المجلد ١٧ ص التقدير بقلم باقر مدير الاثار العام

التاريخ تخفيض من الضرائب ؟ متى كان اول مشرع ؟ متى اجتمع اول برلمان ذي مجلس ؟ كيف كانت اول مدارس التعليم عند البشر ؟ وكيف كانت مناهجها وهيئة مدرسيها وطلابها ؟ وعلى ما يعلم التاريخ حتى الان ان اول من اخترع وطور طريقة ناجحة في الكتابة هم السومريون . وهذه بعض الامثال السومرية اقتبسناها لانها جديرة بالاطلاع لان الامثال تكشف لنا عن الميول السومرية التي تسبق الامثال المصرية من مهدها بعدة قرون . فقد وجد خلالها الدارسون ان السجية او الخلق الذي تكشف عنه هذه الامثال السومرية تشبه سجايانا شبها عجيبا بحيث تجد فيها انعكاسات ميولنا وحوافزنا وعيوبنا وحيرتنا عامة . والرجوع اليها يثبت لك الاخوة البشرية والانسانية المشتركة بين جميع الاقوام والاجناس ، وقد جمعت الامثال السومرية قبل نيف وخمسة وثلاثين قرنا . والذي لا شك فيه ان هذه الامثال قد تداولتها الالسن قبل ان تدون بقرون ايضا ، فمثلا نجد فيها المشتكي المتباكي الذي يعزو كل اخفاق الى القضاء والقدر فيقول «لقد ولدت في يوم نحس» وقالوا في غير ذلك «ايكون حمل بلا جماع» ؟ «وهل تحدث سمنة بلا اكل» وقالوا «لو وضعت في الماء لفسد الماء» وقالوا «كتب علينا الموت فلننفق» وقالوا «يقترض الفقير فتركبه الهموم» وقالوا «المرأة البرمة القلقة في البيت تضيف عذابا» لا وقالوا «تدوم الصداقة يوما ولكن القرابة الى الابد» وقالوا في الكلب : «الثور يحرث والكلب يخرب خطوط الحرث العميقة» تدليلا على انه غير امن للانسان . وقالوا فيه ايضا : «الكلب هو الذي لا يعرف بيته» كما يقول المثل العامي العراقي «كلب ابو بابين ميراد» وقالوا : «لا يستطيع كلب الحداد ان يقلب السندان ولذلك فهو يقلب اناء الماء بدلا منه» وقالوا في الحث على الكد والمثابرة «يد الى يد يمكنها بناء بيت المرء» وقالوا : «معدة الى معدة تخرب بيت المرء» .

وقد عبروا عن المظاهر بقولهم : «يمكن ان يكون لك سيد ، او قد يكون لك ملك ولكن الرجل الذي تخشى منه انما هو جابي الضريبة» وقالوا : «انني جواد اصيل ؟ ولكنني ربطت مع البغل» .

هذا ما نقلته الينا الرقم الطينية الاولى المنقولة عن الاوائل بالخط المسماري المحفوظة في المتاحف وهي كثيرة . وكان السومريون يستهزئون في قولهم البليغ بحق من لايحسن التهجئة . وضبط حركات الكلمات في الكتابة السومرية (وهي كما نعلم خالية من الحركات) : «الكاتب الذي لا يعرف السومرية اي كاتب هو ؟» والجدير بالذكر ان المؤلف ذكر في مجموعة هذه الامثال والاقوال السائرة المأثورة انها لم تكن سوى باب واحد من ابواب ادب الحكمة عند السومريين الذين اغرم كتبتهم فيها ، الى هنا نمسك في هذا الباب ولمن اراد الاستزادة فيحسن رجوعه الى «من الواح سومر» وان الادلة الجديدة الممكن استخدامها من الاثار التي ستكشف سوف تفسر بلا شك بموجب وجهات نظر لا يتفق عليها العلماء المحققون في المستقبل .

مسلة حمورابي تحمل الشريعة المشهورة لاكبر مجموعة من القوانين تضم ٢٨٢ مادة (من متحف اللوفر)

حمورابي من السلالة الملكية الاولى التي حكمت بابل سنة ١٨٣٠ق.م اشتهر الى جانب اعماله العظيمة بانتصاراته التي احرزها على اعدائه وبقوانينه التي سجلها على مسلة كبيرة من الحجر الديوريت يبلغ طولها ٢,٢٥ وقطرها ٦٠٪ سنتمتر عثرت عليها البعثة التنقيبية الفرنسية في (سوسة) عام ١٩٠١م . وفيها ٢٨٢ مادة . نصبت في الاصل في مدينة بابل في بلاد الرافدين في محل يستطيع الناس مشاهدتها فيه كي يقرأها كل من يستطيع القراءة ليعرف حقوقه وفق القانون .

نقلها الغزاة العيلاميون وازلوا جزءا من كتابتها ليسجلوا مكانه انتصارهم ثم ظلت هذه المسلة مجهولة بعد الخراب الذي اصابها حتى عثر عليها في مطلع القرن العشرين وقد اظهرت هذه المسلة للعالم البابلي ما ليس له مثيل . ومهما كان للرومان من فضل في حقل التشريع فقد سبقهم البابليون فيه بما لا يقل عن الفي عام على انه كانت هناك شرائع سابقة مما عثر عليه في التنقيبات تعود للسومريين كقوانين (اوروكاجينا ٢٣٦٠ق.م) واورغوا مؤسس سلالة (اور الثالثة) ١٨٧٥ ـ ١٨٦٥ق.م لقد تمكن هذا المشرع البابلي الشهير حمورابي (واصله من الاموريين) من توحيد البلاد ومعظم الشرق الادنى في نهاية القرن الثامن عشر قبل الميلاد[٣١] ومن فقرات موادها (من احرق احدا احرقناه) (من قطع يد احد قطعنا يده والعين بالعين والسن بالسن) (ومن يسرق من اموال الالهة يقتل ويقتل من تكون معه تلك الاموال) .

انتشار الخط المسماري ومراحل اختصار علامات الكتابة المسمارية على ممر الزمن .

ان النصوص المسمارية التي جاءتنا من مدينة الوركاء من الالف الرابع[٣٢] قبل الميلاد تمثل اقدم النصوص على الاطلاق ، وان عدد علاماتها المستخدمة في النصوص المذكورة فقد بلغ حوالي الف علامة واذا ما حاولنا معرفة عدد العلامات المسمارية التي استخدمت خلال هذه الفترة في جميع المناطق السومرية . فانه يخمن بالفي علامة تقريبا . وقد اختصر هذا العدد الكبير الى ٨٠٠ علامة في منتصف الالف الثالث قبل الميلاد . وبعد قرن ونصف من هذا التاريخ اختصر عدد العلامات المسمارية الى ٥٠٠ علامة . هذا ومما تجدر الاشارة اليه هو ان اللغة الاكدية التي اقتبست الخط المسماري السومري قد استطاع اهلها ان يكتفوا بعدد ضئيل من العلامات . منذ تسلم الاكديون الحكم (بزعامة سرجون الاكدي) في جميع مناطق العراق القديم وانتقل الى (عيلام) وكتبت به اللغة الحورية وفي بداية الالف قبل الميلاد انتقل الخط المسماري عن طريق مدينة (ماري) على الفرات الى شمال سوريا فاقتبسه الحثيون

---

(٣١) جاء الاكديون الى العراق في الالف الرابع ق . م وعاشوا مع السومريين ومعهم العموريون وتلاشوا وبادوا . ق . م والعموريون هم نسبة الى امورومفاها (الغرب)

(٣٢) انظر قواعد اللغة السومرية ، د . فوزي رشيد ص ٢٥

في بلاد الاناضول واستخدم في كبادوكيا وصار يدعى بالخط الاشاوري القديم وهو نفس المسماري[٣٣] .

ثم انتقل خلال القرنين ١٥ ـ ١٤ق.م الى مصر واستخدم في مراسلاتهم الملوكية في منطقة الشرق الاوسط ، واستخدم الخط المسماري في منطقة عيلام في العهد الاخميني المتأثر بالخط المسماري الشائع نفسه كذلك .

اللغة السومرية

بجانب الحقيقة الواحدة التي يسلم بها علماء الكتابات القديمة وهي ان السومريين قوم غير ساميين بسبب عدم وجود الكتابة قبل الدور الذي ظهرت فيه الكتابة السومرية الاولى الا ان الدراسات اللغوية الاولى قد اثبتت وجود كلمات سامية وغير سامية قد اقتبستها اللغة السومرية واذا كان الشعب الثاني سيظل مجهولا فان المسلم به هو العنصر السومري الذي له هجرة واحدة ثابتة الى جنوب العراق وقد اختلف الباحثون في موطنهم الاصلي اختلافا شخصيا .

اما العنصر الذي قدم العراق بهيئة موجات في فترات مختلفة فقد تمركز في وسط العراق في محافظات بابل وبغداد وديالى وهم الساميون الذين يسميهم الآثاريون الاكديين الذين بدأوا مرحلة جديدة في التاريخ الحضاري في النصف الاول من الالف الرابع ق.م ..

وفي هذا الدور الذي اعقب نهاية دور (جمدة نصر) وسبق ظهور السلالة الاكدية بقيادة مؤسسها (سرجون الاكدي) ٢٧٠٠ ـ ٢٣٤٠ ظهرت سلالات ملكية في كيش لكش ، الوركاء واور . وردتنا من ملوكها كتابات تاريخية علمنا منها ان اخر ملوك هذه السلالات قامت على يد اصلاحات اجتماعية جعلت منه اول مصلح خلده التاريخ وانه من اصل اكدي حمل مشاعل الحضارة واستولى على لكش والوركاء وبسمايا واريدو . هؤلاء الاكديون الساميون في ما بين النهرين اشتهرت منهم سلالة اور ببناء الزقورات والمعابد وخلفوا اقدم قانون قانون معروف لحد الان . وزالت وحدة البلاد واشتهرت (مدينة ايسن ولارسا) وظل الامر كذلك حتى استطاع حمورابي الملك السادس من سلالة بابل الاولى توحيد البلاد من الشمال الى الجنوب مرة اخرى .

سرجون الاكدي :

يعتبر سرجون هذا اول قائد عربي عرفه التاريخ ومؤسس اول مملكة عظيمة في غربي آسيا وانه هو وعشيرته نزحوا الى العراق من شرقي جزيرة العرب ويروى[٣٤] عن سرجون انه وصل الى جزيرة «كريت» اما في الشرق فقد ضمت بلاده العيلاميين وهو اليوم عربستان في جنوب شرقي العراق ودام حكم الاكديين على بلاد اكد وبلاد سومر حوالي ٢٣٧١ ـ ٢٢٥٠ق.م وقد لقب سرجون نفسه بملك الاقاليم الاربعة .

للكتابة المسمارية والحروف الهجائية صلة حضارية وتاريخ متكامل اوجدها العراقيون القدماء من اهم المكتشفات الحديثة للخط

ان عملية التدوين يصح ان نسميها حافظة الانسان لتراثه الطبيعي وانها وسيلته

---

(٣٤) انظر : «ديفد درنجر» الكتابة

المثلى لمعرفة وماضي علمه وثقافته ، يتجلى فيها ما تراكم لدى الانسان مما وصلت اليه الحضارة في ماضيها وحاضرها المتقدم الذي هو نتاج فكره البشري المستمر بفضل الكتابة رغم جميع المعوقات كحوادث الدمار والحروب التي ازاحت عن المسرح الحضاري دولا وامبراطوريات في ازمان واماكن مختلفة من هذا العالم وكادت ان تؤدي بارثها الفكري . ولولا الكتابة منذ الاف السنين والحفاظ على ارثها بواسطة الحروف والرموز والتطور لما وصل الينا شيء يذكر .

ومنذ القرنين ١٧ و ١٨ الميلاديين قام بعض البحاثين والمؤرخين في الغرب بوضع كتب مفصلة لدراسة الكتابات المسمارية وان لم يوفقوا في وصل الحروف الهجائية بجذور تطوراتها . وتوقف بعضهم عن حدود معرفته واجتهاده والمامه بالحروف الهجائية على ما كتبه المؤرخون الاوائل عن اقتباس الفينيقيين الحروف الهيروغليفية المصرية ، ومن هؤلاء المؤرخين المؤرخ الروماني تاسبتوس في (تاريخ اخباره) : ان الاناس الاوائل الذين عبروا عن آرائهم بواسطة (الخط التصويري) هم المصريون ، وتعتبر الوثائق المحضورة على المرمر وما تزال من اقدم السجلات البشرية المنقورة على الحجر ، ويزعم بانهم اوجدوا الحروف الهجائية فعلموها الفينقيين الذي كانوا سادة البحر المتوسط وقدموها الى بلاد الاغريق وهم فخورون بذلك .

ويأتي الباحث «في اصول الحروف الهجائية ومنشئها» العالم كاردنر ليؤيد بدوره الهيروغليفية المصرية ويعتبرها الحروف الابجدية الصورية التي اقتبستها اقوام الجزيرة العربية (وهم عرب دون ريب) الساميون في التدوين مستندا بذلك الى الكتابات التي اكتشفت في سيناء على ١٥٠ علامة مصورة ايضا كما رسمت في لوحها يقول انها تضم بينها (٣٢) حرفا هجائيا وقد اعتبرها نماذج صالحة لايجاد اوجه الشبه بينها وبين ابجديات اقوام الجزيرة العربية .

واما ما ذكره الاستاذ الدكتور طه باقر في مقدمة كتابه (تاريخ الحضارات القديمة) ١٩٥٧م فيتضمن عمومية وشمولا في تساؤله عن كيفية نشوء هذا التطور عن اختراع حروف الهجاء ، رغم انه قد أكد بأن اهل الحضارة الجنوبية قد طوروا خطهم المسند بأنفسهم وانه يرجع انها اقرب للهيروغليفي منها الخط المسماري ريبرز كذلك مبدئي الاصل والحاضر ويقتصدون بذلك ما اذا كانت الحروف الهجائية قد ظهرت بحوافز من الهيروغليفية او انها ذات اصل مسماري . ونحن نرى ان هذه الدراسة لا تسمح بتناول موضوعنا بالتفصيل المطلوب والمناقشة لكافة الآراء والفرضيات التي وردت بخصوصها للوصول الى رؤية واضحة لتطور الخط الذي سلكه التدوين عند البشر ، بدءاً بالخط المسماري العراقي وانتهاء بالابجدية التي تسود العالم في يومنا الحاضر وسنمر بهذا البحث عند تناوله .

اي الكتابتين اقدم : الهيروغليفية ام المسمارية في حين ان المسمارية اقدم بثلاثة قرون

ان الباحث «ديفيد ديرنجر» (الكتابة – Writing) يرى بأن الهيروغليفية المصرية والكتابة بالخط المسماري هما من اهم الكتابات المكتشفة في منطقة الشرق الاوسط فكلمة هيروغليفي مشتقة من اللغة اليونانية وقوامها كلمتان وهما وتعني مقدس و (giyphein) وتعني الحفر . لذلك فان الهيروغليفية تعني الخط المقدس ، وكانت تستخدم للاغراض الدينية كالكتابة على جدران المعابد والنواويس والتماثيل والبرابي والمسلات وسائر المنحوتات والنقائش الدينية بالالوان اما عن زمن هذه الهيروغليفية ، فان الباحثين متفقون على ان اقدم نموذج منها لا يزيد عمره عن الالف الثالث قبل الميلاد . وهذا الفريق من الباحثين لم يقدم اي برهان او دليل يبرهن به على ان الكتابة الهيروغليفية اقدم من الكتابة المسمارية في الوقت الذي يتفق معظم الباحثين على ان الكتابة المسمارية هي اقدم من الهيروغليفية بثلاثة قرون على اقل تقدير .

وعلى اية حال ، فان اقدم نماذج من الهيروغليفية جاءتنا منقوشة على الواح من الحجر اهمها لوحة (نارمز) من مدينة هيراكون بولس الواقعة على بعد ثلاثة كيلومترات جنوب مدينة طيبة ، على وجهيها نوع من الكتابة الصورية تمثل احد الملوك المصريين في مسيرة لجنده ضد اعدائه ، وقد عرفت حضارة وادي النيل ثلاثة انواع من الخطوط وهي حسب تسلسلها : هيروغليفي وديموطيقي .

اقدم نماذج صورية مسمارية في العالم

تعتبر الكتابة المسمارية من عصر الوركاء والمكتشفة في المدن القديمة «كيش واوما وجمد نصر والوركاء» اقدم نماذج العلامات الصورية في العالم ، ويعتبر الخط المسماري اقدم واكمل نظام للتدوين في العالم ايضا خلال الفترة الاكدية والبابلية . وقد تطور هذا الخط من مراحله الصورية والرمزية منذ منتصف الالف الرابع قبل الميلاد حتى بلغ مرحلة النضوج والكمال اثناء الثلث الأخير من الالف الثالث قبل الميلاد .

ان اول من اطلق مصطلح (الكتابة المسمارية) على كتابتنا القديمة الأثرية العراقية هو العالم الانكليزي (T. H. Regiuss) استاذ اقوام لغة الجزيرة العربية (السامية) في جامعة اكسفورد عام ١٧٠٠م . وبقيت هذه التسميته سائدة على الكتابة التي اوجدها العراقيون القدامى حتى وقتنا الحاضر ، والمسمارية ترجمة للكلمة (coneiform) التي قوامها في اللاتينية كلمتان ، اولاهما (cuneus) وتعني مسمارا والاخرى (Forma) وتعني شكلا .

وقد سبق ان اشرنا الى الاقوام والشعوب التي دونت لغاتها بالخط المسماري ، وان هذا الخط بقي سائدا الى ان حل محله الخط الآرامي محل الخط المسماري الا ان الخط الأخير بقي الأبجدي . وبالرغم من حلول الخط الآرامي

مستمرا في الاستعمال بعض الوقت بعد ميلاد السيد المسيح في اوساط بعض المحافظين من الكهنة والقضاة وعلماء الفلك .

اطوار الكتابة المسمارية الثلاث : الصوري ، الرمزي ، المقطعي

مر الخط المسماري خلال مسيرة تطوره بثلاثة مراحل وهي :

١ ــ الطور الصوري وهي التي رسمت من الشيء الذي يمثلها . ففي هذا الطور عندما نرى صورة للقدم وتلفظ هذه العلامة (دو du) فانها تعني قدم انسان وكذلك العلامة التي تمثل النجمة تلفظ (دو) وتعني نجمة . والصورة التي تليها وتقرأ (آپن) وتعني محراث والرابعة تقرأ (اور) وتعني كلب والاخيرة ، الخامسة ، تقرأ (ساگك) وتعني رأس ويتقدم هذا الطور نحو الطور الرمزي وهو الطور الثاني :

٢ ــ اي ان العلامة الصورية في هذه المرحلة كانت تستعمل للتعبير عن معنى ذلك الشيء الصوري ، فصورة القدم اصبحت ترمز الى الافعال التي تصدر او تقدم بها كالذهاب والدخول والخروج والوقوف ايضا . واما صورة النجمة وهي الصورة الثانية فمن دلائلها الارتفاع في السماء والعلو فصارت علامة تسبق اسماء الالهة ، وصورة رأس الكلب قامت مقام الوفاء واحيانا تأتي بمعنى العدو ، وصورة المحراث اخذت تعبر عن الفل (حرث) وعن كلمة فلاح (بدلالة علامة سابقة) وعلامة الرأس البشري صارت تعبر عن الوجه والامام او الطور المقطعي او الصوتي .

٣ ــ وفي هذه المرحلة اصبحت العلامة المسمارية لا تشير الى مدلوليها السابقين (الصوري والرمزي) فحسب بل اصبحت العلامة المسمارية قطعا اي مجرد قيمة لفظية بحتة دونما اهتمام لاي مدلول آخر ، اي غدت وسيلة للتعبير عن الافكار المجردة لكتابة اي قيمة صوتية لدمج العلامات المسمارية مع بعضها ، كما هو الحال في دمج الحروف الهجائية لتكوين الكلمة التي بدورها تكون جملا ينطق بها وتكتب على هيئة اسطر مسمارية على الطين .

وهذا هو الطور الذي بلغت فيه الكتابة المسمارية مرحلتها الاكتمالية والنضج لتدوين المؤلفات في العلوم ولتحرير المراسلات والمعاملات التجارية والرسمية ، واستمر هذا الخط في الاستخدام منذ منتصف الالف الرابع قبل الميلاد ــ كما عرضنا ــ الى ان حل محله الخط الآرامي ، المتميز بحروف خطية مشتقة من الحروف الهجائية السامية الشمالية المبكرة السهلة الكتابة .

---

(٣٣) الدكتور : حسن ظاظا ــ الساميون ولغاتهم ١٩٧١ ص ١٠

(اسماء الاقوام التي نزحت من الجزيرة العربية)

مما لابد من الاشارة اليه هو ان الاقوام التي هاجرت من الجزيرة العربية الى مناطق الهلال الخصيب والعراق تحت ظروف مناخية او اقتصادية هم : الاكديون ، والبابليون ، والاشوريون والاموريون والكنعانيون مع قسم من الآراميين والعبريين . وقد اطلق العالم (شلوتزر) التسمية السامية على من اشرنا اليهم بظهور الساميين على مسرح الوجود في الفصل الخاص بصلات العرب بالساميين في ما تقدم آنفا . فعائلة اللغة السامية لغة اقوام الجزيرة العربية ذات فروع وشعب ولهجات عديدة يقسمهم البعض الى كتلتين شرقية وغربية . فالقسم الشرقي يشمل اللغة الاكدية والبابلية والاشورية . والقسم الغربي يشمل الكنعانية والارامينة والامورية ويضيف بعضهم القسم الجنوبي ويشمل العربية الجنوبية ولهجاتها .

وبالرغم من هذه التقسيمات فان فروع هذه اللغة ولهجاتها متفرعة من اصل واحد ، فهي لذلك تتشابه في قواعدها النحوية وتصاريف افعالها واشتقاق مفرداتها الى تطابق كثير من كلماتها لفظا ومعنى الى جانب التشابه الكبير بين مفرداتها وتراكيب جملها .

اقدم هجرة للاكديين وسكناهم مع السومريين في العراق ومساهمتهم في الحضارة

يعتقد العالم (د . ديرنجر) في كتابه (Writing) بأن جميع الحروف الهجائية التي تتلاقى في اللغات الغربية مشتقة عن الحروف الهجائية الاغريقية وهي مقتبسة عن الحروف الهجائية الكنعانية[٣٥] . ومن اجل مناقشة هذا الرأي لا بد لنا من ان نقارن بين قدم هجرة الكنعانيين مع غيرهم من الاقوام التي هاجرت من الجزيرة العربية ومنها ان هجرة الاكديين الى وادي الرافدين كانت في حدود الالف الرابع قبل الميلاد حيث سكنوا مع السومريين جنبا الى جنب وساهموا معهم في بناء الحضارة العراقية الاولى ، بينما نجد هجرة الكنعانيين الى سوريا وفلسطين كانت في حدود الالف الثالث ق.م . والملاحظ عن هذه الفترة ان التأخر كان يخيم على معظم ارجاء العالم فيما كان وادي الرافدين قاطعا اشواطا متقدمة في مسيرة الحضارة والرقي وكان يبعث باشعاعاته الفكرية صوب مناطق الجهل والتخلف . هذا جانب عام ، اما الجانب الاخر فيتعلق بمظهر مهم جدا من مظاهر التقدم الحضاري وذلك هو اختراع الكتابة من قبل سكان العراق ، وادي الرافدين ـ قبل غيرهم من سكان العالم وقبل هجرة الكنعانيين الى مناطق سوريا وفلسطين بخمسة قرون .

ان فارق الهجرة الزمني بين الاكديين والكنعانيين وحقيقة مكانة وادي الرافدين

---

(٣٥) طه باقر : قانون لبت عشتار ، سومر ، ٢١١ ، ٣ ، ١٧٤

انظر نفس المصدر (المجلد) ١٩ ص ١٢٢ ـ ١٩٠ ـ ومقدمة في تاريخ الحضارة القديمة لجزء الثاني (٣٦) على ما يرتئيه د . ديفيد درنجر . انظر كتاب (الفابيت)

الحضارية ساقتنا الى البحث عن اصل الحروف الهجائية الفينيقية . بصورة خاصة ، وعن بقية الحروف الهجائية بصورة عامة ، والاصول التي تطورت عنها تلك الابجديات (الالفبات) منذ الازمان التي سبقتها .

لانه من غير المعقول ان نجد اقواما متأخرة ترتقي بقفزة واحدة الى مرتبة الرقي في قمة السلم التطور الكتابي او الهجائي (اي بحروف معينة ثابتة) دونما تأثير حضاري سابق او تسلسل زمني خاضع لعوامل التطور ومستلزمات التكامل .

وقبل ان اترك للقارىء الكريم امر الحكم فيما اذا كانت مسألة الحروف الهجائية المعاصرة قد تطورت عن المسمارية العراقي عبر طريق الهجائية الفينيقية او عن الكتابة الصورية الهيروغلفية المصرية عبر الطريق نفسه ؟

ومن هنا لابد ان نعقد مقارنة بين الخطين . الخط الهيروغليفي المصري والخط المسماري العراقي ، ولغة كل منهما خلال فترة العهد البابلي القديم (الالف الثاني قبل الميلاد) .

اولا : ذكر موريس دونالد (عن كتاب قواعد اللغة المصرية لمؤلفه «گاردنر» بأن عدد الرموز الصورية الهيروغليفية المصرية قد بلغت ٧٣٤ علامة مستثنيا من هذا الرقم الا ، . فيما يذكر ليغيغر ٧٤٩ علامة اما العالم ديڤد درنجر فيذكر ان عددها ٦٠٤ علامات مستثنيا من هذا الرقم الاعداد المجردة والمقاطع المتكونة من حرفين صحيحين او اكثر ويضيف ايضا بلوغ تلك العلامات الهيروغليفية في الادوار الاخيرة اكثر من الف علامة . اما فيما يتعلق بعدد العلامات الدالة والعلامات المساعدة على القراءة (متممات صوتية) فقد بلغت ١٦٨ ايضا هذا العدد من العلامات بعض كلماتها ذات علامتين دالتين .

نخلص من هذا : ان بلوغ هذه الرموز الهيروغليفية المصرية وعلاماتها الدالة والمساعدة هذا العدد الذي يتجاوز الالف علامة ، مما يجعل شيوع استعمال هذا الخط مع وجود لغات اخرى تتميز بنموها واشتقاقات مفرداتها عسيرا . لذلك فان احتمال تطور الحروف الابجدية لاقوام الجزيرية العربية ـ السامية ـ عن الهيروغليفية في نظري يكون ضعيفا جدا سيما وان اللغة او اللهجة المصرية القديمة تختلف اختلافا كليا عن لغة اقوام الجزيرة العربية .

ثانيا : ان الخط المسماري كما ذكرنا سابقا هو اقدم الخطوط في العالم ويرجع تاريخ اختراعه الى منتصف الالف الرابع قبل الميلاد . وقد مر بثلاث مراحل تطورية خلال مسيرته التاريخية ، اما الخط الهيروغليفي فقد ظهر خلال الالف الثالث قبل الميلاد وتطور تطورا سريعا دونما مسار في مراحل التطور التي مر بها الخط المسماري وهذا ما دفع ببعض الباحثين الى ان يعزو هذه السرعة في التطور الى حوافز وتأثيرات خارجية ، ومما لا شك فيه ان المقصود بالحوافز الخارجية والتأثير هو الخط المسماري العراقي .

اما عدد العلامات او الرموز المسمارية في فترة العهد البابلي القديم فقد بلغت حوالي ١٠٠ علامة مسمارية عدا العلامات او الرموز المسمارية التي تقوم مقام الكلمات (Idiogra- ms) وهذه العلامات قليلة الاستعمال وعندما تستعمل علامة منها لتقوم مقام الكلمة فمن باب الاختزال والاختصار وليس من باب عدم امكانية كتابتها بواسطة العلامات المقطعة المتكونة من حرفين .

ثالثا : ان الكتابة المسمارية التي وجدت في وادي الرافدين التي طورها الاكديون والبابليون والاشوريون كانت تماما لقواعد لغتهم النحوية وتعاريف مفرداتهم اللغوية ولغة اقوام الجزيرة العربية لانها من عائلة لغوية واحدة[٣٦] وقد ادت دورها في هذا المضمار اللغوي الفريد على اكمل وجه .

اما الكتابة الهيروغليفية واستنادا الى ما ذكرناه فلم تصلح لاداء مثل هذا الدور الذي ادته الكتابة المسمارية لان دلالات الاعراب في لغة اقوام الجزيرة (اللغة السامية) واشتقاقاتها وتصاريفها لا يمكن بأي حال من الاحوال ان تؤدي تؤديها الهيروغليفية ، وضمن هذا التعليل نجد مبررا يحمل الاقوام والشعوب التي نزحت من الجزيرة العربية التي تتكلم هذه اللغة العربية القديمة ان تطلق اعنة لغتها لتدون ماثرها ومعرفتها بنحو الكتابة المسمارية التي كانت وافية لهم في حفاظها على تراثهم اللغوي خلال ادوار سيادتها في العراق او الشرق الاوسط .

رابعا : الخط الاوغاريتي الهجائي : تعتبر الكتابة المكتشفة حديثا في مدينة اوغاريت (راس شمرا) في سوريا حدثا تاريخيا مهما بالنسبة للباحثين في الدراسات السامية (لغة وكتابات اقوام الجزيرة العربية) ويعتقد معظم العلماء بأن الحروف الهجائية الاوغارتية المدونة بالشكل المسماري ليس لها اية علاقة بالخط المسماري العراقي عدا كونه مكتوبا باشكال تشبه رؤوس المسامير ، وانها تكتب كما يكتب الخط المسماري من اليسار الى اليمين . وانني حين لا اشارك هذا الفريق من الباحثين رأيهم المذكور اعلاه ، ارى ان الخط الهجائي الاوغاريتي متأثر بالخط المسماري العراقي ومقتبس عنه .

لانه من غير المعقول ان يستخدم قوم اسلوبا معينا من الكتابة او خطا من الخطوط دون ان يكون لتلك الكتابة او لذلك الخط تأثيرات او مميزات خاصة ينفرد بها عن غيره من الخطوط ، والا لماذا لم يستخدم سكان مدينة اوغاريت التدوين اللغوي السامي .

وبالنظر لانتساب اللغة الكنعانية المدونة بالخط الاوغاريتي الهجائي (الذي عثر عليه الى عائلة اللغة السامية) ولتجسد اقتران الشكل المسماري بالخط الاوغاريتي واقتران اوجه الشبه بين معظم هجائية هذا الخط وبين معظم علامات الخط المسماري شكلا ونطقا كما هو موضح في الجدول الآتي فان الهجائية الاوغاريتية ما هي الا علامات مسمارية مقتبسة ومطورة عن الخط المسماري العراقي من فترة

العهد البابلي القديم ، قد اجرى عليها سكان مدينة اوغاريت اختزالا وتحويرا بسيطين .

الخلاصة

يتضح مما قدمناه من مناقشة للآراء والافكار وما عرضناه من جداول توضيحية لانواع الابجديات وتعدد الخطوط ، بأننا نستطيع ان نعتمد عاملين رئيسين يمكن اعتبار حصيلتهما مولد الطريقة الهجائية في التدوين بصورة عامة والهجائية الاوغاريتية بصورة خاصة لانها تعتبر اقدم واكمل نظام هجائي في العالم وهذا العاملان هما .

١ ـ الاقتباس : ويعني به ان الاسس التي اعتمدت في اختيار رسوم او اشكال الحروف الهجائية هل تأثرت واقتبست عن خطوط سبقتها ، او ان فكرة ايجاد الحروف الهجائية قد أوجدت بناء على استعمال الحرف الاول من بعض صور الكلمات المألوفة فاصبحت تلك الصورة تعبر فقط عن الحرف الهجائي كأن يكون شكل البيت في الكتابة الصورية قد استخدم للتعبير عن حرف (الباء) وكلمة جميل لحرف (الجيم) وحرف (الصاد) عن كلمة (صيد) و (الياء) من كلمة يد الى غير ذلك من الحروف والكلمات . ان ما يدفعنا ويشجعنا على رفض الاخذ بهذه الطريقة النظرية هو الحروف الهجائية الاوغاريتية[٣٧] التي ليس لها علاقة بالصورة المذكورة ولكون هذه الابجدية تنتسب الى منتصف الالف الثاني ق.م . ثم ان تسمية الحروف الهجائية ـ (ألف ، بيت ، جميل ، داليت ، هاء ، واو ، زاين ، حيط ، طيث ، كوف ، لامد ، ميم ، نون ، سين ، عين ، فا ، صاد ، قوف ،) جاءت متأخرة بالنسبة للحروف الهجائية الاغاريتية بحوالي ثلاثة قرون وهذا يعني ان تسمية الحروف الهجائية بالاسماء التي ذكرناها آنفا قد أختيرت بصورة مستقلة ومتأخرة عن اشكالها ، بغية اعطاء تلك الحروف دلالات مألوفة ومرئية في حياة المجتمع اليومية كي تسهل استمراية تذكر كتابتها ونطقها ، هذا من جانب مهم ، اما الجانب الاهم وهو اشكال الحروف الهجائية القديمة والمتأخرة تشبه تماما بعض العلامات المسمارية والبعض الاخر لها شبه كبير بتلك العلامات نطقا وشكلا وهذا ما يدفعنا الى الاعتقاد بأن اشكال الحروف الهجائية مقتبسة من العلامات المسمارية .

٢ ـ الحافز

ويقصد به الدوافع والمحركات التي ادت الى ايجاد الطريقة الهجائية في التدوين والتي نستطيع حصرها في مصدرين رئيسيين . اولهما : حافز الكتابة المسمارية لاحتوائها علامات تؤدي اصوات حروف العلة وبصورة مستقلة مثل : اضافة الى العلامات والمقاطع قوامها حرفان ، حرف صحيح وحرف علة ، اما الحافز الثاني ، الذي ساهم في ايجاد الحروف الهجائية فهو ان الخط الهيروغليفي يحتوي على علامات لحروف صحيحة ومستقلة ، اما عن حروف

العلة فانها غير موجودة في الخط الهيروغليفي ولهذا السبب فان نطق الكلمات بالخط الهيروغليفي بصورة مضبوطة يكاد ان يكون معدوما او عسيرا جداً . وبعكسه في الخط والمسماري الذي يستقيم فيه النطق الصحيح لاي كلمة من الكلمات في تلك النصوص وحسب موقعها من الجملة ، معربة فاعلا كانت او مفعولا جارا او مجرورا وموصوفا تتبعه صفة حسب حالة موصوفها مفردا كان ام جمعا ، مذكرا او مؤنثا . وكل ذلك يخضع لقواعد اللغة البابلية التي هي نفسها قواعد اللغة العربية ـ عدا بعض المستثنيات تظهر في اواخر الكلمات دلالات للاعراب ، كالرفع للفاعل والنصب للمفعول والجر للمضاف اليه وللمجرور باحد حروف الجر . ناهيك عن الضمائر المنفصلة والمتصلة واسامي الفاعل و المفعول ، والاشتقاقات الاخرى نحواً وصرفا .

وباستمرار الحفريات توالي ظهور الرقم الطينية المكتوبة باللغة السومرية والاكدية فاتضح ان صرح هذه المدينة يقوم على حضارة بلاد الرافدين ـ العراق ـ بوجود هذه الرقم نفسها في بلد تتوافر فيه انواع اخرى من مواد الكتابة مما يقيم الدليل على انتشار نفس الكتابة المسمارية بنفس التأثير الحضاري في كل بقعة من بقاع العالم القديم . وانه ما يزال من الصعب تحديد تاريخ سنة ١٤٠٠ قبل الميلاد لهذه المكتشفات التي عثر عليها في اوغاريت (رأس شمرا) لان ما تتبعنا سير الانتقال المعتاد في ثلاثة اشياء :

الاول : اسلوب الكتابة واللغة .

الثاني : اسلوب الكتابة نفسه واختلاف اللغة عن البابلية .

الثالث : اسلوب جديد في الكتابة ولغة جديدة .

لقد كان النجاح عظيما الى حد كبير في اظهار آثار اوغاريت التي كانت مغمورة ، فنشط المسؤولون الى تنظيم بعثة تحت اشراف العالم الاثري (شيفر) C. F. A. Shaeffer- واستمرت التنقيبات حتى نشوب الحرب العالمية الثانية ١٩٤٠م فتوقفت الاعمال ، ثم استؤنفت في عام ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ . فعثر على وثائق اخرى ووجدان بعض النصوص المسمارية قد كتبت باللغة البابلية[٣٨] فثبت انها اقدم من تاريخ ١٥٠٠ ـ ١٤٠٠ قبل الميلاد .

وفضلا عما نكرنا ان بعض النصوص الاخرى وجدت مكتوبة بلغات عديدة ولم تبلغ الحفريات الا الجزء الايسر من التل بعد ، وهي باللغة الاكدية والحثية والحورية ولغات مجهولة حتى هذا الحين من التنقيبات مما دوخت العلماء بعض الوقت ، ولكنها عولجت من قبل علماء عملوا مستقلين فتوصلوا الى حلها خلال عام واحد وهم : هانز باور الالماني . ادوار دوروم وشارل فيراو الفرنسيين . وقام ثلثهم بنشر ترجمتها للعالم في سنة ١٩١٩م ..

---

(٣٨) وهي السامية الجنوبية او السينائية القديمة التي ندرك من خلال البحوث القديمة بانهما ساميتان (السامية الشمالية والجنوبية) اللتان لا نعرف مدى القرابة بينهما انظر : ص ١٠٩ ـ ١١٤

المفاجاة اظهرت حل كتابة اوغاريت ـ راس شمرا ـ

كان الحل مجرد ظهور ووجود هذه الكتابة اليوغاريتية ومعرفتها انها (الفبائية ابجدية) في تلك الحقبة من الزمن غير ان تلك اثار عددا من المشكلات المحيرة، فأية واحدة من هذه اللغات او بالاحرى اي هاتين اللغتين كونت حروف الهجاء الابجدية؟ هل كان الحوريون الاسبق ام الفينيقيون، وهل توجد صلة بين حروف الهجاء هذه التي استعملت للغتين المختلفتين وحروف الهجاء الاخرى. او هي التي اكتشفها العالم (فلنديرز بتري) في سرابت الخادم ـ في شبه جزيرة سيناء عام ١٩٠٥م. او هل كان ذلك بمراجعة العلماء جميع آرائهم القديمة الخاصة بمصدر منشأ الابجدية التي ظننا ان كتابات سيناء قد حلت هذه المشكلة حيث ان سوريا وفلسطين، كما يعلم الجميع، كانتا جسرا بين الحضارتين العظيمتين لكل من بلاد الرافدين وبلاد النيل، اذ كان التجار على الدوام يمرون خلال هذين القطرين. كما انهما كانتا معرضتين لغزوات وحروب كثيرة استبدل خلالها اسياد باسياد وتأسست خلالها مراكز تجارية مصرية في مدينة (جبيل) القديمة الواقعة على الساحل اللبناني حيث عثر على آثار مصرية في عدة مواقع من شمالي سوريا كما وجدت رقم طينية في اماكن مختلفة منهما مما يدل على شمول الحضارة البابلية ربوع هذه الاقطار التي كانت كتبت بالخط المسماري الذي تتصل جذوره بالكتابة البابلية (السلابارية ـ ١٤٠٠ ق.م.) لحلها. وبعد هذه الاكدية، كما لم تصل كتابات بحر ايجة القبرصية حول قضية اصل الحروف الابجدية التي عني المراحل من التكهنات ونشوء قضية اكاديمية يتدارسها العلماء من كل الوجوه التي بلغ التضارب فيها مبلغه المحير منذ اوائل هذا القرن فرست اقوال المؤرخين[٤٠] على الفينيقيين بعد ان حذقوا تقليد الرموز الابجدية التي اخترعت من قبل من سبقهم من الامم المتحضرة الذين اخترعوا الكتابة المسمارية قاموا باقتباس تلك الابجدية. وان القول بأن الفينيقيين اخذوها عن المصريين امر لم يثبت بصورة قطعية نهائيا.

العالم الاثري (ادوارد كيرا) يؤكد ان الهيروغلفية المصرية اخذت الحافز من الكتابة السومرية الصورية وان تحضر انسان العراق كان قبل الانسان المصري وانسان الشرق الادنى احتمال كبير ...

من المعلوم ان الكتابة في الفترة الشبيهة بالكتابة ومراحلها التي لم تصل بعد الى ترتيب ونظام شبه هجائي ادى الى ان يرسم برموز مسمارية فيما بعد[٤١] المرحلة

---

(٣٩) احمد رفيق التركي، بويوك تاريخ عمومي، ج ٢١ ص ٣٢٤

(٤٠) انظر: كتبوا على الطين، ادوارد كيرا، ترجمة د. محمد الامين ص ١٠٨

(٤١) مقال علمي لها نرشي بارشي المتوفى سنة ١٨٦٥ م نشر في مجلة فكر وفن. محفوظة بباريس انظر: (تاريخ المغرب الكبير لمحمد علي دبوز

الصورية التي اقتبستها شعوب اخرى ليكتبوا بها لغـاتهم السـامية ومنهـا اللغـة العيلامية وهي اقل عددا وعلى ترتيب مقاطع لفظية بحرف علة واحد وحرف صـامت آخر على غرار العلامات المسمارية الاكدية التي رسمناها في الشكل السابق . وهـي تقرب كثيرا من الترتيب الهجائي (ابجد .. الخ) باسماء حروف تلفظ لرسم حـرف . وهذه هي الفاظ لاصوات المقاطع التي كانت سائدة في الكتابة الاكدية والاشـورية في (٢٥٥٠ ق.م .) وهي بمثابة حروف صوتية اختصرت من مجموع ٥٥٠ حرفا الى ٩٨ حرفا (رمزا) كما تقدم ذكرها والتي نشرت في اللوحة بمناسبة المعرض الذي اقـامته الحكومة العراقية عام ١٩٦٧ في طوكيو تلبية لطلب الحكومة اليابانية . اذا فـالشعب الاكدي والاشوري كانا قد توصلا لاختراع المقاطع التي ذكرناها آنفـا والتي تقـرب من ترتيب حروف (ابجد) تقريبا . وذلك ان الانسان لما اراد ان يضـبط فـكرة له في اسرع ما يمكنه اخترع الصورة الاولى وجعلها مسمارية الشكل بلا قيمة كرمز توصل الى ابتداع حرف وصوت لكل رمز منفرد ليس بحرف فانما اعتبره مجموعة مسامير سماها مقطعا (اكثر من رمز) ..

ومن المفيد ان نذكر على سبيل المثال للمقارنة بين اصوات الحـروف التي وصـلت الينا[٤٢] عن (هانرش بارت ١٩٦٩ ، وتاريخ المغرب الكبير لمحمد علي ديوز ، ج ١ ، ص ٤٩ ، ٦٨ وما بعدها ١٩٦٤م) مصادر اخرى تكشـف القناع عن ابجـدية الطـوارق (البربر) التي تشابه المقاطع في زماننا وهم من سكان اواسط افـريقيا وتلفـظ على نحو ما تلفظ المقاطع الراهنة وقد اشرنا الى صورها واصواتها على مـا يرى (يب ، يت ، يديج ..) في هــذا الكتاب ولا يعلم بالتحـديد والضـبط هــل كان ذلك التزاوج والتماثل المسماري قد جرى مستقلا وتلقائيا من غير تأثير مباشر او غير مباشر ؟ ام هل جاء بسبب وجود الكتابات السامية القـديمة (السـينائية ـ الكنعـانية) ام تكون باحتمالات من خصائص الكتابات المسمارية التي اسـتعملت في عدة لغـات (عيلامية سورية) مصرية وحثية وانتشر الى (ارمينية) . اما الخط الاوغاريتي «راس شـمرا» فان حروفه تختلف عن المقاطع المسمارية لانها هجائية مسمارية[٤٣] .

ومع انه لم يعلم بالتأكيد درجة صلة الخط المسماري بالهيروغليفـي مـن الناحية الزمنية والمكانية الا انه من المحقق ان المصريين القـدماء قـد اسـتعملوا الخـط المسماري المذكور مع اللغة البابلية في مراسلاتهم الدبلومـاسية مـع اقـطار الشرق الادنى منذ القرن ١٤ ق.م . في عصر العمارنة . وفي مستوى هذه المعلومات التاريخية يخرج علينا ادوارد كبرا برأي نظري فيقول : .. هنالك احتمال كبير ان يكون الخـط الهيروغليفي قد انتقل الى بلاد مصر ووادي الرافـدين بدليل الاثار التي وجـدت في (جرش وتل المسلم) من المواقع الاثرية في الاردن وقد ظهـرت الكتابة الهيروغليفية .. (وهي كلها صور ـ بعد خمسمائة سنة تقريبا من ظهور الكتابة المسمارية الصورية في

---

(٤٢) انظر : كتبوا على الطين ادوارد كيرا ترجمة د محمد الامين ص ١٠٨
(٤٣) قواعد اللغة السومرية ، الدكتور فوزي رشيد ص ٢٥

وادي الرافدين[٤٤] . كما وان الاكتشافات التي وجدت في شمالي العـراق تقـول : ان تحفر انسان شمالي العراق القديم واستيطانه ومزاولته الزراعة وانتاجه الصـناعي اليدوي حدث قبل انسان الشرق الادنى وانسان وادي النيل بعد الاف من السنين .

هل كان في مقدور الآشوريين والبابليين ايجاد حـروف الفباء لهـم بتحـويرات قليلة ؟

كان في استطاعتهم اجراء ذلك ولكنهم رفضوا اي تغيير في كتابتهم خشية انقـطاع الصلة بتراثهم المكتوب بالخط لام (المسماري الاول) انهم استطاعوا نطق اصـوات الحروف التي كتبوها بعلامتين مسماريتين بصورة مقطعية فلم يشـأوا ان يفضـلوا استعمال حروف مفردة لكل حرف صوت واحد بطريقة اخـرى فـكتبوا علة واحـدا وحرفا صمتا واحدا بعلامة واحدة وهي الطريقة المقطعية التي توصلوا اليهـا مثل ـ اب) ، وان الذي يتوصل الى هذه الدرجة مـن التفهـم لترتيب الحـروف المصـــوتة المزدوجة الصور والتي كانت (٨٠٠) علامة ثم الى (٥٥٠) فاختصرت الى ٦٠٠ كما ذكرنا اننا صورة ثم اختصرت الى (٩٨) صورة مقطعية مسـمارية لا يصـعب عليه ايجاد الحروف مثال ذلك الرموز المرسومة في اللوح الواردة في نشرة المعرض الياباني العراقي . الذي اقيم في طوكيو عام ١٩٦٧م . ص ٣٣ وكلماتهم الابجـدية المقـطعية التي وضع ازاء كل مقـطع حـرف Exhibition of Ancient Mesop otamia Arts 1967 لاتيني واحد للايضاح على غرار ما نراه في قواعد اللغة السـومرية في فصـل نطـق اللغـة السومرية ص ٢٤ وما بعدها[٤٥] .

لغة سكان اللغة السومرية نسيج وحدها ولا يعرف في الوقت الحاضر الى اية عائلة لغوية تنتسب وقد ظلت بصـعوبة قـائمة دون ان تنلل نهـائيا واليك بعض كلمـاتهم الطويلة التي كتبوها ولازالة الشك في قراءتها مثل (الوركاء) (آشور) (تل حرمل) الخ ويؤكد ذلك عالم الاثار ادوارد كيرا بقوله : «لم يكن السبب في عدم تطوير كتابتهم هو عدم توصلهم لذلك ، ولكنهم رفضوا اجراء تغييرات اخرى يستعمل فيها القلم والحبر وورق البردي او الرق وتكتب بحروف ابجدية بسبب المحافظة على التقاليد من جهـة وخشية انقطاع الصلة بالخـط المسـماري الام ، والاداب السـومرية والاشـورية والبابلية من جهة اخرى . وعليه يجب ان نخمن بأن اصوات المقاطع السـومرية التي عرفتنا بها المعجمات الطينية البابلية لا تخلو من التأثيرات الاكدية . لقد كانت اللغـة الاشورية تعد نظر المستشرقين لعلاقتها بالتوراة . امـا الان فـالعلماء تخلوا عنهـا وصاروا يستعينون بالمفردات الاشورية على معرفة المعنى الصحيح للكلمات العبرية

---

(٤٤) تاريخ العرب ج ١ جواد علي Aanwel Depigra phin Akkadienne Labat parls 1963

(٤٥) انظر : قواعد اللغة السومرية ص الدكتور فوزي رشيد ١٩٧٢ بغداد مطبعة ثنيان

حاليا وذلك بفضل مساهمة الباحثين في مفردات هذه اللغة في السنين الحديثة .

الرموز المينوئية هي صورية وصوتية سامية

ولدت في بحر (ايجة) جدولها خطوط «رموز» هندسية للكتابة المينوئية (Minoan) (الموكونية) الكريتية ، تعود لسنة (١٦٦٠ ــ ١٥٥٠) ق.م . وهي ام الحضارة اليونانية الهلينية والتي لم تحل للان عدد رموزها ــ ٧٦ ــ ٩٠ ــ صورة وهي في طريقها الى الحل .

كانت الحضارة المتاخمة للحضارة المصرية القديمة هي الحضارة المينوئية الموكونية التي ظهرت في جزر بحر ايجة وكريت وصقلية وسردينية وقد وصلت الى قمتها في جزيرة (كريت) في ١٦٦٠ ق.م . فاصبحت اما للثقافة اليونانية والهلينية ، اخذت عنها روما واوربا اللاتينية عامة فتأثير الساميين على هذه الجزر كان قديما جدا .

عثر على هذه الكتابة المنقوشة على هيئة هندسية سيمت بـ «الرموز المينوئية» على بعض المعادن وعلى قطع من الجبس وفخارية مكتوبة بالحبر او الصبغ كهذه الرموز الاصطلاحية ويتراوح عددها على حد مثول المؤلف «د . ديرنجر» ما بين ٧٦ ــ الى ٩٠ حرفا ، او ثلث الى نصف العدد كما نراها باعلاه . ونجد اتجاه مسير سطر الكتابة فيها من اليسار الى اليمين ، ويحتمل انها كانت تعرف وتلفظ باصوات اسمائها بسبب مفرداتها ، وباللغة السامية التي اختلطت باليونانية في بلاد الاناضول . ويقول العالم «ايفانس» انها كانت متداولة حتى بعد ١٦ ق . م . ويؤرخها من سنة ١٦٦٠ الى ١٥٥٠ ق . م واشار اليها بحرف A وعرفها باسم «الحروف المينوئية» ولكنها لم تحل رموزها بعد ، او هي في طريقها الى الحل وهي غامضة لم يتنصل فيها الباحثون . وقد نسبوها الى جزيرة كريت (الخط الكريتي) وقد بلغ تعداد رموزها (٧٦ ــ ٩٠) رمزاً ودام استعمالها الى ما بعد القرن ١٦ ق . م . ولقد اورد المؤرخ « . ديرنجر» انه من القيم ان نذكر في المستهل[٤٧] التعامل والبحث في تاريخ الخط الكريتي اذ نجد ان كمية جيدة من المادة لا يزال شرحها او ترجمتها في طريقه الى الحل فالعالم «ايفانز»[٤٨] قد اكتشف قصر (مينوس) ملك الاغريق كما كشف زميله «سكليمان» عن قصر «فستوس» مما يرجع لعهد الامبراطورية الكريتية

~~(٤٦) انظر ص ٥٤ D. WRITING~~

(٤٧) هو العالم الذي تمكن من دراسة الكتابة المينوئية «ارثر ايفانس» وهي في طريقها الى الحل

(٤٨) انظر : فنون الشرق الاوسط القديم ــ نعمة اسماعيل علام ، ص ١٣٩

في بحر ايجة بالفشل ، وعلى كل حال حلها في الوقت الحاضر ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦ م . في عصرنا وموضوع دراستها عملية لا يمكن استعجالها او مواصلتها بملل . ويتابع قوله فيقول ! ونحن لا نعرف لاي سلالة ينتمي هؤلاء المينوئيول ، واي لغة تكلموا بها ، وما اصلهم ولا ندري عن تاريخهم شيئاً وحتى ان النتائج التي توصل اليها من حفريات الستين سنة المنصرمة لم تفصح بشيء للمقارنة مع حفريات وادي الرافدين . وكل ما هنالك ان هذه الحضارة عرفت تواتريا وكل ما عثر عليه «ايڤانز» اعطى تواريخ للمصنوعات الفنية في الجزيرة تدل على وجود فترة طويلة من العصر الحجري الجديد «نيولين» تبع هذا العصر ظهور المينوئيين الذي بدأ في ٢٨٠٠ ق.م. تقريباً .

وقد استنطق «ايڤانز» هذه الحقبة المينوئية . وقسمها الى اقسام ومراحل حضارية درس فيها صناعة الاختام المحفورة في كريت ، والتصاميم الزخرفية وبعضها برموز صورية وبعضها يعطي انطباعات عن تأثرها بالمصرية الهيروغليفية .

فان كانت هذه المكتشفات الصورية التي ذكرناها تعتبر طريقة صادقة للكتابة فتكون هي الرد على هذا التساؤل ، وباختصار ما ذكرناه ايڤانز . ان نماذج هذه الكتابات التي وجدت بلغت (١٣٥) رمزا وهي في قيد الدرس لهذه المرحلة من الخط المينوني وتشتمل على توضيحات لصورة بشرية لاجزاء من الجسم حيوانات داجنة رموز دينية ، سفن شراعية ، ادوات حربية ، اغصان زيتون وبعض اشكال هندسية شبه متقنه الرسم .

ان هذه التخطيطات كانت كتابة رمزية قسم منها صورية وقسم منها صوتية لفظية وقد جرى تطويرها وادخل عليها اشارات عديدة يظهر انها كانت موجودة في هذه المرحلة التي تأثرت بالهيروغليفية المصرية وكان اتجاه الكتابة من اليسار الى اليمين او من اليمين الى اليسار .

وقد اقترح البروفسور «كايرس گوردن» بان الكتابة التي اطلق عليها «الخط الافقي» يمثل لغة سامية الا ان تفسيره لم يلق القبول وهناك حقيقة اخرى مجملها انه لا يمكن تسمية الثقافة المينوئية ثقافة هيلنية .

وللسماح بالاستمرار فقد ذكر المؤرخون ان المكتشفات التي عثر عليها سنة ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤ في پاپلوس وميسانية اكدت ان الكتابات التي عثر عليها في كريت وجد انها اكثر يونانية من الكتابة التي عثر عليها في البراليوناني الام مما يحمل على تمييز المينوئية عن اليونانية . وان المساينين ادخلوا الى كريت كتابتهم المشتته من الكتابة الموجودة في اللوح A المتقدم ذكره آنفا في صدر هذا الفصل .

ويختتم ايفانز قوله : ان الحضارة الكريتية التي ولدت سنة ١٤٠٠ ق.م. كانت من الميسانية الاغريقية وذلك عندما توسعوا في البحر الايجي . وان الحضارة المينوئية الايجية لم تدمرها الاحداث ولم تغيرها حتى نهايتها الاخيرة التي كانت في عهد الديوريكيين (ديوريك) في حوالي سنة ١١٠٠ ق . م . ومن هذه الدراسة يخلص القول

الى فشل هذه النظرية التي ذكرناها .

ليس من السهولة بمكان ان يصف الانسان كيف توصل الباحثون الى معرفة الهجرات الهامة في المناطق التي كانت مسرحا هاما لحوادث تاريخ الكتابات مثل (الكتابة الحثية) التي لم يتوصل الباحثون الى حلها حلا تاما وان تقدمت في تحديد الزمن الذي ظهرت فيه الهيروغليفية الحثية . وذلك من المنحوتات الكثيرة التي خلدها الحثيون كبقية شعوب هذه المنطقة الممتدة من البحر الايجي غربا متجهة نحو الشرق ومحاذية للجانب الشمالي للهلال الخصيب متوغلة شرقا بين بحر قزوين والخليج العربي بمعنى ان هذه المنطقة كانت تشمل بلاد الاناضول من العصر (المينوليثي) حتى وصلت الى حضارة عصر البرونز . وكان الحثيون قوما لا مدنية لهم ، وقد تمدنوا بتأثير حضارة الهلال الخصيب .

فقادهم أفكارهم المستنيرة الى ميادين اخرى . وخير ما ترك الحثيون هيروغلفيتهم التي زينوا بها مبانيهم وهي على جانب عظيم من الدقة والجمال من صور الحيوانات الحارسة المأخوذة عن المصريين . وتعتبر في الرقم الحثية قصص تاريخية .

استنسخوا فيها قصة (كلكامش) المعروفة في جميع انحاء اسيا الى جانب المؤلف الدينية مع صرصم على اشكال رسومها بعلامات خاصة (هيروغليفية) عثر عليها في (بلفارداغ) مؤرخة سنة ٦٠٠ ق.م ..

ويرجع اصل الحثيين الى جنس (الهندو اوروبي) اقاموا في بلاد الاناضول معاصرين للحكم (العموري الاكدي) سنة ٢٣٠٠ ق.م . فاقدم حاكم حثي عرف في التاريخ هو الملك انيتا ـ

وكان مركز حكمه مدينة (كاسورا وقد تمكن بعدئذ من غزو مدينة (خاتوشا) التي استمد الحثيون منها اسمهم ، ثم نقل مركز حكمهم الى (نينو[٤٩] في سنة ١٩٠٠ ق.م ..

وفي حكم الملك (خاتوشيلي) في القرن السابع عشر قبل الميلاد تبدل اسم المدينة الى (بوغازكوي) ـ التي اكتشفت سنة ١٩٠٦ ـ فاتخذ عاصمة للدولة الحثية وضم اليها مدينة حلب . وفي سنة ١٦٠٠ ق.م . دمر الملك (مورشيلي) بابل وانهى حكم الدولة البابلية في بلاد ما بين النهرين .

وتمكن القائد (شوبي لولياما) من اعادة تنظيم البلاد واسس الدولة الحثية الجديدة في سنة ١٤٠٠ ق.م. ثم تمكن بعد ان عبر نهر الفرات من هزيمة الميثانيين الذين حكموا شمال العراق كما استولى على (كرمكيش) التي يسكنها الحوريون وترك اخوته يحكمونها وبذلك اتصل بالجزء الشمالي بالدولة المصرية ، وكانت هناك منافسة مستمرة بين الحثيين المصريين من اجل السيطرة على البلاد السورية . وقد قامت بسبب ذلك حروب كثيرة بين احفاد الحثيين والفراعنة المصريين ولكن هذا الصراع انتهى بصلح بين الملك (خاتوشيلي الثالث) و (رمسيس الثاني) ١٢٦٩ ق.م .

---

(٤٩) اشور ، بقلم فؤاد سفر ، مفتش التنقيبات العام ١٩٦٠ مطبعة الحكومة . بغداد

ان الحثيين مع انهم كانوا يتكلمون الارية الا انهم تعلموا كتابتها بالحروف المسمارية من بلاد النهرين كما عبدوا الهة الارض والسماء والشمس ونقلوا بعض رموزها من السومريين من ذلك النسر الناشر جناحيه برأس حيوان من دوج كما نقلوا عن المصريين رمز الشمس الشكل على هيئة قرص مجتمع .

ابتداع الكتابات الحثية الهيروغليفية

نشر صاحب كتاب انتصار الحضارة صورا منقوشة على الحجر عليها كتابات باللغة الحثية الهيروغليفية ، ذلك عندما اخذ اباطرتهم بتزيين مبانيهم كما فعل المصريون فابتدعوا طريقة اساسها استعمال الصور كعلامات ، وما زلنا نرى طريقة اساسها استعمال الصور كعلامات ، وما زلنا نرى بعض هذه الكتابات الصورية على واجهات جدران مبانيهم القائمة اذا سرنا من بلاد الاناضول الجنوبية من البحر الايجي الى الفرات . وكان الحثيون اصحاب الفضل في نقل الحضارة الى الاغريق وعن العالم وبعض القصائد الدينية واستعمال الحديد ومن الحثيين اخذه الاشوريون ومنهم انتقل الى الفرس .

آشور:موقعها وتاريخها

آشور اول عاصمة للآشوريين تقع على الضفة اليمنى لنهر دجلة وتعرف خرائبها اليوم بقلعة الشرقاط على بعد ١١٠ كيلومترات عن الموصل تطل من الشرق على سهل عظيم بامتداد البصر يسمى سهل مخمور وفيه من آشور اطلال العاصمة التي شيدها (توكولتي نينورتا الاول) ١٢٦٠ ـ ١٢٣٠ ق.م . كانت عاصمة لملوكهم فعرفوا كشعب باسمها . ولقد جاء الاشوريون الى وادي الرافدين مع اخوانهم الاكديين قبيل بداية الالف الثالث ق.م. نازحين من الجزيرة العربية او من بادية الشام .

فاللغة الآشورية كالاكدية من عائلة اللغات السامية المنبعثة من الجزيرة العربية وحلوا في منطقة الثرثار التي ورد اسمها في الكتابات المسمارية على اشكال بصورة او باخرى منها (آ ـ شو ـ آ) . وتدلنا الحفريات على ان الانسان اختار ارضها لسكناه في العصور الحجرية وهكذا اقتبسوا الحضارة من السومريين والاكديين . كالح (نمرود الحالية) ونينوى في عهدهم الاخير وبقيت آشور خاضعة لدول الجنوب حتى تحررت فأخضعت مدينة (ماري) بالغرب من البو كمال حيث تقوم خرائبها حاليا . غير ان نفوذ آشور لم يدم طويلا وكان آلهها الاعظم بهيئة انسان (النصف الاعلى من الجسم فقط) ومن وسطه ما يمثل قرصا شمسيا له جناحان مبسوطتان وبيديه قوس يرمي سهما بهما . فهو على هيئة انسان مجنح .

وفي عهد آشور ناصر بال الثاني وشلمانصر الثالث[٥٠] في عام ٨٨٣ ق.م. انتقلت

---

(٥٠) د. درينجر ـ وادوارد كيرا : كتبوا على الطين ـ موسكائي ـ الحضارة السامية القديمة

العاصمة الى كالح كحاضرة جديدة وتعرف هذه المدينة اليوم بنمرود وهي ابرز ما في أطلال آشور الان الذي استخدم في بناء البرج فيها خرزا من العقيق والبلور الطبيعي واحجارا كريمة وكتابات مسمارية سجل ماثرهم الحربية .

وفي مدينة نينوى التي اتخذت في عهد سرجون الثاني عاصمة فيما بعد .

ثم ذكرت الكتابات في آثار الملك سنحاريب مـآثره ومعـابده (انليل) ووجـد فيهـا المنقبون الالمان قبل الحرب العـالمية الاولى اضرحـة منهـا للملك اشـور ناصربال المعروض الان في متحف برلين . وقد دب الخراب في نينوى بعد موت سـنحاريب ولم تقدر على مقاومة الكلدانيين والميديين فدخل عاصمتهم الاعداء عام ٦١٢ ق.م وعقدت على انقاض نينوى مصاهرة لبنت ملك الميديين زوجة الى نبوخـذ نصر ابن العـاهل الكلداني وسقطت نينوى . وتعرف في الكتابات المسمارية المكتشفة في مدينة آشور ٣٤ معبدا وقد حضر المنقبون فعثروا على مدارج زقورات وابراج في المباني وبقـايا دور للحفلات ، ونقلت في حينهـا معـظم الاثار التي وجـدت في هـــذه المدينة الى برلين واسطنبول ولا زال اطلالها مجال واسع للاثار النفيسة .

تفسير وتحليل العلامات الأبجدية اليوغارينية

يرى الباحث «درينجر»[٥١] ان النتيجة التي توصل اليهـا الآثاريون اخيراً في تحليل رموز قحف رأس شمرا الذي عثر عليه في غاريت هي ان السكان في تلك المنطقـة منذ القدم قد قاموا بتطوير العلاقات المسمارية القديمة وابتكروا على هديها رموزا جديدة تلائم العـلامات التي كتبوا نصـوصها بلغتين مختلفتين فـكانت الاولى على وجـه التحديد بلهجة فينيقية قديمة تشبه اللهجة العامية الدراجة القـديمة السـورية التي تشبه اللهجة الحورية الصعبة القراءة لانها مسمارية الرسـوم ، صـورية اللهجـة ، الجدية الترتيب في اصوات حروفها اي على ترتيب كلمات «ا ب . ج د ، و ز ط ي ، ك ل م ن ، س ء ص ، ق ر ت» الخ وهـي ٣٢ حـرفا وفتحـة وكسرة وضـمة . وان اورغاريت اقدم مدينة في الساحل اللبناني . تتكون هذه الصورة من ٣٢ شكلا صوريا يقوم مقام حرف وصورة ، كل حرف يتكون من ٣ مسامير ، مسمارا واحدا ، او اكثر من ذلك في اوضاع متعامدة او متصالبة وهي على هيئة اسطر فـاوصى هـذا الترتيب بان اللغة التي كتبت بها هذه العلامات المسمارية متكونة من لغة سـامية ، وحـروف سامية على صورة مسمارية الأصل . ثم افترض ان حروفا معينة ترمز الى حـروف الجر السامية المشتركة ، وان كلمات معينة هي اسـماء الهـة . فسـاعدت هـذه الافتراضات على وضع نسبة قيم فرضية لحـروف معينة ولم يلبث اسـتنباط القيم الناقصة لمحاولة اقامة نص سامي كامل ان ادى الى النتيجة المبتغاة التي ارتضـاها هؤلاء الواضعون العباقرة او ساميون غيرهم مثلهم ، فوضعوا لها ترقيم الاعداد من (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ الخ) في حساب سماه العرب «حساب الجمل» قبل مجيء الاسـلام ثم

---

(٥١) د . درينجر ص ١٣٠ ـ اللهجة الفنيقية الخاصة بقرطاجة القديمة وهي اللغة البونية العربية واللهجة التي تشبه العربية العامية

جاء العرب فوجدوا ان لغتهم تحتوي وحدات صوتية لكل منها صوت لغوي آخر (كالثاء والخاء، والذال والضاد، والظاء، والغين، واللام الف) يجمعها قولك ثخذ ـ ضظغلا وأستعملها العرب في حساب الجمل بتشديد الميم، وهو ما يعرف عند العرب بالارقام الهندية التي استعملها السريان على حدة والمشهور ان العرب اخذوا الارقام ايام الرشيد في حين ان السريان كان لهم السبق في تبني النظام الهندي المذكور. وخلال هذه المحاولات عرفت تقريبا للكتابة.

تشابه اللغة الاوغارية والعربية في كلمات كثيرة

الجدول الفينقي المتفرع من السامي الشمالي للابجدية الفينيقية عندما تم اكتشاف قحف راس شمرا الذي كشف عن حدوث انقلاب مذهل عند الباحثين اضطر اصحاب النظريات القديمة القائلة قبل الخمسينات من هذا القرن بان النقوش الفينيقية هي الام لجميع الابجديات في كل اللغات قد تخلى اصحابها عن نظرياتهم بعد نشوب صراع جدلي بين الباحثين في استنتاجاتهم واستقر اخزا[٥٢] ان التنقيبات القديمة التي كانت تبحث الى حد النصف الاخير من هذا القرن العشرين في تاريخ الابجديات وظهور الحروف قد غيرت مجرى تحقيقها اكتشافات العالم الحديث الاركولوجي والكربوني والثورة العلمية في عصر الفضاء ... هذه العلوم قد حققت ان تاريخ الكتابة الحقة يعتبر من نهاية الالف الثاني ق.م حتى يومنا الحاضر. وهذا واضح بعض الوضوح ولو ان بعض المكتشفات المكتوبة لا تزال مهمة وغامضة الحل الا انها في طريق الحل. ومن هنا يتساءل د. درينجر فيقول اذا كان بدء ظهور الالفباء في فنيقيا فممن اخذ الفينقيون هذا الاختراع العظيم الذي لا يقبل التقليد؟ ومتى كان ذلك؟ وكيف نشأت؟.

واهم ما وجدناه من تخبطات الباحثين نقلنا من آراء (بروكلمن ص ٤٢) قوله: ان الابجدية الاوغاريتية الفينقية اخذت مبدأ كتابة الألفباء عن الحروف المصرية بتقليد الرموز المسمارية. لذا فان مثل هذه الاستنتاجات التي سبقت يومنا هذا بقرون قد اصبحت بالية لا يعتمد بها ولا يؤخذ بها لهذا التضارب الذي لا يشدنا الى القناعة في هذا الباب الذي كان غير مفتوح لغير المستشرقين الذين ذهبوا مذاهب شتى لاسوأ الافتراضات والظنون ذلك لان الفرق شاسع بين اشكال الحروف الفينقية والرموز الهيروغليفية. وهناك فرق كبير حتى بين نظاميهما الى أن ظهرت نقوش سيناء فاستقامت الحلقة المفقودة بينهما المبنية على المشابهات الصورية مع بعضها. فقد ظهر ان ابناء سيناء اخذوا مثلا راس ثور من الهيروغليفية فاغفلوا لفظها في اللغة المصرية واطلقوا عليها ما يقابله في لغتهم السينائية الخاصة وهكذا عالجوا حروفهم.

---

(٥٢) انظر: العرب قبل الاسلام، جواد علي، ج ١، ص ٥٥٤ ـ ٥٧١ وما بعدها. وانظر: البريت:
W. F. Albrgt In Basoor Num. 128 1952 P. 39. (The Chaldean Inscriptions in Proto Arabic.).

الناووس الحجـــري للملك احيرام فنيقيا في (بيبلوس – جبيل) يعـــود للالف الثاني ق.م بمتحف بيروت

اقدم نقش عثر في بيبلوس – جبيل – عثر عليه العالم (مونته) الفرنسي الذي يرجـع تاريخه الى نهاية الالف الثاني قبل الميلاد . وقد وجدت الحروف فيه شبيهة بحـروف الابجدية التي وجدت في فلسطين شبها مباشرا ويشترك في هـذا الشـبه بالابجـدية السينائية ورسومها الى حد بعيد كما يبدو في هذه الصخرة التي نقلناها عن العـالم (د . ديرنجر) .

لقد كانت سوريا خلال تاريخيها الطويل معرضة باستمرار لموجات من الهجـرات من قبل القبائل العربية التي لا يعيها التاريخ تماما كظهور الكنعانيين (بني كنعان) ، فحرف اليونانيون هذا الاسم الى (فني كنعان) ، ثم صيروه (فونكيين) (Phonix) ومن هنا شاع اسم فنيقي وفينقيا وتكونت منهم جماعات على مرور الزمن وانشأوا مـدنا اهمها بيبلوس ، طرابلس حاليا في سوريا وهي (جبيل) . واما بيروتس فحـاليا هـي بيروت [انظر دراسات البعثة الدانماركية] .

وكان ذلك المواطن الجغرافي همزة الوصل بين الحضارتين العظيمتين اللتين ظهرتا في العراق القديم ومصر المتأثرتين بالحضارات السومرية والفرعونية وهذا هو سبب تأثرهما بالتيارات الثقافية التي اوصلتها الى ذرى المجد الذي اوصـل الفنيقيين الى ما نسب اليهم او توصلوا اليه . ومن احسن الاقلة للنقوش المحفوظة في متحف بيروت المنقوشة على الناووس الملك احيرام وهو جـالس على عرش قـوائمه على هيئة ابي الهول المجنح . وفي اسفل الناووس اربعة رؤوس لاسـود مـن المنظـور الجـانبي .. ويتجلى اكبر فضـل لهـم على الحضـارة الانسـانية في اختراع (الهيروغليفية البسيدونية) التي وجدت صـورتها في بيبلوس قبل العثور على قحـف رأس شـمرا . والخلاصة التي توصل اليها العالم د . ديرنجر بالتحقيق العلمي قـد غيرت مجـرى التحقيق الذي كان يظن انه لا يتجاوز تاريخ كتابته القرن الثالث عشر ق.م . ولكنهـا قد اخفقت وغيرت ذلك التاريخ لعدة قرون اخرى كمـا كتب على نصـها على تابوته المذكور في الالف الثاني ق.م ..

الفينيقيون بعد الكنعانيين

ثمة ملاحظة هي ان اللاتين اطلقوا صـيغا على الفينيكيين والقـرطاجيين جميعاً . بل ان بعض الصيغ اصـبحت مـع الزمـن أكثر وصـارت تدعى (pungull) بالفـرنسية و (punic) بالانكيليزية مـن (punicus) «اللاتينية» ودخلت هـذه التسمية في اللغة العربية ايضا فدعوا اللغة القرطاجية «بونيقية» او «بونية» وهـي في الاصل مشتقة من «قرطاجة» او «قرطاجنة» .

الحق ان الاغريق اقدم من الرومان الذين تأسست عاصمتهم رومـا عام ٧٥٤ ق . م . فهل عنهم اخذ الرومان المحدثون تسمية القرطاجيين فينيكيين ؟ يجـوز ولكن الم تكف القرون المتوالية لجعل الرومـان يميزون بين الفـريقين ويدعون القـرطاجيين

الذين كان لهم كيانهم الخاص وامبراطور يتهم الكبيرة باسم خاص بهم غير اسم الفينيكيين ؟ هذه ايضا مشكلة سادسة وكل هذه التفسيرات احتمالات وتأويلات خامرت رؤوس المفكرين في هذا المجال واسترعت انظارهم وقد نشر في مجلة «اللسان العربي» صورة بالزنكوغراف لوثيقة تأريخية هي نقش الكتابة محفورة على رخامة وجدت في البرازيل ، مكتوبة باللغة القرطاجية عام (١٢٥ ق . م) يصف اصحابها محنة وقعوا فيها في اسر ومرض وهلاك . وتتألف الكتابة من ثمانية اسطر بالخط الفينيكي «فنيقي» .

وهذا نص السطر الاول .

«هنا نحن بني كنعان من فرانة حملنا القارة أليس حراما ان نحصل هكذا» الخ . ان الذي يبعث الدهشة في هذا الاستهلال المؤثر هو ان القوم كانوا لا يزالون يذكرون انهم ينتمون الى «بني كنعان» حتى بعد خروجهم من ارض كنعان قريتهم الحديثة ثم عبورهم المحيط الاطلسي الى العودة الاخرى في اميركا الجنوبية دار القرية الناشئة تلك .

ان لهذه الوثيقة خطورة متعددة الجوانب في الحقيقة جديرة بالدرس كلها . فلبث هؤلاء القرطاجيين الذين مازالوا ينسبون الى اجدادهم البعيدين (بني كنعان) قد ذكروا لنا كذلك اسمهم الدولي الذي صاغ منه الاغريق اسم فنيكا او الفنيكين او فنيكيا .

ولكن مهلا .. لقد ذكروه انه «بني كنعان» ! اجل ان الكلمة (fonikes) الاغريقة ليست الا بني كنعان بتحريف يسير كثيرا مايقع مثله عند انتقال الكلمة من لغة الى لغة وصياغة من «بني كنعان» بلسان اجنبي كثير التحريف ليست اغرب من صياغة foni من العنقاء الذي تقدم ذكرها .

ان كلمة (فونيكس) تحوي جميع النصف الاول من «بني كنعان» (ب ن ى ك ن ع ا ن) ولعل اللغة الاغريقية كانت اكمل في اول عهدهم من اقتباسها واقرب الى اصلها العربي ثم اختزلوها اما ابدال حرف الباء فاء في اول الكلمة فهو اسهل من ابدال العين فاء في «عنقاء» ولا لوم على الاغريق فيه على كل حال لان العرب ايضا فعلوا ذلك في الابدال .

والنماذج في ابدال الحروف والحركات في العربية لا تكاد تحصى لكثرتها وتنوعها ، واذا تذكرنا ذلك اصبح تطور اسم «بني كنعان» الى (canaanite) امرا هينا سهل التصديق ولاسيما ان الاغريق وغيرهم يعجزون عن نطق صوت حرف العين فحذفوه او استبدلوه بحرف مع مابعده ، اختصارا لهذا الاسم الطويل ، ولعل تطور اسم «بني كنعان» قد جرى على مراحل .

ومهما يكن فلا مجال لنا ان نتجاهل الامر الواقع وهو اللاتين كانوا يسمون الفنيكيين والقرطاجيين Foinikes كما تشهد المعاجم والمأثورات ، وان القرطاجيين

كانوا يسمون انفسهم «بني كنعان» كما تطرح رخامة البرازيل المكتوبة التي عثر عليها مؤخرا . وواضح عن هذا الاسم من نلك لفظا ومعنى . ويظهر ان اللاتين قد اخذوا عن الاغريق صيغتهم (Phoenices) بالفاء ثم استخرجوا منها صيغة (Phoenice) و (Phoenicum) .. ولكنهم وجدوا بعد نلك عن طريق الاحتكاك بالنكيين ـ بني كنعان ـ ان الاصوب نطق الاسم بالباء لا بالفاء فقالوا : (Punicus) (Poenorum) (Poeni)وهذا ايضا غير نادر الحدوث .

وقد وقع مثله للعرب في جيلنا الحاضر بتأثير الكتب المصرية ، فهي تنكر اسم الانكليز بالجيم (انجليز) حسب النطق المصري . وقد ظل العرب في الشرق الاوسط يكتبون الاسم وينطقون بالجيم ، ثم صححوا نطقهم بمرور الزمن فصاروا ينطقون بالكاف الفارسية (گيم) ولو انهم يكتبونه بالكاف العربية .. فلعل شيئاً مثل هذا قد حث الكلمة (Foinix) الاغريقية اذا اقتبسها الرومان بالفاء اول الامر نطقا وكتابة ثم صححوها الباء المركزة (ب) لانها اقرب للاصل العربي من الفاء (ف) على كل حال . وتعايشت الصيغتان ـ الفائية والبائية ـ وتطورتا ثم كثرت الصيغ البائية كالذي رأينا مثل كلمة (فينيسيا) (بندقية) واستبدل الفاء بحرف الباء والسين بالفاء ... الخ .

ومن الطريف ان نجد بين التحويرات الانفة صيغة (بني :ـ Poeni) وهي اختراع اخر كأنما ارادوا به الاكتشاف بالجزء الاول من الاسم العربي : (بني) واذا عدنا الى مشاكلنا الست التي ذكرناها فاستعرضناها واحدة واحدة نجدها قد انحلت جميعاً من تلقاء نفسها بمجرد معرفتنا ان بني كنعان .

(١) اولا : ليست كلمة فنيكيا او الفنيقين من مادة (الفنق) العربية ، ولا صلة لها بالجمل الفنق ولا الفلام المتفنق .. الى اخره .

(٢) ثانيا : انها ليست كلمة اغريقية وضعها الاغريق من لغتهم للدلالة على الفنيقين وانما هي كلمة عربية مصابة ببعض التحريف كما هي العادة في اقتباس الالفاظ من لغة الى لغة .

(٣) ثالثا : ان اسم الفنكيين ليس مشتقا من اسم (Foinix) (ابن امنيتور بطل الحرب الطروادية) ، ولا هو ابو الفينيكيين . وانما يظهر العكس هو الصحيح ، اي ان فينكس بن امنتور هذا كان في بني كنعان ـ ومعلوم انه ابن الملك الفنيكي المشهور (اجينور) أخوه قد موس وأخته اوربا ـ سمي في الاغريقية باسمهم كما نقول نحن ، فلان الحجازي او العراقي او اللبناني ـ ولما كانت الاساطر كثيرا ما تتخذ اسم الشخصي رمزا لاسم قبيلة او شعب او طبقة من الناس فمن المحتمل ايضا ان بني كنعان ـ بعضهم ـ قد اشتركوا في حرب طروادة الى جانب الاغريق وابدوا بسالة سجلتها لهم الاساطير ، ورمزت اليهم بالبطل (فينكس) اما ان هذةالكلمة (Foinix) تدل في الاغريقية على العنقاء فلا .

(٤) رابعا : فالذي نراه هو ان الشبه الشديد بين اسم الفنيكيين واسم العنقاء في

لغة الاغريق افضى الى التباس الاسمي عليهم فخلطوا بينهم كما خلطوا بين اسمي سوريا (Syria) وآثور (Assyria) وكما ان خلط الانكليز بين كلمة (Beujoin) واسم بنيامين (Benjamin) فاستعملوا هذا الاسم الثوراني المشهور بمعنى الاسم الاول اي (الصمغ الجاوي) ويسبب مثل هذا التشابه اللفظي يقال للهر (القط) في لغة (الموصليين) (هرون) وما اكثر ما تتحد كلمتان في كلمة واحدة اذا تشابه لفظهما او معناهما خصوصا اذا كانتا اجنبيتان . وعلى هذا اصبح من الواضح ان اسم الفنكيين لا علاقة له بالعنقاء سواء اكانت للبطل فنيكس علاقة بها ام لم تكن .

(٥) وبات بديهيا لدينا الان ان اسم الشعب الفنيكي ليس مشتقا من اسم فنيكي ، بل ان اسم فنيكيا هو المشتق من الفنيكيين ـ يعني بني كنعان ـ كما يحلو لهم ان نسميهم . واتضح ان اسم فنيكيا او فنيقيا لا وجود له عند اهل فنيكيا نفسها على كل حال وانما هو اسم صاغه الاجانب من اسم الكنعانيين للدلالة على مواطنهم .

(٦) عرفنا الان لماذا كان اللاتين يطلقون اسم الفنكيين على القرطاجيين (فنيكي) كما يتوهم المعجميون ، ولا هو كونهم ـ اللاتين ـ نقلوا هذه التسمية المزدوجة عن الاغريق كما تبادر الى الذهن ، وانما السبب البسيط العجيب هو ان القرطاجيين انفسهم طفقوا الى عهود متأخرة يذكرون نجارهم السحيق ويتسمون بابوتهم العرب الشاميين (بني كنعان) حتى بعد ان اندثرت قرطاجة وبعد ان نزحوا الى أمريكا . ولا احسبنا قادرين على ايجاد حل نهائي مقنع لها الان ، فهل الذين خلفوا هذه الوثيقة التي عثر عليها في البرازيل صحيح من بني كنعان كما صرحوا ، وان لغتهم القرطاجية هذه المنقوشة على المرمر ؟ وهل انهم عرب هاجروا من البحرين ؟ ام انها مصطنعة .

ان كتاب (تاريخ العرب قبل الاسلام) ـ ج ١ ص ٥٦٥ ـ للدكتور علي جواد يذكران البحرين كانت الموطن القديم للفينكيين . ويستشهد المؤرخون بأن تلك المقابر التي عثروا عليها هناك في البحرين هي مقابر (فنيكية) وان سكان البحرين هم فنيكيون كما ذكر (سترابون) في كلامه على جزيرتي TYlus, Aradus ان هذه المقابر تشبه مقابر الفنيكيون وان اسماء جزرهم ومدنهم هي اسماء فنيكية .

ويرى كثير من الباحثين في التاريخ القديم ان اصل الفنيكيين الساكنين في فنيكية)سبلبنان هو من هذه المنطقة اي البحرين ويذكرون انهم سكنوا الساحل ، ثم الذي الفرات ، ومن وادي هؤلاء تركوا ديارهم وهاجروا من البحرين نحو سورية فلبنان حيث استقروا على ساحل البحر الابيض المتوسط والبك نص الرخامة القرطاجية التي وجدت في البرازيل مؤرخة (١٢٥ ق.م) باللهجات المختلفة .

الجملة الفينكية يجب سطورها	ما يقابلها بالعربية العامية بشمال افريقية	ما يقابلها بالعربية الفصحى
١ ـ هنا احنا بني كنعان يم فرنم حقرة حمل اوش حصل هك ؟	هنا احنا من بني كنعان من فرانم الحقرة موشى حرام يحصلوا هكا	هنا نحن بني كنعان من فران تحملنا الاقدار لا تزيد الحياة عندنا اكفر ان
٢ ـ لاعنا ازيد حيا قفاز في حيرم او ناس بابحر العلى كلوم	ما تزداد الحيات عندما اكفر من الهم الناس اسقاع البحر	ناس البحر في الهم الحزن اكلهم والحزن كائن وهذه السنة هي
٣ ـ او على كان ترسينا تاسعة او عاشرة الحرامي ملك هنا عبيدو	الحزن كلاهم والحزن كاين نرى السنا تسعة	التاسعة او العاشرة الملك هنا لمى بعبيده لماذا هو ليس معهم الى اول مناصب القضاء ـ ـ الحي هنا عسرة
٤ ـ لاح ـ لا اوم؟ عنوالي دبر بهم شاجا اول الشع ـ عما هنا هي عسرة	او عشرة الملك الحرامي هنا لوح ولا شيء موشي معاه اعرف اللي دبربهم باش جا	فاذا احب الحي ماء وجده حاراً لو كان هذا فقط لعمر . لكن ما
٥ ـ كي الحي حبى ما هي حر ـ او ستم نسلم ـ اش بر نامينا ـ حامي او البر هنا	اول الشرع الحما هنا عسيرة كيف الحمى بحب الماء بلقاه حار ولو كان هذا ابرك نعبر ولكن	هذا البر؟ النار تشعل فينا البر هنا حام وما غير بعل هو الذي اعاننا وحتى اي خبر لا يصلنا الى هنا
٦ ـ ما غير بعل اولى ان ـ حتى خبر اللون ـ راح لم سنام عشر	اشى ها البر النار تشعل فينا حامي البر هنا ما غير بعل هو اللي كان حتى خبر اللون راح لم سنام عشر	رحلت عنهم السنة ومعها عشرة فماتوا بقينا ستة اناس مباعين
٧ ـ ما تم ـ كنا ست ناس مبايع راثاشو ـ كي مت عسبط عبد	ماتو بقيناست ناس مبيوعين راثا سعو كيف مات عبط العباد	نقوم بالعسة لما مات السبط اصاب العباد الاختبال عليه قتله الحزن لكن
٨ ـ هبلث ان عليه . او لحو على كانت انى حنانا	هبلت عليه قتل الحزن كانت موته حنانه عليه	موته حنانا الهيا عليه

نشر الاستاذ احمد توفيق المدني في العدد الثالث من مجلته تقويم المنصور لسنة ١٣٨٦هـ صورة هذه الرخامة التي كشف عنها الدكتور البرازيلي السيد (الاديزلونيتو) وضمنها الجزء الاول من كتابه الانتربولوجيا ، وهي تحمل تاريخ ١٢٥ ق.م مما يدل على ان الفينيقيين قد اكتشفوا امريكا قبل كريستوف كولومبس بستة عشر قرنا كما يستفاد من هذه الرخامة ان القرطاجينين كانوا يسمون انفسهم ببني كنعان وان اللغة البونية كما يتوضح من الكشف الموضح هنا هي لغة عربية تشبه العربية العامة في افريقيا . وقد تحدث الاستاذ عبدالعزيز بن عبدالله في كتابه مظاهر الحضارة وكذلك في معطيات الحضارة عن قصة دخول اللغة العربية الى افريقيا الشمالية قبل الفتح الاسلامي بعدة قرون . وقد نشر العالم فرانك هبن في كتابه (الحضارة القديمة الجديدة في الدنيا الجديدة ص ٤٤) عند البحث عن استكشاف حجر (كزمجتن) الذي عثر عليه سنة ١٨٩٨ الذي اتخذ دليلا على ان الشعوب الاسكندناوية قد وصلت حتى هذا الحد البعيد في قارة اميركا الشمالية منذ القرن ١٤م وتحكي تلك القصة شقاء واراقة دماء . ويذهب بعض الباحثين الى ان ذلك النقش تزييف اتقن تدبيره .

ان الوثائق التي خلفتها الدول القديمة مثل ماري في العراق وتل العمارية في مصر وفلسطين تمدنا بمعلومات تقول ان الابجدية ظهرت لاول مرة في المصادر الكنعانية اما المكتوبة بالخط المسماري فهي التي ظهرت بحروف هجائية في اوغاريت وبخط مسماري .

ان الجدول العلمي حول اختراع صوت مستقل لكل حرف بمفرده لا يتغير في اي من كلمات الكتابة انما هو اجتهاد فكري جبار نفذه الانسان فحصل على الحروف الابجدية التي خلفتها الحضارة فكتبنا بها . وسنظل نكتب بها الى ما شاء الله ، وهكذا كان البدء بأمر التاريخ الحضاري الذي استمر .

ولما قامت التنقيبات في الجزيرة العربية في القرن العشرين الذي اخذت ثورته العلمية تدهش الكون بمكتشفات احدثتها الاركيولوجيا وغيرت مجرى التحقيق العلمي وقلبته من تأويلات اسطورية الى حقائق مؤيدة بالوثائق المادية والمبتكرات الكربونية واخذت مناقشة موضوع منشأ الابجدية تجري في مجرى علمي على ضوء ملامح المكتشفات الحديثة خلال العقود الثلاثة الماضية في يومنا الحاضر جعلت الدارس المتخبر والجاهل المتخبط في النظريات القديمة يحتدمان في صراع جدلي ونقاش مرير يكون المتناقشان فيه على قدم المساواة في الاستنتاج في نظرياتهما جميعا حول الخطوط السامية وانحدار تسلسلها بالنسبة لما ظهر من الآثار في الحفريات خلال هذه السنين الاخيرة حيث نسفت كل الماضيات وجعلتها لا قيمة لها ولا يؤخذ بها واستبدلت جدولهما الشمالية والجنوبية على النحو الذي رسمها العالم (د . ديرنجر) كما نراه وتجرأ ان يقول بـ (القرابة المحتملة بين الفرع السامي الشمالي والسامي الجنوبي وأشر تفرعهما على جدوله الذي صاغه اجتهادا في كتابة

(Writing) . وكان تلك الاجتهاد من حسن حظ العالم المؤلف في هذا الميدان بعد دراسات عميقة وافتراضات العلماء الباحثين في شأنها حين ولوجهم في المستندات الحديثة حول وضع المكيات البياغرافية في العقل الاليكتروني ، والمكتشفات الآثارية في الثلاثينات من عصرنا الحاضر فضلاً عما سبقتها مما عثر عليه في (كزر ، ولاكش ، وشكيم) في سنة ١٩٤٨م . التي انتهت على يد العالم (اولبيرايت) .

اما الدراسات التي تناولها العالم ــ د . ديرنجر ــ في السبعينات فقد نسفت جميع تلك النظريات التي لم تصمد بصورة مقنعة تشدنا بيقين مقنع عقلي مجرد من الاهواء .

فاذا كان ظهور الكتابة في فينيقيا ، فممن اخذ الفينيقيون هذا الاختراع الذي لا يقبل التقليد .

التمييز بين الساميتين الشمالية والجنوبية بعد المسماري والهيروغليفي .

كان الشيء الوحيد الذي يثار لنا : كم هو عمق الفجوات لكي نعرف ونقف على حقيقة معنى هذه الجملة . وما الفرق بينهما ، اي ان الالفباء الابجدية السامية الشمالية الجنوبية .

ومما لا شك فيه ان الانسان قد حاول منذ فجر التطلع الى انسانيته مرارا وتكرارا وتفكرا كثيرا في شأن كتابته ، وانه عرف كيف يحاول التجربة في ممارسته بشتى الوسائل في تحوير ، يخطىء ويصيب فيها ويتراجع ، ويقتصر طرائف ويصحح حتى عرف الطريق الى الحل والغاية فتوصل الى افضل ابجدية وضع لها اصواتها والفاظها على اشكالها المتعددة وانواعها المختلفة التي قامت عليها هذه الحضارة العالمية .

ان التنقيبات والتحقيقات العلمية المكثفة المستندة على الوثائق حول (اصل الحروف الهجائية) تقول ان تاريخ الابجدية يبدأ من نهاية الالف الثاني قبل الميلاد واستمر الى وقتنا الحاضر في القرن العشرين وتجلى ذلك في الشرق الاوسط رغم ان بعض الكتابات لا تزال مبهمة لم تحل ، وهي في سبيلها الى الحل واخصها ما يعود تاريخيها الى القرن ١٩ ق.م . الا ان سبيلا جديدا قد فتح لبحوث الابجدية بصورة عامة . ويعود تحقيقه الى العالم د . ديرنجر الذي يقول : اذا كان المنشأ للابجدية في فنيقيا او في احمد الاعظمي متأثرا بما كتبه العالم (كاردنر) والدكتور طه باقر ومناقشات اراء وفرضيات ودراسات اعتمدها في هذا الحقل المؤرخ الروماني (تاسيوس) وغيرهم اذ حقق فيها الدكتور احدث ما جاء في هذا الميدان من مستحدث للمقولات العلمية التي خاض فيها العالم (د . ديرنجر) تحت عنوان (صلة حضارية وتاريخ متكامل) فضلا عما افاض فيه العالم ادوارد كيرا .

كان آخر النقص من أبنية ومعالم بابل التي اجراها فيها المنقبون الألمان طوال خمسة

عشر عاما ١٨٩٩ ـ ١٩١٤ . فقد ظهرت بعض معابدها وقصورها . ونكتفي بذكر بعض ما تم من صياناتها في موضع اسد بابل وعشتار ، من باب عشتار الى الشـمال وتبليط وتقوية جدران بدأت منذ عام ١٩٥٨م . وباب عشتار الشهير كان احد الابواب الثمـانية الكبرى لمدينة بابل حيث يخترقه شارع الموكب من الشمال الجنوب اهو اروع واحسـن ما بقي من بابل . ولمن اراد الاسـترشاد فليراجـع مجلة (سـومر ، ج ا و د المجلد ١٧ ، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م .

الجزء الثاني

حل الخط المسماري القديم .

ان المادة الاساسية التي اعتمدت عليها عملية حل رموز الخط المسماري القديم تتمثل بالكتابات التي تم العثور عليها في مدينة برسي بوليس[1] .

وأول شخص اولى هذه الكتابات المسمارية اهتمامه هو الرحالة الايطالي «بيترو ديلافالي» اذ زار هذا الرحالة بقايا برسي بوليس واستنسخ من كتاباتها خمس علامات فقط وعاد بها الى اوربا عام ١٦٢١ . وبعد عودته كتب «ديلافالي» عن هذه الكتابات المسمارية التي شاهدها في برسي بوليس اثناء جولته الا ان العلامات الخمس التي استنسخها وذهب بها الى اوربا لم تكن كافية لمحاولة العلماء في حل هذه الكتابات المسمارية .

وفي عام ١٧٦٥ استطاع الرحالة الالماني «نيبور» ان يستنسخ كتابات برسي بوليس استنساخا مضبوطا وفي عام ١٧٧٨ نشر تلك الاستنساخات ، وبهذا استطاع نيبور ان يقدم للعلماء المهتمين في الموضوع الاساس الذي ساعدهم من بعده في حل علامات هذه الكتابات المسمارية . علما بان نيبور هو الذي تمكن من اثبات ان كتابات برسي بوليس تتألف من ثلاثة انواع من الخطوط المسمارية واستطاع ان يؤكد بان احد هذه الانواع الثلاثة من الخطوط يتألف من (٤٢) علامة مسمارية واكد ضرورة اتخاذ هذا النوع اساسا لحل الخطوط المسمارية الثلاثة .

وبالفعل استطاع «تايكسن» عام ١٧٩٨ ان يثبت بان المسمار المائل المستخدم في النوع المذكور هو عبارة عن فاصل بين كل كلمة واخرى ومن بعده استطاع «مونتر» في عام ١٨٠٢ وذلك استنادا الى المعلومات التأريخية المتوفرة انذاك ان يثبت بان هذا النوع من الخطوط هو من صنع الملوك القدماء للفرس الزرداشتيين وهو الذي تمكن من ان يثبت الى ان هذه الانواع الثلاثة من الخطوط المسمارية تضم نصا واحدا وليس ثلاثة نصوص مختلفة وقد تمكن كذلك من تعيين مجموعة العلامات السبع التي تتألف منها كلمة «ملك» .

وعلى هذا الاساس الذي اقامه هؤلاء الباحثون تمكن «كيورك فردريك كروتفند»

---

(١) برسي بوليس عاصمة الامبراطورية الاخمينية (٥٣٨ ـ ٣٣٠ ق.م) وتقع على بعد ٥٠ كم الى الشمال من مدينة شيراز الحالية .

عام ١٨٠٢ في مدينة كوتنكن الالمانية ان يتوصل الى حل رموز الخط المتألف من (٤٢) علامة والذي يمثل الخط الاخميني .

وفي ٤ ايلول من عام ١٨٠٢ القى كروتفند محاضرة امام جمعية العلوم لمدينة كوتنكن وبين فيها النتائج التي توصل اليها من دراسته لنوعين من الانواع الثلاثة للخطوط المسمارية وهي كما يلي :ـ

١ ـ ان الخطوط الثلاثة تبدأ من اليسار وتنتهي عند اليمين .

٢ ـ ان النوع الاول الذي يتألف من (٤٢) علامة من هذه الخطوط الثلاثة يمثل حروفا هجائية وليس كتابة مقطعية بسبب قلة عدد علاماته علما ان هذا الاعتقاد قد عدل قليلا فيما بعد .

٣ ـ ولما كان هذا النوع يدون ، اي المتألف من (٤٢) علامة يدون دائما قبل النوعين الاخرين على الاثار المكتوبة كافة والتي عثر عليها في بريس بوليس فقد استنتج كروتفند من ذلك ان لغته تمثل البيت الحاكم اي الاخميني وهذا ما يؤكد ما صرح به «مونتر» من قبل حين قال بان لغة النوع الاول تمثل اللغة الاخمينية .

٤ ـ وقد أيد كروتفند ايضا ما توصل اليه مونتر حين حدد سبع علامات وقال ان هذه العلامات السبع تعني كلمة «ملك» لان كروتفند قد لاحظ تكرار هذه العلامات السبع في حيز صغير عدة مرات ولذلك فانها لا يمكن ان تكون اسم علم ، كما لاحظ ايضا ان مجموعة العلامات السبع هذه ترد مرة متجاورة مع زيادة بسيطة مضافة الى نهاية المجموعة الثانية ، فاعتقد بخصوص تجاور المجموعتين والاضافة البسيطة الى نهاية المجموعة الثانية انهما تعنيان «ملك الملوك» .

وبذلك استطاع كروتفند ان يحدد مجاميع العلامات الخاصة باسماء الملوك ومجاميع العلامات الخاصة بالالقاب .

اما كيفيته توصله الى معرفة اصوات تلك العلامات فقد تم ذلك حين عثر على نصين من الكتابة المسمارية وقد لاحظ فيهما ان العلامة الاولى في النص الاول لا تشبه العلامة الاولى في النص الثاني ولذلك فقد اعتقد بان هذين النصين يعودان الى ملكين مختلفين ولاحظ ان المجموعة التي تؤلف اسم الملك في النص الاول قد وردت في النص الثاني بعد مجموعة العلامات التي تؤلف كلمة «ابن» ومن هذا استنتج ان اسم الملك في النص الاول هو اسم والد الملك في النص الثاني . كما لاحظ كروتفند ان كلمة «الملك» ترد بعد كلمة «ابن» في النص الثاني بينما وجد في النص الاول ان اسم العلم ورد مباشرة بعد كلمة «ابن» ولم تسبقه كلمة «ملك» .

فمن هذا علم بان النص الاول يعود الى مؤسس السلالة الذي لم يكن والده ملكا والنص الثاني يعود للابن . والمعروف ان كورش يعتبر المؤسس الاول للسلالة الاخمينية وداريوس المؤسس الثاني وعليه فان النص الاول لابد وان يكون لواحد من المؤسسين . ولاسباب منطقية يجب اسقاط كورش من هذا الاحتمال لان اسم صاحب

النص الاول يتكون من سبعة حروف هجاء بينما اسم كورش يتكون من خمسة حروف كما ان كتابة اسم الملكين اللذين ورد اسماهما في النص تبتدىء بحرفين مختلفين ولذلك فلا يمكن ان يكون هذان الاسمان للملك كورش وابنه قمبيز (كمبيز) اذ كلاهما يبتدأن بحرف واحد وهو الكاف ، ولهذا فلم يبق لكروتفند سوى اسم الملك داريوس ووالده «هستاسبس» وابنه «ايكسيركس» .

وقد تذكر كروتفند بان اسم الملك داريوس قد ورد في التوراة والزندافيستا بالصيغة «دارهيوش» التي تشبه التسمية الاغريقية «داريوس» وهي تتكون من سبعة حروف اي مطابقة لعدد العلامات التي يبدأ[2] بها النص الاول والخاصة باسم الملك . فاعطى بذلك العلامات السبعة الاصوات التالية :— (D. A. R. H. U. SH) ومن تحليله لبقية الاسمين الاخرين استطاع ان يحدد اصوات (١٣) علامة ، واربع علامات من هذا العدد لم تك اصواتها مضبوطة تماما لان لفظ اسماء الثلاثة باللغة الاخمينية يختلف قليلا عن تلفظها في الزندافيستا وفي اللغة الاغريقية هذا وقد تمكن كروتفند ايضا من معرفة اصوات العلامات السبع التي تؤلف كلمة «ملك» .

واخطأ كروتفند في تحديد اصوات اربع علامات يؤكد على ان لغة الزندافيستا مقاربة الى اللغة الاخمينية وليست مشابهة تماما كما صرح بذلك كروتفند نفسه .

وهذه الحقيقة بطبيعة الحال قد ادت الى ادخال تحسينات على النتيجة التي توصل اليها كروتفند .

هذا وقد اهتم عدد آخر من الباحثين بمسألة حل رموز الكتابة المسمارية الاخمينية ، فكان في مقدمتهم «المسيو برنوف» المستشرق الفرنسي المعروف ، الذي توفق في وضع قائمة بأسماء الاجناس والاقوام التي ورد ذكرها وطبقها مع العلامات المسمارية الخاصة بها . واستطاع كذلك الاستاذ «لاسن» ان يميز بعض الحروف الصحيحة في اللغة الاخمينية التي كانت شبه مقطعية ، لانها تحتوي في نطقها على حرف علة مثل (BA. GA. ZA) وعلى هذا الاساس فقد صلحت قراءة كروتفند للاسم داريوس على النمو التالي (D. A. RA. GA. VA. U. SH) وفي الوقت الذي كان العلماء في اوربا يحرزون فيه النجاح الباهر في حل رموز الخطوط المسمارية الثلاثة استطاع «هنري رولنصون» الضابط الانكليزي في الجيش الايراني ان يصل الى حل رموز النوع الاول من الكتابات المسمارية عام ١٨٣٥ اي بعد كروتفند بثلاثة وثلاثين عاما . والاسلوب الذي اتبعه في حل الرموز هو نفس الاسلوب الذي سار عليه كروتفند لان رولنصون قد عثر كذلك على نصين ، الاول كان باسم «هستاسبس» والثاني باسم والده «داريوس» علما بان رولنصون لم يطلع على النتائج التي توصل اليها كروتفند .

ومن اهم اعمال هنري رولنصون الاخرى هو عثوره على كتابات «بهستون» التي استنسخها ونشرها عام ١٨٤٦ . وان الذي يمر من امام جبل بهستون القريب من

---

(٢) جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ١ ، ص ٢٠ .

مدينة كرمنشاه ليقدر حق التقدير الصعوبة التي تحتاج اليها عملية استنساخ هذه الكتابة التي تتألف من اكثر من (٤٠٠) علامة مسمارية ، لاسيما وانها تقع على ارتفاع يتراوح ما بين ١٣٠ ـ ١٤٠ مترا ومنقوشة على جرف صخري عمودي .

لقد لقي رولنصون عناء كبيرا في استنساخ هذه الكتابة واخذ قالب لها . وخاصة انه لم يكن في استطاعته نصب منصة خشبية بهذا الارتفاع الشاهق ، لذلك فانه كان يتدلى بالحبال من قمة الجبل الى عمق ٥٠ او ٦٠ مترا حتى يصل الى هذه الكتابة . وقد كانت محاولة ناجحة الا انها كانت مشحونة بالاخطار ، غير ان شجاعته قد مكنت العلماء الاوربيين من الحصول على مادة مهمة من الكتابات المسمارية .

ظهور الشعوب الهندواروبية من الجنس الابيض وانتصارهم على الكلدانيين اصحاب الخط المسماري .

منذ زمن قديم اخذت الشعوب في الهجرة من اوربا حتى المحيط الاطلسي متجهين في سبل متفرقة حتى استقر بهم المقام في منطقة واسعة تبدأ من الحدود الشرقية للهند واوربا وحتى المحيط الاطلسي ، ومن هنا جاءت تسميتهم . بيد ان هذا النطاق الشمالي العظيم قد قوبل بنطاق مماثل في الجنوب في الشعوب (السامية) الذي امتد من بابل في الشرق مخترقا بلاد كنعان (فنيقيا) حتى قرطاجنة في البحر الابيض المتوسط وشمالي افريقيا ومصر وبلاد الجزيرة العربية والعراق .

واصبح هؤلاء الهنود البدو الشماليون منذ عصور موغلة في القدم عنصرا من الجنس الابيض من الهند الاوربيين اجدادا للشعوب الناهضة التي تقطن اوربا وامريكا اليوم ، وقد ذكر التأريخ ان الحروب التي نشبت فيما بعد بين روما وقرطاجنة مثلت بعض العمليات الحربية على الجناح السامي الايسر ، بينما مثل بروز الانتصار الميدي العيلامي على الكلدانيين وهو الحدث المشابه لبعض العمليات الحربية على الجناح السامي الايمن وانتهى الصراع بين السامي الجنوبي والهندي الاروبي الشمالي الذي مثل خطا يمتد من غرب اسيا حتى المحيط الاطلسي بانتصار الاغريق والرومان . واخذت السيادة في النطاق الشمالي تنتقل من طرفه الى طرفه الغربي مبتدئة بالفرس ثم الاغريق واخيرا الرومان الذين بسطوا سلطاتهم على حوض البحر الابيض المتوسط والعالم الشرقي بحضارتهم وكامل خطوطهم ..



حلية بارزة النقش بخط مسماري هيروغليفي حثي

الحثيون وحضارتهم ومدوناتهم في ١٤٠٠ ق . م

كتب صانع هذا الطبق الاتي حول حافته باللغة الحثية بالخط المسماري : (تاركونديموس ملك مرا) وعلى جانبي رستم الملك نرى نقشين بالعلامات الهيروغليفية الحثية .

ان لهذا النص اهمية عظمى وهو مماثل لحجر بهستون المسمارية وحجر الرشيد في مصر فاصبح من الميسور الانتفاع بنصه في قراءة بعض العلامات الهيروغليفية بالطريقة التي قرئت بها تلك النصوص لكتابات (حجر الرشيد بهستون) المضنية باجهاد العلماء الاثريين في تحديد نطق او معنى بضع علامات لم يتيسر حلها الى ان يأتي ذلك اليوم يتمكنون فيه من حل وتفسير تام لجميع الغاز نقوش الكتابة الحيثية الهيروغليفية وان اقدم ملك حثي وصل الينا اسمه (انيننا) الذي قام في مدينة (كوسار) في المنطقة الشرقية لآسيا الصغرى (الاناضول) وكون امبراطورية صغيرة في الوقت الذي اخذ خلفاء حمورابي يضعفون واندحر اخر فرد من اسرة حمورابي على يد (مورشيلين الاول) ثم سقطت بعد ذلك الامبراطورية الحثية الاولى .

وفي حوالي عام ١٤٠٠ ق .م قامت الامبراطورية الحثية الثانية واستمرت لمدة قرنين من الزمن وكان مؤسسها (شوبيلو ليوما) اكفأ قائد عرفته اسيا . فلما تقدم (شبيلو ليوما) في سوريا وعلى شواطيء الفرات وكانت هناك ثورة الملك (تحتمس) و (اخناتون) المصري التي اضعفت من روح المصريين الحربية لم يكن في مقدورهم عمل اي شيء تجاه هذا القائد وتقدمه في سورية فدحرهم واصبح الفاتح الحثي المسيطر على جزء كبير من اسيا الغربية . وهناك رسالة ذات اهمية عظيمة كتبت بالخط الحثي المسماري (رقيم طيني) عثر عليه مع الرقم التي اكتشفت في العاصمة الحثية (خاتوشاش) من ملكة مصر يحتمل ان تكون (نفرتيتي) الى الامبراطور الحثي وهي اما ان تكون من ارملة (اخناتون) او ابنته الثالثة التي تزوجت (بنو تعتح امون) امتدت الامبراطورية الحيثية حتى وصلت الى (اشور) ـ وجزء من اسيا الصغرى والميتاني) ودانت لها مدينة طروادة فاصبحت تحت السيادة الحيثية وباتت الامبراطوريتان المصرية والحثية مدينتين متنافستين في سبيل الوصول الى مركز الصدارة . وكانت المنافسة قوية بحيث دامت اكثر من ربع قرن بين الفريقين حتى بعد عام ١٣٠٠ ق . م .

وهذه رسالة اخرى كتبت على رقم يرجع تأريخها الى ١٢٧٠ ق . م . عثر عليها الباحثون في (بوغازكوي) ـ خاتوشاش ـ بعث بها الملك الحثي مع ابنته لتصبح زوجة (رمسيس الثاني) ورسم نحاتورسيس ، تمثل وصول العروس الحثية الى مصر على المعابد المصرية (معبد ابي سمبل) على مقربة من الشلال الثاني . ومما هو جدير بالاعجاب ان (شبيليوليوما) قد اعترف في احدى كتاباته بان غزوه لمصر كان غزوا غير مشروع ، وان الوباء الذي تفشى بين شعبه الحثي كان بعد ذلك عقابا الاهيا عما اقترفه من اعمال حربية .

وفي نفس الفترة التي كانت الامبراطورية المصرية في اوج عظمتها كانت (كنوسوس) في جزيرة كريت في عصرها المجيد ، ويوم كانت طروادة قد شيدت مدنيتها السادسة . كما كانت الحضارة الحثية تقع بين الحضارتين العظيمتين بين الشرق والغرب وكان تأثيرها على الشعوب الايجية كبيرا . وان الحثيين كانوا اصحاب الفضل في نشر استعمال الحديد . وانهم ساهموا في نصيب وافر في حضارات الشرق الادنى القديمة .



مدخل مدينة (بوغازكوي) ويظهر على جانبي البوابة نحت من الكتلة الحجرية على شكل اسود . وكانت الاعين مرصعة باحجار ملونة ـ ١٤٠٠ق .

الشعوب الآرية :

اجمع الباحثون ان الاريين هم من قبائل الشرق من النطاق الهندو ـ اوربي استوطنوا في مراعي بحر قزوين قرابة عام ٢٠٠٠ ق . م وجعلوا من هذه المنطقة وطنا لهم . ولم يعرف هؤلاء الاريون الكتابة والقراءة وكان لهم في ذلك الحين كهنة

لبيت (النار) في هذه الديانة اطلقوا عليهم اسم (مشعلي النار) اجتمع اخر الامر شملهم في الهند واطلق عليها اسم (فيدا) الذين كتبوا باللغة (السنسكريتية) والقسم الذي سمي (قبائل اري) اتجهوا نحو الغرب خلال الجبال التي تحادد (الهلال الخصيب) . اما القسم الشرقي من هؤلاء بالتعبير الخاطيء ، والصحيح وهو (الوطن الاري القديم) بشرقي بحر قزوين بشمالي ايران وهم كانوا الخطر الدائم منذ اقدم العصور على شرقي (الهلال الخصيب) ، هددوا بسلامة سكان بابل وآشور وذهبوا بطمأنينتهم ثم اسس الميديون عاصمة لهم (اكباتانا) في مواجهة بابل مباشرة .

الطراز البيزنطي : ٣٢٤ ـ ٩٠٠ للميلاد

لما بدأ نجم عظمة روما يأفل واخذ نجم قياصرتها في القسطنطينية بفضل جهود الامبراطور قسطنطين بالنمو والازدهار اخذ الدين المسيحي بالانتشار ، واتقن مهندسو بيزنطة التراث الذي انتقل اليهم عن الرومان وغيروا من نظرياتهم المعمارية في البناء واشاعوا استعمال الاعمدة وحملوها اثقال العقود واقاموا قبابه على جدران مستقيمة مربعة مقلدين بذلك قدماء الاشوريين وسرعان ما ازدهر هذا الطراز وانتشر في ربوع اوربا والشرق الاوسط وهو الطراز البيزنطي .

وتعتبر كنيسة (آيا صوفيا) اروع مثل لهذا الطراز وقد تحولت الى جامع استنبول بعد الفتح التركي ـ العثماني ـ ومعناها (الحكمة المقدسة) وقد اتخذ من تصحيحها نموذجاً للمساجد التركية الهامة بعد ذلك .

طراز العمارة الهندية :

فمن امثلة المنشآت الهندية في الشرق التي اشتهرت في افغانستان (قبر شرساء) ويعتبر من اجمل القبور وقبر (تاج محل) الذي انشأه شاه جهان لزوجته في الهند والتي توفيت في شبابها سنة ١٦٣٠م . ومسجد السلطان حسن من حيث جمال النسب وغيرها . وضريح (طاهر خان مظفر) بشمال باكستان وذلك على اثر انسياب الحضارة الاسلامية .

فن العمارة بالطابوق الملون (البابلي والاغريقي والبيزنطي) ٤٠٠٠ ـ ٣٨٠٠ ق.م.

روى المؤرخون ان اقدم مدينة وضعت من الناحية الاجتماعية لساكنها حوافز الاحساس بالحياة واعتبار نفسه عضوا يرجع تاريخ انشائها الى ٢٩٠٠ ق.م كمسكن مجمع متراص في اجزائه وتوجيه غرفه من مخازن التموين كمدينة خنت كاوسن بالجيزة ويليها مدينة (العمارنة) التي انشئت في عهد اخناتون . فعمد مهندسوها الى استغلال الموارد الطبيعية وحرقوا الطين للحصول على الطوب (الطابوق) المحروق والحصول على اللبن المجفف بحرارة الشمس .

ومن اثارهم قصر سرجون في مدينة خرسابار ويعتبر هذا القصر ارقى ما وصل اليه من فن في الارتفاع والمساحة والقاعات والابراج والطوابق والاسوار . فمساحته قدرها ١٠ هيكتارات ويحتوي على ٢٠٠ حجرة تعلو على سبعة طوابق .

وعندما كانت السيادة لسومر وبابل استعمل الطوب المغطى بالميناء الملون كطلاء متقن الرسوم بالحيوانات المنقرضة المثيرة للدهشة . ثم انتقلت هذه السيادة الى اشور ثم عادت مرة اخرى الى بابل . واهم ما استعمله الاشوريون والبابليون في فنون زخارفهم ما اقتبسوه من الاشياء النباتية وما تخيلوه من الاشكال المجنحة ذات الرؤوس البشرية وفضلوا استعمال الالوان الازرق والاخضر والبرتقالي والفيروزي والبني في طلاء القيشاني الذي بلغ الذروة كما نرى في اشكال الرسوم . اما الفن الفارسي فقد بدأ في منتصف القرن السادس قبل الميلاد وكان فنا مقتبسا مستعارا ورد اليهم عن طريق اسيا الصغرى واليونان ومصر .

العمائر والاعمدة والفن الاغريقي (٣٠٠٠ ق.م)

كان لحب الشعب الاغريقي للفن وتمجيده اياه اثر كبير في طابع الفنان الاغريقي فنشأ محبا للجمال ويقدسه متشبعا بروح الحكمة التي بثها فيه فلاسفتهم وهم اول من وضعوا النظم التي يسير عليها الشعب . ويمكن تلخيص الحضارة الاغريقية بكلمة واحدة وهي «التناسق» .

وقد اتصف هذا الشعب بحب النحت والفن المعماري الى يومنا هذا ويتجلى جمال معابدهم باتقان وروعة وفخامة الطراز المعماري واشتهرت اثينا باكروبولها الشبيه بالقلعة فضلا عن انه حرم مقدس للالهة . كما انه يرقى بهذا المرتفع الذي يشرف على البحر ويتظلل بالسماء ومدينته اثينا المتجملة بالتماثيل . وكان الفن الاغريقي يستمد عناصر وحداته من موجودات الطبيعة من اوراق الاشجار والازهار مما تعمل في نفس الانسان ما ينفرد باساطيره القصصي المعبرة عن المشاعر ويزيد في العابد التعلق بالود والمحبة للالهة التي اتخذها الانسان الاغريقي المحب للجمال الانساني المخلوق المتناسب الذي احسنت صنعه وخلقته يد الخلق العظيم .

العمارة والفنون الرومانية ٧٥٠ق . م

تأثر الرومان عند انشاء مدينة روما بما شاهدوه في منشآت الامم التي غزوها من فنون العمائر المنوعة في مبانيهم كالهيكل المصري بجوار المعبد الاغريقي واقواس النصر وظهر نبوغ الرومان في تحسين المبتكرات التي وجدت في عصور سبقتهم وعبدوا الطرق وشيدوا القناطر الضخمة والقباب العالية التي تحمل الاثقال العظيمة مثل معبد (بانثيون) الذي تعرض فيه تماثيل الالهة التي قلدوا بها الاقاليم التي فتحوها في العالم باجمعه فربطت بين روما ومعجزات التصاميم القديمة والوسطى ، واندماج وتقارب الفن المصري والاغريقي والروماني واهتم الرومان باعداد منازلهم بجميع وسائل الراحة التي كانت متوفرة من حمامات مع مرازيب في سقوف الحجرات لتصريف مياه الامطار .



قوس روما

جدول مسلسل الابجديات العربية

لعلماء الاثار والمؤرخين اراء مختلفة في اصل سلسلة الخطوط السامية فمنهم من جعل البدء من الخط السينائي ومنهم من قدم الكنعاني المبكر على السينائي كما نراه هنا في الجدول برأي العالم «ديرنجر» .

ايضاح : الخط العربي هو احدث الخطوط الابجدية السامية عهدا ظهر في الجزيرة العربية ولكنه شاع استعماله وانتشر اكثر من اي خط سامي اخر في العالم والبحث في المؤثرات التأريخية التي اكتشفها التنقيب الحديث يجعلنا نقف في نقطة البدء لكل الدراسات والتأملات المعروفة قبل مدة طويلة في مؤلفات المستشرقين لندرك ان هناك ابجدية سينائية قديمة وسامية شمالية وان لهاتين الكتابتين ارتباطا ببعضهما لكونهما من موطن واحد في شمال او جنوب الجزيرة العربية اضف الى ما تقدم ان اقوال الباحثين تتفق على ابجدية سيناء هي الارومة للابجديات جميعا . ومن هنا يعلل العالم «ديرنجر» في كتابه «الكتابة» قوله في قضية اختراع الأبجديات بانها لم تدع انطباعا حاسما حول ما وصل الينا عنها من الدراسات ، ولعل المستقبل سيكشف لنا عن حقائق ادق نتيجة للتنقيبات .. والجدول هنا قد صحح الاراء القديمة في اصل الخط .

بقاء صلات العرب بالساميين في اللغة

لاحظ المعنيون بلغات الشرق الادنى وجود اوجه شبه ظاهرة بين البابلية والكنعانية والعبرانية والفينيقية والارامية والعربية واللهجات العربية الجنوبية والحبشية والنبطية وامثالها في جوهر اللغة وفي امور مشابهة اخرى فقالوا بوجود ارومة مشتركة كانت تجمع شمل الشعوب ، واطلقوا على ذلك الاصل او الارومة (الرس السامي) واول من اطلق هذه التسمية واذاعها بين العلماء عالم نمساوي اسمه (اوغست لودويك شلوتسر) وذلك في عام ١٧٨١م .

وبعد حوالي مئة عام قسم العلماء اللغات السامية الى مجموعتين شمالية وجنوبية . اما السامية الشمالية فتتألف من العبرانية والفينيقية والارامية والاشورية والبابلية والكنعانية . واما السامية الجنوبية فتتألف من العربية بجميع لهجاتها والحبشية . ودراساتها تقوم على مقارنات انتولوجية وفحوص علمية فضلا عن الدراسات التأريخية والدينية .

فالسامية اذا هي محض اصطلاح قصد به الروابط التي نراها بين هذه الشعوب

واذا قامت بعثات علمية ببحوث (انتروبولوجية) في الجزيرة العربية والبحث عن العظام والجماجم ودراستها دراسة مختبرية فان البحث في الساميات وفي علاقات الشعوب القديمة بعضها ببعض سيتقدم كثيرا .

وطن الساميين

ولما تساءل الباحثون من العلماء في الاجناس البشرية من اين جاء الساميون الاوائل ؟ كانت الاجوبة متباينة حتى الان . اذ قامت اراؤهم على نظريات وفرضيات فذهب بعضهم الى ان الاقسام الجنوبية من جزيرة العرب هي الموطن الاصلي اذ لما كانت الشعوب السامية قد قضت في اطوارها الاولى حياة بدوية فلابد ان يكون وطنها الاول صحراويا . وثبت ان معظم المدن والقرى تكونت في العراق وسورية . ولما كانت

غالبية هذه العناصر البدوية قد جاءت من جزيرة العرب فلا معدى ان تكون الجزيرة قياسا على ذلك الموطن الذي ارسل اليها تلك الموجات المتوالية.

فظهر الساميون على مسرح الوجود في ٣٠٠٠ق . م. من ذلك الوطن الام . والاراء المتضاربة لم تزل غير محدودة فلابد من التريث في اعطاء احكام في هذه الاراء في ما اورده «ديرنجر» .

اللغة العربية انسب اللغات السامية واكثرها ملاءمة للغة الام:

لقد بحث المستشرقون في هذا الموضوع ولا يزالون يبحثون فيه وتنوعت اراؤهم التي لم يجرأ احد منهم ان يزعم بانه توصل الى تشخيص لغة (سام) او تمكن من معرفة اللغة التي تحدث بها مع ابيه نوح عليه السلام باعتباره مبدأ السلالات السامية . وقد رأت جماعة من المستشرقين ان اللغة العربية مع حداثة عهدها بالنسبة الى اللغات الاخرى هي انسب اللغات السامية الباقية للدراسة واكثر ملائمة للبحث ، لانها لم تتصل باللغات الاعجمية قبل الاسلام فبقيت اصفى من غيرها وحافظت على الاعراب على حين فقدت هذه الخاصية اكثر تلك اللغات .

وبفضل محاولات ودراسات (اولرانج جاسبار ستيزن) الرائدة في الجزيرة العربية عرفت اوربا سنة ١٨١٠ م ماهية الخط «المسند» الحميرية لاول مرة . وكان ذلك في مطلع القرن التاسع عشر عندما اخذت الكتابات الاثارية والاشياء التي نقشت عليها تأخذ اهتماما كبيرا . فقد تعلم العلماء حل رموز الاثار الفرعونية واثار افريقيا الشمالية وسورية والاردن «الرقيم» وكانت اثار الكتابات الحبشية تكتشف ايضا .

وكان البادىء الاول بالتنقيب عن اثار اليمن هم الالمان ، ثم جاء بعدهم الانكليز ، ثم اتى دور الفرنسيين[3] وكانت حصتهم في الخدمة اوسع مجالا واكثر ثمرا . واول من اخترق اواسط اليمن سنة ١٨٤٣ وعاد ومعه (٥٦) نقشا من اثار صنعاء والخربية وسد مأرب وحرم بلقيس هو (ارنو) الذي اصيب بالعمى نتيجة لما لاقاه وارسل ما كان قد نسخه الى صديقه (فرستل) ونشرته المجلة الاسيوية في عدة اجزاء منها وفيها خارطة (سد مأرب) المشهور وصورته المخططة التي يجدها القارىء في كتابنا هذا[4]

وقد تمكن من حل رموز النقوش التي ارسلها (ارنو) هذا المستشرق (اوسياندر) في عام ١٨٤٥ . ويقول المؤرخون بشأن كتابات المسند وحل رموزها وكان من بين علماء العربيات (كروهمن) و (وتلف نلسن وويبر ، هاري البرايت وفيلبي) وغيرهم ، ويختلف هؤلاء في كثير من المواضيع في ترتيب الوقائع وتأريخها . ولما تكاثرت النقوش عندهم ولم يكتفوا بما حلوه منها تشكلت للعمل في هذا السبيل جمعية الاثار

---

(٣) دخل هذا اليهودي الفرنسي اليمن بصفة يهودي مثول من اهل القدس بحجة ان المسلمين لا يمسون اهل الذمة .

(٤) نفس المصدر السابق

السامية . واهتم ناظر المعارف في باريس بايفاد المستشرق (هاليض) سنة ١٨٦٩م في نفس الطريق الذي سلكه قبله (ارنو) .

وقد حصلت متاحف اوربا على عدد كبير من اثار اليمن ، وبعضها منقوش على الحجر او البرونز وتماثيل وأوان والواح واحجار وبعضها منقوش بالرسم او الطبع يزيد عددها على الفين نشر اكثرها على صفحات المجلات الالمانية والفرنسية والانكليزية .

واشهر الذين اشتغلوا في حل الرموز الكتابية التي وجدت هو (اوسياندر) و (هاليض) و (مورتمان ، مولر ، غلارز ، ديرنبورغ وهومل) ولهذا الاخير كتاب باللغة الالمانية وضعه في علم نحو وصرف اللغة المعينية السبئية الحميرية فيه جزيل الفائدة ، وكان ممن ذهب الى اليمن شاب نمساوي اسمه (سيكفريد لفكر) لكنه قتل في ١٨٨٢م .

وخير ما يستطاع عمله استجلاء لتأريخنا العربي القديم هو : جمع كل ما يمكن جمعه من الاثار وترتيبها على اساس من دراسات نماذج الخطوط وطبيعة الاحجار التي نقشت عليها تلك الكتابات لاسيما العناية بترتيبها الزمني والامكنة التي وجدت فيها لتكون احكامنا منطقية علمية .

لان النظريات التي اقامها علماء العربيات الجنوبية اصبحت مترجرجة بالنظر لما يجد في الحفريات . وقد زار المستشرق (جورج اغسطس والين) سنة ١٨٤٥ نجدا ودون رحلته وزار المستشرق الهولندي (سنوك هرغونية) الحجاز ووصف موسم الحج في سنة ١٨٨٥ . وهو من العلماء المدققين . وقد زار الحجاز (السير ريتشارد بيرتن) متنكرا باسم عبدالله وزار الحرمين وكتب وصف رحلته . وقد توغلت (حسنة بنت) سنة ١٨٧٩ في بلاد العرب حتى بلغت ارض نجد .

واخترق الرحالة الانكليزي (جارس دونسي) الصحاري العربية الشمالية وقد اهتم خاصة بالنواحي الجيوجية ولم يفضل في دراسته طبائع البدو وحياتهم الاجتماعية ، ويعد هذا الرحالة من المتعصبين على الاسلام وهو يحن الى حياة البدو وكتابه يعد من روائع الادب الانكليزي . وتزيا الرحالة الالماني (هانرش فون مالتزن) بزي حاج مغربي وذهب الى الحجاز وتظاهر بانه منهم . وبعد عودته من الحج وضع رحلته في كتاب . ويقول الدكتور جواد علي بعد ايغال طويل في ذكر المستشرقين والرحالة الذين عالجوا كتابة المسند ان دراسة اللهجة العربية لقبائل البدو في اليمن وبقية البلدان العربية الجنوبية وجميع معاني مفرداتها تفيد كثيرا في تفسير كتابات المسند وشرحها ، لان كثيرا من هذه المفردات ما زال مستعملا استعمال القدماء له . كانت مثل هذه الدراسات لم تتم بشكل علمي منتظم ومنسق حتى الان .

القفزة الفكرية التي كونت الابجديات(٥)

مهما تنوعت الروايات فالعالمان كاردنر وسيته يؤكدان بحسب وجهات نظرهما ان كتابات سيناء هي الشكل الوسط بين الهيروغليفية المصرية والابجدية السامية الشمالية اللتين يتشكل منهما الاساس الاصلي للالفبائية .

اما العالم ديرنجر فانه يقول ان مكتشف او مكتشفي الالفبائية قد تأثروا بالهيروغليفية المصرية ولكن ما يثير العجب هو عدم وضوح هذا التأثير غير المؤكد . وبما ان اختراع الالفبائية يتطلب ذكاء خارقا وعبقرية فذة لا يملكها الا الملهمون فان الرجل او الرجال الذين اخترعوها ما كانوا الا عارفين باغلب التيارات الكتابية المتيسرة في ذلك الوسط والزمن الذي عرفت وذاعت فيه بشرقي البحر الابيض المتوسط ، بل في الجزيرة العربية .

وغني عن البيان ان معرفة الكتابة الهيروغليفية المصرية لم تكن منحصرة في وادي النيل وحده كما ان الكتابة المسمارية البابلية والاشورية لم تكن محصورة في وادي الرافدين بل حتى في جاراتها المباشرات من الشعوب السامية وغيرها .. على انه لا يستبعد ان يكون رجل او رجال مشتركون هم الذين تنسب اليهم هذه القفزة الفكرية التي اثرت في تكوين الشكل المميز لهذه الكتابة الابجدية ، ففكرة القفزة الاولى التي كونت (الطور المقطعي) كانت تمهيدية وكذلك فكرة الكتابة العيلامية في غرب ايران كانت شبه الفبائية في الصورة .

اما فكرة التوصل الى اختراع وخلق صوت وشكل لكل حرف يمثل صوتا ورمزا ففي حالات ان يكون في الاول والوسط والاخير في الافراد والتركيب كحرف لا يتبدل والفبائي ابجدي معبر في كتابة في سطور على رقم طينية او اوراق بردية انها لمن الالهامات التي توحي الى نوابغ العباقرة وافراد افذاذ كرام امثال (نيوتن) الذي له في تاريخ العلم اليد الطولى باكتشافه قانون الجاذبية العامة . وقد ضربت عباقرة العرب المثل الاعلى في اختراع كتابتهم الابجدية منذ البدء وتطورها وابتكار فصل اجزاء حروفها ووصلها واشتقوا منها اوضاعا واشكالا مناسبة واعدادا زادوها اتساعا ، اذ كانت في اول الامر سبعة احرف كما ذكرها صاحب (صبح الاعشى) القلقشندي . ثم زادوا اعداد الحروف بنسبة الالفاظ التي تستوعب الكلام العربي فابلغوه تسعة عشر حرفا ، ثم ركبوا عليها الاحرف الباقية لاتمام هجائهم فصارت (٢٨) حرفا هجائيا عدا اللام الف في المشرق العربي خلافا للمغرب . وقد ذكر الصولي ان واضعي الحروف الهجائية العربية (الابجدية) كانوا على اسماء ملوك (مدين) التي جاء ذكرها في سورة الشعراء في القرآن الكريم ، وهي (ابجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص وقرشت) هلكوا في يوم الظلة في الحادثات التي انزلها الله تعالى عليهم من السماء بغربي سيناء . والروايات في هذا الموضوع لم تزل متضاربة .

---

(٥) انظر : الحضارات السامية القديمة ـ سبتينو موسكاني ، ص ٢٧٢ .

خط المسند[٦]

قال الهمداني ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف بن داود ان اكثر ما يقع بين الناس من الخلف فيما يقولونه في مساند حمير ومثلا به في حروف (أ ، ب ، ت ، ث) وغيرها لانه ربما كان للحرف الواحد اربع صور او خمس ، ويكون الشخص الذي يقرأ هذا الخط المسند لا يعرف الا صورة من ذلك الحرف قال فلما رأينا الخلل يقع في ذلك الموضع رأينا ان نثبت تحت كل حرف من حروف الهجاء السند المذكور صورة لحرف من حروف الالفباء بالخط العربي الدارج المذكور . وقد ترك لناالهمدانلا نموذجا نقلناه عن الجزء الثامن من كتاب الاكليل من حروف المسن؛ المتأخر ، ونموذجا آخر نقلناه عن كتاب الفهرست .

واما رسوم حروف المسند التي نقلناها عن هذا الكتاب (الاكليل) فيجدهاالقارىء في هذا الكتاب وهي مطابقة لاشكال الحروف المرسومة في كتاب (شمس العلوم وشفاء كلام العرب من الملكوم) لنشوان بن سعيد الحميري .

وطريقة كتابة المسند[٧] ان تفرز بين كل كلمتين بصفر لئلا يختلط الكلام ، وصورة الصفر عندهم كصورة حرف الالف العربي خط قائم (١) ويكون اتجاه السطر .
وهذا الخط هو قلم حضارة العرب الاولى وتسمى (مزندن) وقد كتبها المعينيون .
ويقول الباحثون ان كلمة مسند تعني (الكتابة) .

ويقول المؤرخون بأنه لم يطرأ عليها تغيير في العهود التي مرت عليها .

وقد تراءى للذين درسوا نصوص كتابات جنوب الجزيرة العربية وبينوا لهجتهم قدر ما يتعلق الامر بكتاباتهم الاثارية التي هي عربية جنوبية واعترفوا بلهجاتها . وقالوا انها عربية دون ريب واهلها عرب . فلا غرابة لاهل المسند ان ينزلقوا الى هذه المدارك في العصر الاسلامي من النسيان لتراخي الزمن وزوال اهل الحضارة الاول واندثار لهجاتها حتى قال ابو عمرو بن العلاء (ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا) .

فالقرآن الكريم نزل بعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هوازن في حروفه للقراءات ونزل بعضه بلغة اليمن ايضا ، فالمراد بالاحرف لغات العرب المفرقة في القرآن وقد وضع السلف الصالح علم القراءات دفعا للالتباسات .

---

(٦) نفس المصدر السابق

(٧) انظر : كتاب الاكليل وكتاب شمس العلوم .

جذور تاريخية لابد من المرور بها للكتابة :

انه من غير الممكن الاستقرار في بحث تأريخ نشوءاالكتابة الهجائية طالما ان هناك اعمالا تنقيبية وبعثات مستمرة في خرائب المدن العربية القديمة التي بلغت حضارتها الحد الذي اكتشفته هذه البعثات في مدينة اور في جنوب العراقـ محافظة ذي قـار ـ من الآثار القديمة . اذ عثر رجال البعثة خـلال الحفـريات على محتويات تنافس في الفخامة ما عثر عليه في اهرامات مصر في ذلك العهد كالخوذة الذهبية المصنوعة على درجة كبيرة من المهارة والدقة تمثل الفن السومري التي انتقلت رمـوزها الزخـرفية الى مثل النسر الذي ظهر في اعلام ملوك النمسا والمانيا وامريكا اخيرا .

وكم من مرة اصاب شعوب هذه المنطقة مـن الشرق الاوسـط تخـالط وتمـازج وتطاحن منذ الفي عام قبل الميلاد فوجدنا الآراء حول تطور الكتابة فيها قد غشـيها الظلام بما افتعله المؤرخون ولم يصل الينا الا مـا حققـه المنقبون اخيرا ممـا كتبه الأكديون عن لغتهم العربية القديمة .

والعموريون ـ امورو (العرب ، والاراميون) وهم الذين حققوا المجتمعين الكاتبين الساميين صاحبي اللغتين الساميتين اللتين اصبحتا تستعملان جنبا الى جنب بعـد نشوء الكتابة السامية الشمالية المبكرة وقد استنفذ ذلك التطور زمنا لم يعرفه التأريخ او يحدده بالضبط حتى اصبحت لغة الهلال الخصيب تؤكد ان صرح هذه الحضـارة قد قام على اساس حضارة وادي الرافدين كما نشاهد تخطيطاتها في سـلسلة نشـأة الخط العربي وتطوره وهو احدث الخطوط السـامية المنقـول مـن كتاب WRLTLNG فالسامي الشمالي المبكر هو الاصل للخطين الساميين الشمالي والجنوبي فاشتق من السامي الاول الكنعاني والفينيقي واشتق من السـامي الجنوبي (السـبئي المسـند الحميري) وخطوط اخرى .

اما الخط المسن؛ الذي كتب به اهل الحضارة اليمنية في جنوب الجـزيرة العـربية لغتهم وطوروها على توالي الازمان فاشتق منه اهل الحبشة الخط الامحري ، وهـو الأثر الباقي الى يومنا من الخط المسماري المتأثر باصـله الخـط البابلي او الأكدي الذي حملة العرب في هجرتهم مصطحبين معهم اسباب الحضارة السومرية والأكدية والبابلية الى جنوب الجـزيرة العـربية التي كونت الحضـارة المعينية والتي اختلف المؤرخون في تقدير اعمار وازمان اثارهم في اطلالهم اليمانية الأولى التي قدرت مـا بين ١٤٠٠ ـ ٨٠٠ قبل الميلاد ويقول المؤرخـون ان المعينيين مـن عمـالقة العـراق وهنالك من الاسباب ما يحملنا على الاصل في التنقيبات لتصحيح ظنون المستشرقين .

تكتب الحروف الأبجدية لهذا الخط السامي الذي رسمنا انحداره في احدث جـدول

وضعه العالم (ديرنجر) في كتابه من اليسار الى اليمين او من اليمين الى اليسار ايضا . وتكتب على هيئة متعرجة كما استخلصناه من العالمين (اميل رودمجر واوغستيس) وقد انبثقت تسمية (المسند) لاقامته كالاعمدة ، ويفرز بين كلمة واخرى . وقد رسم نماذج هذا الخط في كتاب (الاكليل ـ ج ٨) واحسن من تكلم على الحروف المفردة هو كتاب (شمس العلوم وشفاء كلام العرب من المكلوم) الموجود في مكتبة المتحف العراقي . وقول صاحب الاكليل : واكثر ما يقع بين الناس الخلف فيما يقوله في (حمير) من اختلاف صور الحروف بأنه ربما كان للحرف اربع صور او خمس ويكون الذي يقرأ لا يعرف الا صورة واحدة الا انه لم يذكر عدد الحروف وانما وقع الخلف في هذا الموضع ووضع الهمداني فوق كل حرف من حروف المسند حرفا من حروف الهجاء العربية بالخط العربي النسخي (الف ، باء ، تاء ، ثاء ، جيم ، حاء ، خاء ، دال ، ذال .. الخ) وجعلها غير مرتبة في خمسة اسطر منها بصورة واحدة منفردة مثل ما اقتبسها عن اصلها بشكلها المحرف المنقول ، لذلك جاء على ترتيب نظام المشابهة غير الابجدية المرتبة على حرف (ابجد ، هوز ، حطي ..الخ) الاصل الذي اجرى في العهد الاسلامي . وكذلك اتبع صاحب كتاب (شمس العلوم وشفاء كلام العرب من المكلوم) الا اننا نجد اللوح الذي نقلناه عن هذا الاخير ادق واحكم هندسة ونسبة .

وكتابة الطريقة الهجائية العربية من اليمين الى اليسار وعددها (٢٨) حرفا عدا حرف اللام الف كما ذكرنا آنفا ..

ومن الغريب ان المستشرقين الذين عرفوا بميلهم الى الاحاطة بما ورد في الكتب العربية التأريخية القديمة[٨] باعتبارها اغزر مادة واقرب الى المنطق في فهم الحوادث قد اهملوا اكثرها فيما كتبوه عن اخبار ما قبل الاسلام لمشاهير الرواة وفي المقدمة منهم عبيد بن شربه الجرهمي ووهب بن منبه ومحمد بن السائب الكلبي وابنه هشام بن محمد بن السائب وكعب الاحبار وغيرهم .

واولئك رغم كونهم منبعا للاسرائيليات في الاسلام[٩] الا انه ما يجب علينا نحن في عصرنا الحاضر الاهتمام بتدوين ـ في الاقل ـ ما يتعلق بالخط العربي القديم (المسند) الذي ذكروا اخباره في مؤلفاتهم ، لا سيما مادة حمير والسنتهم في الجزء الاول من كتاب (الاكليل)[١٠] لاحتوائها على اخبار من المسند يستحقون الثناء عليها . لقد قام بطبع هذا الجزء والجزء الثاني منه حديثا محمد بن علي الاكوع في القاهرة .. ونأمل ان تنشر الاجزاء الباقية منه ففي نشره فائدة يمكن اصدار الحكم من خلال ما

---

(٨) انظر : دائرة المعارف الاسلامية ز وراجع مقدمة (نبيه فارس) ENcy- Voi Brockelman Vol. 1, s, 22p وذهب برولكمن الى ان ما اتهم به رواة العرب من التلفيق والكذب لم يكن صحيحا 2. p. 246 البحوث العلمية قد دلت المستشرقين على ان الحق كان في جانب ابن الكلبي في كثير من المواضع التي اتهم فيها .

(٩) تأريخ العرب قبل الاسلام ، ج١ ، ص ٨٢ ـ ص ٩٧ .

(١٠) الاكليل (١ / ٣) فما بعدها و ٩٩ وما بعدها .

فيها على درجة علم المؤلف بمعاني نصوص المسند ومقارنتها مع قـراءات العلمـاء المحدثين المتخصصين بالعربيات الجنوبية المحفوظة في المتاحف ، كمـا اننا لنأسـف لضياع الجـزء التاسـع المخصص بامثال حمير .. وليس لدينا سـوى الجـزء الاول والثاني والثامن والعاشر . فلننظر في هذه الاجزاء المطبوعة لنرى ما جاء فيها . فقـد ذكر الهمداني ان جماعة من العلمـاء في ايامـه كانت تقـرأ المسـند ، غير ان اولئك العلماء كانوا يختلفون في قراءاتهم ، ويعزو الهمداني ذلك الى اختلاف صور الحروف (لانه ربما كان للحرف الواحد اربع صور او خمس ، والذي يقرأ لا يعرف الا صورة واحدة) وذكر الهمداني ان كتاب المسند كانوا يفصلون بين كلمة واخـرى في السـطر بخط قائم (وهذا صحيح) وقد وجدنا رسوم الحروف الحميرية باشـكال تختلف عن رسومها الصحيحة قليلا كما نقلناه هنا عن الفهرست ايضـا . وصرح ان الحميريين هؤلاء كانوا يطرحون الألف اذا كانت بوسط الكلمة مثل (الرحمن وهمـدن) ويثبتون ضمة آخر الكلمة مثل واو (عليهمو) كما جاء في الاكليل (ج ٨/ ١٢٢) .

واما ما ذكر من انه ربما كان للحرف اربع صور او خمس فهـذا غير وارد ونحـن نعتقد ان هذا الرأي ربما نشأ عن اختلاف ايدي الكتاب في رسم الحروف المتشابهات مثل حرف الهاء والحاء المسند ، فكلاهما على هيئة كأس والفرق بينهمـا هـو خـط عمودي في وسط الكأس ، ومثل هذا التشابه حرفا الصـاد والسـين ، فـكلاهما على هيئة كأس وضعت وضعا مقلوبا .. الى هنا نمسك عن تقـدير درجـة علم الهمـداني بالمسند وبيننا وبينه عشرات القرون من الزمن ولاشك انه قد افادنا في قـراءة خـط المسند واشكال حروفه ، وينطبق هذا الوصـف على نشـوان بن سـعيد الحميري في تدوين تأريخ اليمن في قصيدته الحميرية وفي حروفه التي نشرها في كتابه الذي اسماه (شمس العلوم ودواء كلام العـرب مـن المكلوم) الذي نقلنا عنه حـروف المسـند الصحيحة في كتابنا هذا .

وقـد جـاء في كتاب الاكليل (٨/ ١٢٢/) طبعـة نبيه (٨/ ١٤١) طبعـة الكرملي في ملاحظات اخرى كيفية الكتابة بالمسند ذكرهـا في الجـزء العـاشر ص ١٦٢ قـال : (والمسند خط حمير ، مخالف لخطنا هذا ، كانوا يكتبونه ايام ملكهـم فيمـا بينهـم ، وقال ابو حاتم ، هو في ايديهم الى اليوم باليمن ، ويظهر ان قوما من اهل اليمن بقوا امدا في الاسلام وهم يتوارثون هذا الخط ويكتبونه .

فقد جاء في بعض الموارد : (والمسند خـط حمير مخـالف للخـط الكلداني لانه لم يتمكن من الصمود امام الخط العربي الشمالي الذي كتب به اهل العـراق القـرآن الكريم فغلب على امره حتى زال من الوجود في الاستعمال

القفزة الفكرية التي تخطاها البشر باختراع حروف الالفباء السامية

يرى المحققون في فصول الابجديات على انواعها انه لا يعقل ان يرسم صورة او ينقش حرف معين ما لم يكن قد صاحب ذلك تفكير الانسان الذي سبق ان ادرك وتعرف على نوع متطور معروف ومدروس جيدا لاسلوب من التهجي الذي الفه وتعلمه البشر باظهار نطق اصواته ، سماه (ابجد) الف ، باء ، جيم ، دال .. الخ ورسخ منذ قرون الى يومنا هذا عند الناس وهذا ما يدعونا الى التفكير الجدي بما تخطاه الانسان واخترعه وهو اشبه ما يكون بقصة اسطورية

لقد نوه العالم ديرنجر ان ما يجب على اي باحث متعمق ان لا يغيب عن تفكيره قصة الابجدية في فترة (٢٠٠٠ ـ ١٨٠٠ ق .م) فهي اشبه ما تكون بحكاية مهندس طوبوغرافي يترصد في طائرة في جو ملبد بالغيوم ممطر لا تتوفر فيه اشعة للشمس لكي يقوم بمسح مرتفعات قمم متناثرة بين جبلين بصورة مضبوطة . فهل يكون ذلك العمل صحيحا يعتمد عليه ؟ طبعا ستجيء النتائج مهتزة وتكون الخارطة المرسومة غير مضبوطة وضبابية وهكذا كان الحال في قصة تحقيقاتنا عن تاريخ نشوء الابجدية على حد قول العالم (ديرنجر) ونحن في يومنا هذا على مدى (١٨٠٠ ـ ٢٠٠٠) عام قبل الميلاد التي تنقصها الدقة وتعوزها المكتشفات العلمية والكيمياوية وغيرها .

	Nom des Lettres		2° u	3° i	4° a	5° e	6° ĕ	7° o	
1	ሆይ፡	ሀ	ሁ	ሂ	ሃ	ሄ	ህ	ሆ	h
2	ላዊ፡	ለ	ሉ	ሊ	ላ	ሌ	ል	ሎ	l
3	ሐውት፡	ሐ	ሑ	ሒ	ሓ	ሔ	ሕ	ሖ	ḥ
4	ማይ፡	መ	ሙ	ሚ	ማ	ሜ	ም	ሞ	m
5	ሣውት፡	ሠ	ሡ	ሢ	ሣ	ሤ	ሥ	ሦ	ś
6	ርእስ፡	ረ	ሩ	ሪ	ራ	ሬ	ር	ሮ	r
7	ሳት፡	ሰ	ሱ	ሲ	ሳ	ሴ	ስ	ሶ	s
8	ቃፍ፡	ቀ	ቁ	ቂ	ቃ	ቄ	ቅ	ቆ	q̣
9	ቤት፡	በ	ቡ	ቢ	ባ	ቤ	ብ	ቦ	b
10	ታዊ፡	ተ	ቱ	ቲ	ታ	ቴ	ት	ቶ	t
11	ኅርም፡	ኀ	ኁ	ኂ	ኃ	ኄ	ኅ	ኆ	ḫ
12	ነሃስ፡	ነ	ኑ	ኒ	ና	ኔ	ን	ኖ	n
13	አልፍ፡	አ	ኡ	ኢ	ኣ	ኤ	እ	ኦ	ʾ
14	ካፍ፡	ከ	ኩ	ኪ	ካ	ኬ	ክ	ኮ	k
15	ዋዌ፡	ወ	ዉ	ዊ	ዋ	ዌ	ው	ዎ	w
16	ዓይን፡	ዐ	ዑ	ዒ	ዓ	ዔ	ዕ	ዖ	ʿ
17	ዛይ፡	ዘ	ዙ	ዚ	ዛ	ዜ	ዝ	ዞ	z
18	የመን፡	የ	ዩ	ዪ	ያ	ዬ	ይ	ዮ	j
19	ድንት፡	ደ	ዱ	ዲ	ዳ	ዴ	ድ	ዶ	d
20	[illegible]፡	ገ	ጉ	ጊ	ጋ	ጌ	ግ	ጎ	g
21	ጣይት፡	ጠ	ጡ	ጢ	ጣ	ጤ	ጥ	ጦ	t
22	ጳይት፡	ጰ	ጱ	ጲ	ጳ	ጴ	ጵ	ጶ	p
23	ጸዳይ፡	ጸ	ጹ	ጺ	ጻ	ጼ	ጽ	ጾ	ṣ
24	ፀጳ፡	ፀ	ፁ	ፂ	ፃ	ፄ	ፅ	ፆ	ḏ
25	አፍ፡	ፈ	ፉ	ፊ	ፋ	ፌ	ፍ	ፎ	f
26	ፐ፡	ፐ	ፑ	ፒ	ፓ	ፔ	ፕ	ፖ	p

مجموعة نقوش حروف عربية عند اكتشاف هذه الامم متفرعة من المسند السبئي الحميري .



راس تمثال امرأة من صنايع السبئيين في اليمن يرجع تاريخهـا الى القـرن الثاني الميلادي متأثرة بالفن الهليني ـ محفوظة في المتحف البريطاني ـ

تقرأ كتابة خط الكسند الحميري من اليسار الى اليمين وبالعكس

وقد يجوز افراز كل سطر مكتوب على المرمر لاسباب الاستقامة المستوية وقد يكتب الحرف المشدد مرتين كما يحصل في كتابة اللغات الاوربية في مثل (محدد) ـ محددد ـ الخ .. ويخرج في قراءة المسنديين الطريقتين احيانا فاذا انتهى السـطر المكتوب مـن اليسار الى اليمين يعود الى عكس الاتجاه من حيث انتهـى الى الجهـة اليمنى على شكل حلزوني متكسر وقد ورد في الكتابات الافرنجية امثال هذه الكتابات المتكسرة .

ترينا الصفحة التي تحتوي على الخطوط المتفرعة من الخـط السـبئي مـا ذكره (دتيلف نيلسون) بان ما عثر عليه من الكتابات اللحيانية هو زهاء اربعمئة .

ولدينا كتابة عثر عليها في (الخريبة) دونها عبدوداي كاهن الصنم (ود) وابنه سالم وزيدون عند تقديمهم الى الاله (ذو غبته) نذرا ليمن بالسعادة عليهم وخـطهم يختلف قليلا .

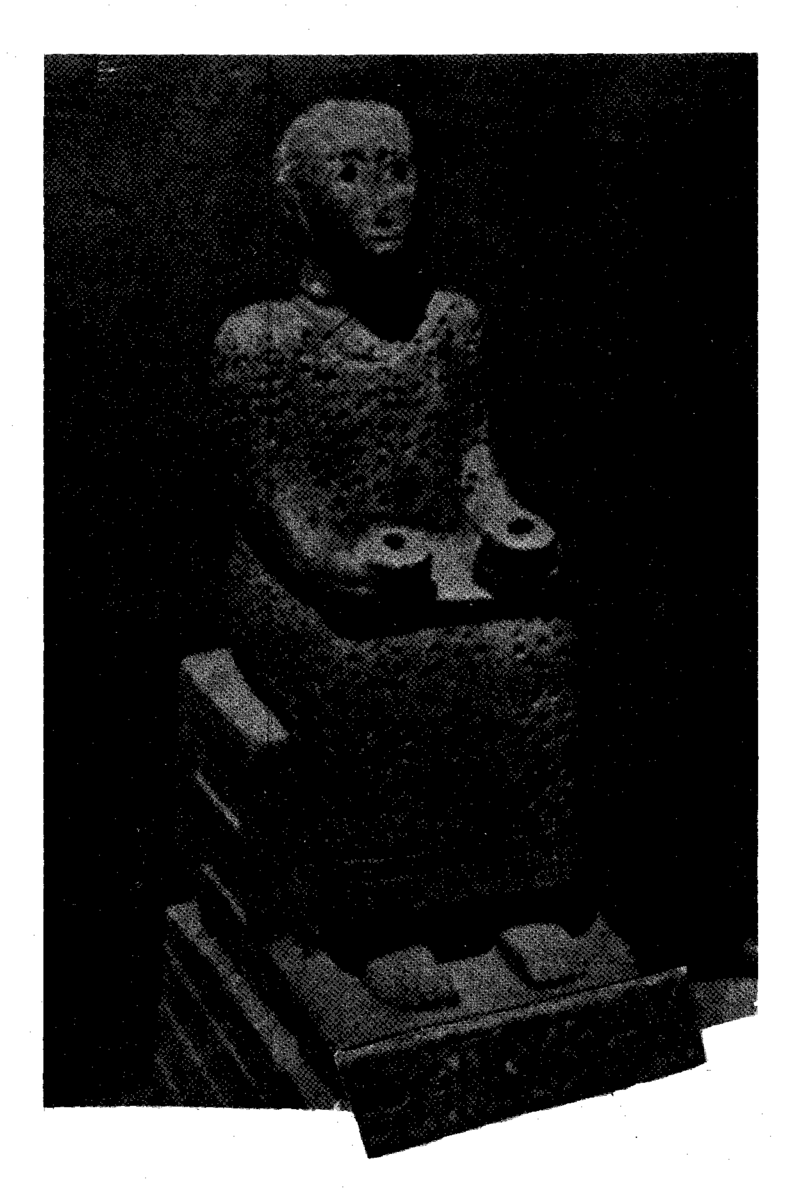
(من المسند السبائي الحميري .)

صفوي	ثمودي	لحياني	سبأي	عبري	
				א	ا
				ב	ب
				ג	ج
				ד	د
				ד̄	ه
				ה	ه
				ו	و
				ז	ز
				ח	ح
				ח̄	
				ט	ط
				ט̄	
				י	ي
				כ	ك
				ל	ل
				מ	م
				נ	ن
				ס	س
				ע	ع
				ע̄	
				פ	
				צ	ص
				צ̄	
				ק	ق
				ר	ر
				ש	ش
				ת	ت
				ת̄	

وذكر (ليتمان) ان ابجدية الخط الثمودي وسط بين الصفوية والسبئية ، والكتابات الثمودية قصيرة تتألف من كلمة واحدة احيانا . وتفيد هذه الكتابات في دراسة الاسماء العربية فائدة كبيرة فاكثرها اسماء معروفة عند الجاهليين والاسلاميين مثل : احمد ، مهيب ، ملهب وهلال . ومن اسماء الالهة : اللاهو ، ملك .. الخ .

تتألف الحروف الأبجدية الصوفية من ٢٨ حرفا . عرف هاليفي ستة عشر حرفا منها معرفة صحيحة واخطأ في الباقي . اما ليتمان فقد ضبطها ضبطاً صحيحاً وصحح الاغلاط التي وقع فيها سلفه .

وقد زار بنفسه منطقة الصفا في الحرة وجمع أكثر من اربعمئة وألف كتابة منها ومن الرحبة ومواضع اخرى درسها وترجمها وشرحها بمهارة وعلم وتشارك الكتابة الصفوية الكتابات العربية الأخرى في عدم وضع علامات الحركات الاعرابية . ولدى العلماء اليوم أكثر من ثلاثة آلاف كتابة صفوية حصلوا عليها من منطقة الصفا .



تمثال أثري لانسان منحوت على قاعدة مكعبة تحت قدميه كتابة بحروف مسند حميرية ـ عن كتاب :

الحضارات السامية لسبتينو موسكاتي اديس ابابا .

نص وثيقة ابرهة ، ملك الحبشة ـ باللغة الحميرية

(عن : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام د . جواد علي)

قراءة النص باللغة الحميرية :

بجيل وردا ورحمت رحمنن ومسيحهو درح قدس سـطرو ذن مـزندن . ان ابرهـة عزلي ملكن اجعزتين رمحز زبيمان ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت واعربهو حلو ذوم ونهمت ..



آثار محرم بلقيس ملكة سبأ

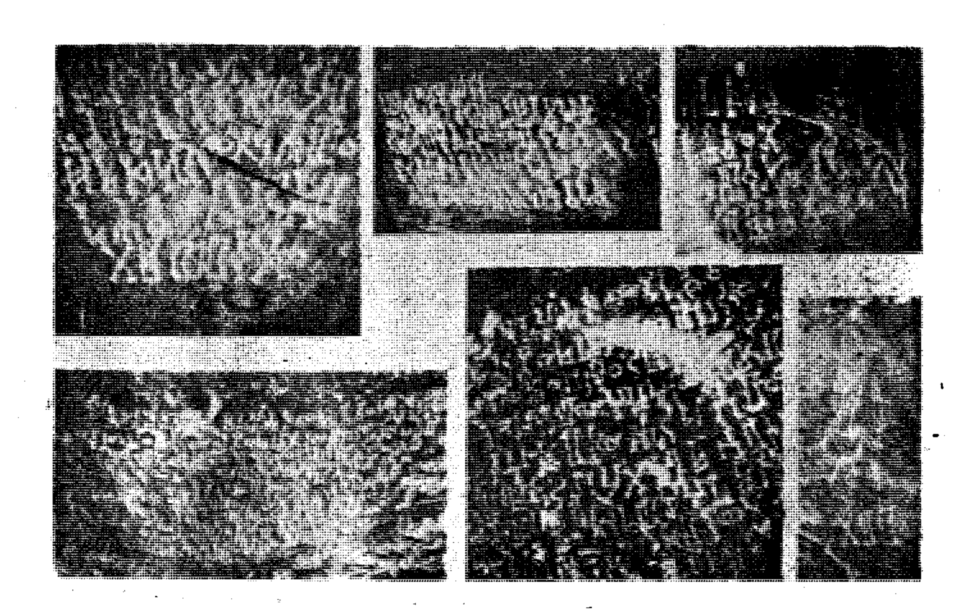


تمثال حصان برونزي في جنوب الجزيرة العربية

انتقال الابجدية السينائية الى سورية

بينما كان عرب اليمن في جنوب الجزيرة العربية في حضارة غامرة كان الشماليون في الهلال الخصيب وسورية والاردن في حالة بداوة وهم الاراميون المتصلون بنسبهم السامي الذي يربطهم بالنبطية والتدمرية من جهة وبالحضـارة الاكدية والعمـورية التي خلفت حضارة السومريين لاول مرة في التأريخ بعـد تحضرهـم مـن جهـة اخرى[11] .

وقد فصل هذه الدراسات العالم (صمويل كريمر[12]) بقـوله : لما عرفـت الابجـدية السينائية[13] وانتقلت بانتشارها الى سورية واستخدمتها الاقوام السـامية بالخـط المسماري المتداول آنئذ كما ثبت اقدمية استعماله في قحف (راس شمرا) فيمـا بعـد ولغتها تمثل لغة عربية قديمة غامضة ، تطورت تطورا مستقلا .



(١١) جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام .
(١٢) انظر : الواح سو ترجمة د . طه باقر .
(١٣) وهي اقدم الفبائية صورية عثر عليها العالم فلندرز بتري في سرابت الخادم سنة ١٩٠٥ .

اللهجات السبئية الفرعية واسماء شعوبها

واما اللهجات المتفرعة عن الخط السبئي والمسند الحميري وهي (الصفوي ، اللحياني والثمودي) وواحدة اخرى كتبت بالخط الارامي وهي الكتابة النبطية ولهجتها تختلف مسبيا عن اللهجة العربية الفصحى منذ نشأتها . اما الثموديون فكانوا ينزلون في مدائن صالح ثم رحلوا الى الطائف واما اللحيانيون فكانوا في الحجاز ، بينما الصفويون نسبوا الى جبل الصفا ببادية الشام . ويواجه العلماء في قراءتها صعوبات لتشابه حروفها مع بعضها . وهناك تشابه بينهما بالحروف الحبشية تقريبا . ولم يؤكد بصورة قاطعة اخذها عن (الكنعانية) وقد اشار العالم موسكاتي في كتابة (الحضارة السامية) ان الباحثين قد عثروا على كتابات كلدانية تشابه المسند ايضا واستدرك ان الكلدانيين عندما زحفوا الى اواسط الفرات في هجرتهم نقلوا هذا الخط معهم في زحفهم الى العراق ومنه تصاعد الى الهلال الخصيب ثم ارتد متراجعا الى جنوب الجزيرة العربية ثم تعدى الى الحبشة واصبح قاعدة اللغة الامهرية وهو الاثر الباقي من الخط السامي الجنوبي الى يومنا هذا قول يشبه نظرية ابن خلدون في مقدمته .

تحليل النقوش وكتابات المسند الجنوبية

لا يزال علم المؤرخين باليمن وجنوب الجزيرة العربية بعيدا عن الكمال ولكن قد تحقق تقدم كبير منذ المحاولات الاولى لحل النقوش العربية الجنوبية مما عثر عليه (كاريستن نيبور) عام ١٧٧٢ م وحول منتصف القرن الماضي ورحلات هاليفي g. Halvey وغلازر وفي النصف الثاني من ذلك القرن جلب الى اوربا عدداً وفيراً من نسخ النقوش وصورها . وكان للعالم الفرنسي (ارنود) سنة ١٨٤٣ والضابط البحري (وولستد) فضل في تقديم كميات اخرى من كتابات خرائب مأرب ونقوش نقب الحجر مما ادى الى قيام العالمين المشهوريين (اميل روديكر واوغستنيس) سنة ١٨٤١ الى حل هذه الكتابة .

ومنذ ذلك الحين اخذ عدد النقوش المكتوبة يتزايد حتى بلغ نحو اربعة الاف نقش والمتوقع تزايد هذا العدد نتيجة الاستكشافات الحديثة التي قامت بها جامعة لوفان ١٩٥٢ والمؤسسة الامريكية لدراسة الانسان (American Foundatin ter tar the study atNan) ١٩٥٣ . وجميع هذه النقوش مكتوبة بخط سمي بالمسند على اساس ابجدي وبحروف منفصلة ولا تنطوي على شبه ظاهري كبير بحروف الابجديات السامية الشمالية ، وانما هي تشبه الابجدية الحبشية (الاثيوبية) خاصة دون سائر الابجديات السامية المعروفة من فروع المسند (الصفوي والثمودي واللحياني) .

ومجموعة اللهجات التي تتكون منها هذه اللغة العربية قريبة الصلة ايضا بالحبشية والسبب في هذا واضح ، لان الحبشة استوطنها مهاجرون من الساحل

اليمني عبر القرون[١٤] ويمكن الاستعانة بالمصادر العربية الجاهلية (وان كانت تنقصها الادلة المادية لانه لم تكن التنقيبات معروفة في تلك العصور الغابرة) . ولكن النقوش المسمارية الآشورية[١٥] قد اشارت الى سبأ الواردة في العهد العتيق من التوراة . كما ورد ذكرها في القرآن الكريم[١٦] ، وان معارف المؤرخين اليونان والرومان عن سبأ لا بأس بها بالنسبة لاخبار الجزيرة العربية القديمة فضلا عن الموارد العربية التي تبدأ منها نفر من ابناء امتنا المثقفين واطلقوا عليها نعتا وهو (الاخباريات او الا خباريون) للاسف . وهذه الموارد التي اوردت اخبار بلاد العرب هي دواوين العرب ، وكتاب (صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الاثار) تحقيق ابن بليهد النجدي ١٩٥٣ . اما الدواوين فهي : ديوان امرىء القيس وزهير والنابغة والمعلقات . واما اصحاب الاخبار في الموارد العربية فهم : وهب بن منبه المتوفي سنة ١١٠ هـ وابن الكلبي المتوفي سنة ٢٠٤هـ والهمداني صاحب كتاب صفة جزيرة العرب ٣٣٤ هـ ونشوان بن سعيد الحميري . واصحاب المعاجم : كالبكري وياقوت الحموي والفهرست لابن النديم واما ابن خلدون فيذكر : (ومن حمير تعلمت مصر ألكتابة العربية .

ويقول المؤرخون ان الخط المسند (السامي الجنوبي) الذي كتب به اهل اليمن مشتق من حروف سيناء الصورية التي قدمنا جدولها تحت عنوان (جدول الكتابة السينائية وما تفرع منها) وهي رموز صورية وقلنا انها الارومة التي اشتق منها سائر الابجديات . ويسمى خط المسند (السبئي) او الحميري ، وهو على غرار الابجديات السامية من حيث الحروف الصامتة وهذه اللغة المعينية لغة جنوب الجزيرة ولها صلة باللغة الاكدية البابلية القديمة والاثيوبية ، وليس لها علاقة بلغة الشمال بلهجة قريش وهي من اقدم اللغات السامية ، ولما اندثرت احتلت الحجاز والشمال مقامها . ومن طريف ما لاحظه علماء اللغات السامية[١٧] ان اللغة العربية اقرب اللغات السامية الى السامية القديمة ، وانها اتخذت من اسماء الاعلام ما يدل على تأريخها واسماء الرجال المشهورين اذ كانوا يلحقون في اسماء كتابة نقوشهم (الواو) باخر الاعلام المبنية فيكتبوها بلا (واو) في اخرها وجاء العرب فيما بعد فاخذوا هذه الواو والحقوها (بعمرو) تمييزاً عن (عمر) في الكتابة .

---

(١٤) الحضارات السامية القديمة ، موسكاني ـ ١٩١ .
(١٥) تاريخ العرب قبل الاسلام . د . جواد علي ج ٢ . ص ١٠٢
(١٦) سورة سبأ .
(١٧) ليتمان ، برحستراسر ، ص ١٤٢ .

وقد نوهنا انفا بان نقوش سيناء وحروفها الصورية انما هـــي المفتاح للابجـــديات السامية[١٨] على حد اراء اكثر الباحثين . و الوز هـــي التي عثر عليهـــا (فلندرز بتري) عام ١٩٠٥ في سرابت الخادم في ســـيناء وأرخهـــا بســـنة ١٨٥٠ قبل الميلاد وأكد بأن الهيروغليفية المصرية وان عرفها المصريون قبلهم الا ان السينائية ليست ذات علاقـــة بالهيروغليفية المصرية وليست من حروفهم ولا تشابهها في الرسوم عينا[١٩] .

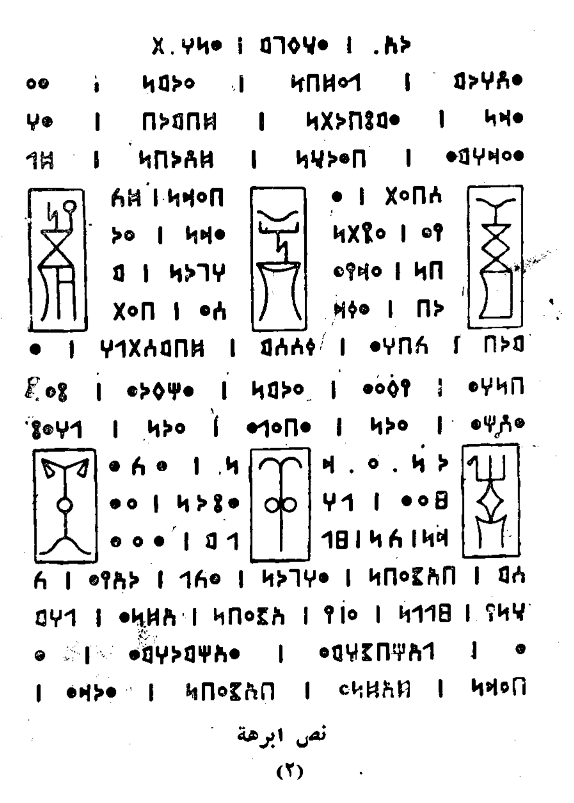


---

(١٨) ليدز بارسكي : الخط العربي ، نشأته ، مشكلته .

(١٩) انيس فريحة وموسكاتي : الحضارة السامية القديمة .

وقد اكد العالم اولبرايت في محاولة له قام بها عام ١٩٤٨ ان نقوش سـيناء هـي الابجدية الكنعانية التي كان الرأي السائد عنها فيمـا مضى انهـا ترجـع الى بداية الالف الثاني ق.م او قبيل ذلك في نحـو ١٥٠٠ ق.م . اسـتنادا الى ادلة اثرية تاريخية[٢٠] .



نص ابرهة

(٢)

يبدأ نص وثيقة ابرهة بشـبه بسـملة : (بحيل وردا رحمـت رحمنن) وجـاء في ختامها كلمات تتضمن اعمار سد مـأرب في اليمـن بتاريخ ٦٣١ مـن التقـويم الحميري . وترى رسوم خراطيش مستطيلة الاشكال وكلها كتبت بالخط المسند (تأريخ العرب قبل الاسلام . د. جواد علي) .

من بقايا معبد المتعة في صرواح – اليمن Le Nuseon, Lxl 3- 4 pl, I

kqmq jhvdidn jœi» vobj hgij hglsk» hgpkmfd hgx hgyvhe mhgx shog hgfov hbfdø hgljmsj

(٢٠) : انيس فريحة وموسكاتي : الحضارة السامية القديمة .

W. F. ALBRLGHT, LNBAsooR, NUN 128. 1952, p. 39 (The Chaldaean inscription in proto- Arabic script).

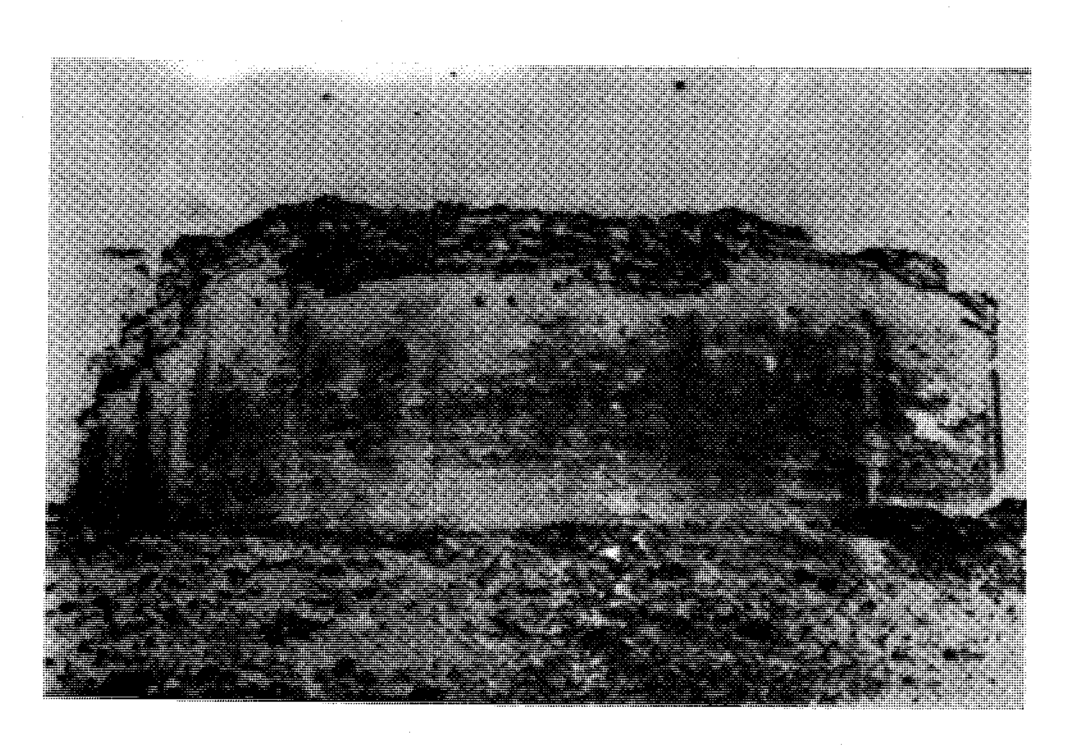
ique au safa et dans Le OGebed- OuruZ Oussaud and F. Macler, Vayage archeolog (pars, 1901) pp. 14

كانت الاشتقاقات للكتابات الاكدية والآشورية والحورية والحثية قد انتهت في حدود الألف الثاني ق . م . وهي بالعلامات المسمارية . فلننظر مما فيما يرتئيه العالم (اولبرايت) الذي يقول ان بعض الباحثين وجدوا كتابات كلدانية تشبه الحروف العربية الجنوبية القديمة (السبئية) ، اي حروف المسند ، واستدلوا من ذلك على ان الكلدانيين الذين كانت دولتهم في جنوب العراق في بادىء الأمر ثم زحفوا الى اواسط العراق (بابل) الحلة حاليا ، انما جاءوا من العربية الشرقية ونقلوا معهم خطهم العربي المسند المذكور الذي ترك بعدئذ حينما استقروا في العراق وتأثروا بمؤثرات العراق الثقافية حضارة وكتابة .

وهذه النماذج التي عثر عليها الباحثون والتي تشبه الخط المسند وان لم تتحدث عن اصل اصحابها الا ان خطها يشير الى انه من العربية الجنوبية الشرقية حتماً . ومن المستشرقين القائلين برأي يذهب الى ان اصل ايجاد الكتابة بالحروف الابجدية العالم (موريتز) وان اهل اليمن هم الذين طوروا الكتابة العربية الجنوبية .

بقايا آثار سد مأرب المشهور

ويرى القارىء في هذا العرض ان قضية قدم تطور الكتابة العربية الجنوبية لم يعرها الباحثون حقها في الاهتمام وان كانت غامضة بعض الغموض ولكنها لا تستعصي على الحل باستقصاء الفكر الانساني والمستكشفات الحديثة كما اول ذلك العالم (بيرنجر) في كتابه .



بقايا آثار سد مأرب

ورسم لنا سلسلة جديدة في ضوء ما جد فيرينا السينائي القديم بخطوط مقطعة لكي يرينا ان الخط العربي غير مؤكد الصلة بالكنعانية كما شرحنا ذلك باسفل الثبت للسلسلة المذكورة، وانما محتملة القرابة مع السامي الجنوبي (المعيني والمسند).

وقد تطرق عدد من الباحثين الى الرقم المنقوشة على الصخور في ناحية (الصفا) البركانية بحوران التي يعود عهدها الى ماقبل الميلاد بزمن كذلك الرقم اللحيانية التي وجدت في (العلا) من شمالي الحجاز. فقالوا: (ويجوز تسمية هذه الرقم عربية نموذجية – بمعنى ان حروفها سابقة للحروف العربية المألوفة) ولكنها بحروف مفردة تشاكل الابجدية العربية – المسند الحميري – ربما تشبه الحروف التي وجدناها في كتاب (الاكليل) التي تكلمنا عليها. وكذلك الحال في تشابهها للحروف الثمودية التي عثر عليها في بقعة (الحجر)، ولكن لهجة لغتها عربية شمالية لا يفرق بينها وبين لغة الضاد الا اختلاف طفيف.

وما الرقم الثمودية هذه الا تطور مواز او تابع للكتابة اللحيانية التي نشأت منها رقم صفا (التي سمي خطها بالخط الصفوي نسبة الى موقعها. ولم تنتشر الكتابة الجنوبية – المسند – في الشمال الى ابعد من موضع نقوش صفا. اضف الى كل ما ذكرنا ان كتابة الجنوب – المسند – ظلت حية في الكتابة الحبشية (الاثيوبية).

وهنا أريد ان اقول ان المستشرقين يربطون بين الخط المسند الجنوبي والحبشي ولكنهم ينكرون علاقة الخط المسند المذكور بالخط العربي الذي اطلق عليه العرب (الجزم) وفي هذه الحالة يكون هناك تقارب في اللغة والوطن واللهجة والزمن والتطور. فما الذي يمنع من اشتقاق نوع من انواع هذه الخطوط الثلاثة التي ظهرت في نفس الجزيرة العربية؟ لاسيما ان ارضها السينائية الشرقية هي التي انبثقت فيها الابجدية، هذا ما ستظهره الحفائر..

ويقول الباحثون انه لم تحدد بعد تماما العلاقات التأريخية بين هذه الشعوب الثلاثة الشمالية التي تداولت هذه الخطوط التي اطلق عليها الصفوية واللحيانية والثمودية. وقد ذكر المؤرخ بلينوس اللحيانيين باسم (لحنيني) وقال انهم شعب قديم لعله تفرع من قوم ثمود، وكانت حاضرته ديدان التي كانت من قبل مستعمرة معينية تقع على المسلك التجاري الذي سلكته قوافل بين اليمن والهند وثغور البحر الابيض المتوسط. وعقب سقوط البتراء (١٠٦م) وقد قيض للحيانيين الاستيلاء على الحجر – مركز الانباط الخطير – وكان فيما سبق بلدة ثمودية متأثرة بالحضارة المعينية – السبئية والنبطية. وتنم بقايا الانقاض في اثار (العلا) ومن بينها القبريات

المزخرفة بالنقوش البارزة عن حضارة جاهلية راقية لا يعرف عنها الباحثون الا الشيء اليسير[٢١] ولم تحدد بعد تماما العلاقات التاريخية بين هذه الشعوب الثلاثة الشمالية التي اعتمدت الخطوط الصفوية واللحيانية والثمودية .

ولابد انه قد حصل بنتيجة التأثرات والاختلافات بين هذه الاقوام الغربية تزاوجات ثقافية لا محيص من حصولها ولاسيما في الكتابة بالخط المتداول انئذ وبخطوط سامية متعددة قد سكت التأريخ عن ايضاح بعضها ايضاحا تاما . اما الاخبار التي تناقلتها العرب وهي المروية ، فلا يمكن اعتبارها الا روايات واقعية حدثت ولكنها لم يثبت تاريخها وقد عرفت وتداولت كما تداول الشعر الجاهلي المشهور بين العرب والشعر ديوان العرب .

بهذا العنوان صدر مقدمة كتابه الدكتور جواد علي في مؤلفه (الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام) ولا نعلم ماذا يقصد بهذا التعبير .. في حين تحدث الاب اسحق ساكا في مجلة (العربي) ٩١ ـ ١٩٦٦م . واسهب الدكتور شوقي ضيف في كتابه (العصر الجاهلي) في تفصيله عن الخطوط والنقوش والصلة بين هذه الامم (الاكديين المعينيين والقتبانيين والحميريين وجميع اهل اليمن بخطوطهم القديمة) حتى المسند الحميري . وما كتبه العموريون العرب والاراميون اصحاب اللغتين الساميتين اللتين اصبحتا تستعملان جنبا الى جنب حيث نشأ الكنعانيون الذين هاجروا من جنوب الجزيرة العربية واستقروا على البحر الابيض المتوسط في سورية والعراق حيث اخذ فيه الاكديون باسباب الحضارة .

ومن حق كل باحث التوغل في الصلة التي بين الساميين والعرب ذلك ان الموطن المعروف للساميين هو جزيرة العرب التي منها هاجروا دون ريب . اما الدكتور جواد علي فقد تحدث عن القبائل العربية بشكل مغاير مستندا الى انسابها العاربة والمستعربة بما فيها مواردها العربية ولم يجعلهم الا عربا اقحاحا وسكت عن الساميين وصرح بان القبائل العربية المهاجرة هي قبائل معروفة الاصل نصت الموارد باجماعها على عروبتها ونسبتها ولهجاتها .

اما الشعوب السامية فليس بينها اي شعب يدعى انه من العرب وان اشتركت والتقت كلها في امور كثيرة الا انها اختلفت في امور ولهجات من حيث العروبة وان العروبة في نظرنا ليس بها حاجة الى ضم هذه الشعوب السامية اليها لاثبات انها ذات اصل تؤول اليه ، فلقد اعطى الله تلك الشعوب تاريخا ثم محاه عنهم واعطى العرب تاريخا اينع في القديم واستمر حتى اليوم ثم ان لهم من الحضارة ما يغنيهم

---

(٢١) المزيد من الاطلاع لحيان وثمود بعد الموارد العربية راجع :

عن التفتيش عن مجد غيرهم وعن تركاتهم لاضافتها اليهم . فليس في العرب مركب نقص حتى نضيف اليهم من لم يثبت انهم منهم لمجرد انهم كانوا اصحاب حضارة وثقافة وان جماعة من العلماء ترى انهم من جزيرة العرب .

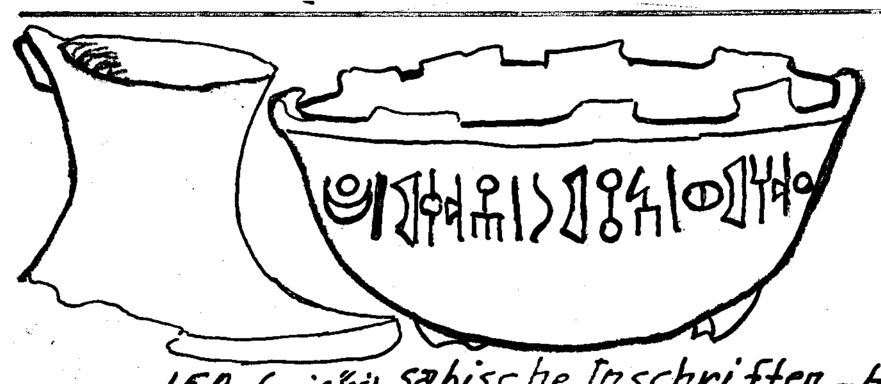
وقد اكد البحاثة الكبير الدكتور جواد علي ان العرب لو نبشوا تربة اليمن وبقية الترب لما احتاجوا الى دعوة من يدعو الى هذه التراقيع وجميع أبناء امتنا لا يستطيعون ان يضموا احدا من هؤلاء الساميين الى الاسرة العربية بالمعنى الاصطلاحي والمعروف المفهوم من لفظة العرب عندنا الا اذا توافرت الادلة وثبت النص انهم من العرب حقا وانهم كانوا في جزيرة العرب حقا .

لقد قال الدكتور جواد علي في سياقه في ذكر السامية من كتابه في الجزء الثاني منه في تعليل ترجيح تسمية السامية على العربية ولكنه لم يقصد ان تلك الشعوب السامية هي قبائل عربية مثل قبائلنا العربية المعروفة فالسامية وحدة ثقافية اصطلح عليها اصطلاحا والعروبة وحدة ثقافية وجنسية وروابط دموية وتاريخية وبين المفهومين فرق كبير وبون شاسع . ونحن اذ نطلق لفظة (عرب) و (العرب) على سكان البلاد العربية انما نطلقها اليوم على سكان بلاد واسعة يكتبون وينشدون ويتخاطبون بلغة واحدة نسميها لغة العرب او لغة الضاد او لغة القرآن ، وان تكلموا وتعلموا فيما بينهم وفي حياتهم اليومية فقد ادوا ذلك بلهجات محلية متباينة ذلك لان ملك اللهجات اذا ارجعت الى اصل واحد هو اللسان العربي المذكور ، والى السنة قبائل عربية قديمة او الى لهجات اقطار متفرقة او مدن متباعدة تضم ألفاظا اعجمية او كلمات منحوتة دخلت في لهجاتها بعوامل متعددة لا يهم البحث شرح اسبابها .

فاننا نطلقها اطلاقا عاما على البدو وعلى الحضر لا بين بلد واخر نطلقها بمعنى جنسية وقومية وعلم على من له خصائص وسمات وعلامات وتفكير يربط بين الحاضرين بالماضين كما يربط الماضي بالحاضر . واذا ما سألت علماء العربية عن معنى (عرب) فان لعلماء العربية اراء تجدها مسطورة في كتب اللغة والمعجمات . اما في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي وفي الشعر فاسم اللسان الذي نزل به القرآن الكريم ، لسان اهل الحضر واهل الوبر على حد سواء . ولهذا الحديث امتداد لا تستوعبه الكتب ولا اراء المستشرقين والقرآن الكريم هو الذي خصص الكلمة وجعلها لهجة لقومية تشمل كل العرب .

مناقشة ترتيب الجدولين واختلاف ابجدياتهما ابتداء من السينائية نحو المسند .

ذكر موسكاتي : ان النقوش التي كشفت في سيناء ادت الى زيادة معلوماتنا وهي التي لفتت نظر فلندرز بتري في اول هذا القرن على انها فيما يبدو ابجدية . وهي تنطوي على شبه معين بالهيروغليفية المصرية ولكن لا يمكن تفسيرها على انها



154 لقاوغن ← Sabische Inschriften - Hamburg. 1931

كتابة بخط مسند حول قحف فخاري «جرة»

هيروغليفية ونسبها العالم اولبرايت الى (ابجدية كنعان) تعود الى ١٥٠٠ق .م .

لقد رسم لنا المؤرخون هذه الجداول على وفق اجتهاداتهم في نشوء الابجدية السينائية في سيناء وفق قول الدكتور (فيليب حتي) «وانتقلت الابجدية السينائية الى» اصحاب الحضارة الجنوبية (الذين كتبوا بالمسند) كما رحلت شمالا حيث استخدمها الفينيقيون بالخط المسماري الذي اختلف في هويتها اي العالمين موسكاتي وبروكلمان والحضارة السامية القديمة) وغيرها في مؤلفاتهم المعاصرة التي تضاربت فيها الاراء وقد قدم رسم المسند على الفينيقين من الترتيب في هذين الجدولين ولم يشر اي واحد منهما الى السبب في هذا الاختلاف . ولا يخفى على القارىء ما يؤكده هذا الاختلاف من تشويش في تاريخ الخط سلسلة من هذه المرحلة الهامة .

ومعنى ذلك ان اهل اليمن المعينيين والقيثانيين والسبئيين طوروا ابجدية لهم في القرن ١٥ ـ ١٦ ق .م واستعملوها قبل الفينيقية وهو الذي نراه في جدول (تاريخ العرب المطول) مما يدل على ان الموارد التي استقى منها ـ فيليب حتى ـ اجازت ذلك الترتيب الزمني في حين امتنع العالم ادوارد كيرا الذي حذف الحروف السبئية واستعاض عنها بالحروف (الكنعانية والفينيقية والذي اثبته في كتابه (كتبوا على الطين) ولم ينكرها في جدول آخر وكأنها لمتكن مذكورة في زمانه وفي المصادر التي استند اليها في بحوث الابجدية السينائية او حرف النظ عن الأخذ بها ؟

واذا نظرنا الى هذا التناقض من زاويتين برزت لنا زاوية ثالثة وهي ان الجدول الذي اخذ به صاحب كتاب (المفصل في تاريخ العرب الاسلام[٢٢]) قد قارب حروف المسند (العربية الجنوبية) ايضا كما نراه في الشكل هنا .

BK- ch. 32

Eduard Glaser, skizze der Geschichte und Gegraphie Arabiens (Berlin, 1890), Vov

Mission archeologigue en Arabie (pari, 190 pp- 98- 127, Taussen and Eduard savigne

9) pp. 250- dl

واذا اردنا ان نفسح صيغة لهذا التناقض لا نجد قولا سوى : ان سببه يعود لاختلاف المستشرقين ومن سلك في مجراهم اذ كل فرقة منها لا تخطيء الاخرى ، وهذه الجماعات يفرقها الاجتهاد إذ لكل منهم براهينه ومزاعمه ، فقد اجازه بعضهم واباه بعضهم الاخر وقليل ما صح اجماعهم والواجب كان يحتم على كل من الطرفين اقناع الطرف الثاني بالبرهان والحجة واذا كنا نعترف بفضل علماء الاثار والمستشرقين ، فليس يمنعنا هذا من ان نعلن ان كثيرا من بحوثهم قد حوى اخطاء لا تحصى ، يرجع معظمها الى جهل اصحابها بالتاريخ العربي واللغة العربية كما ان بعض هذه البحوث قد طبع بطابع التحيز ولكن العالم (ديرنجر) قد غير هذه الاقوال وصححها بجدوله الحديث بسلسلة تربط وتقرب الخط الشمالي بالجنوبي .

جدول ثان للحروف الابجدية الصورية

تقول المصادر ان الكتابة التي عثر عليها في راس شمرا هي لا ريب قد رسمت بحروف مسمارية ولم يصرح اهي مستعارة من الكتابات السومرية التي نشأت قبلها ام لم تستعر من اولئك السباقين في الوجود[٢٣] وقد ظل رجال العلم الحديث مدة طويلة يعتبرون ان الفينيقيين اول من عمم طريقة للكتابة بحروفهم على الترتيب الهجائي يحتمل انها قد اخذت من المصادر المصرية ـ الا ان الهوة وحلقة الوصل التي كانت تفصل بين الفينيقية والهيروغليفية المصرية ظلت واسعة جدا حتى ظهرت الكتابة السينائية فسدت الثغرة والحلقة المفقودة . فقد ظهر للباحثين[٢٤] ان ابناء سيناء المخترعين لكتابتهم اخذوا مثلا صورة (راس ثور) عن الهيروغليفية (الاوكروفونية) وهي كلمة يونانية معناها (صوت البدء) ويشيرون بها الى مبدأ اتخاذ صوت الصورة للهجاء الاول من اسم الصورة . فقد استعمل المصريون القدماء في كتابتهم (٢٤) صورة نراها في جدول حروفهم كما قدمنا سابقا التي تنتهي بحروف (هـ)[٢٥] وتلك الكتابة ظهرت حوالي سنة (٢٣٠٠) ق .م وهي على صور جميلة قام برسمها كهنة قديرون لتمثل حروفا ساكنة يمكن اعتبارها حروفا ابجدية .

وقد استخدمت اسماؤها التي تتألف من هجاء واحد كصورة راس الثور التي صارت (حرف الف) في الكتابة السينائية ويقابلها في الهيروغليفية المصرية (طائر) وعلى هذا القياس سار السينائيون في معالجة صورة (بيت) فاطلقوا عليها ما يقابلها في لغتهم في صورة شكل مستطيل فاعتمدوا على الحرف الاول من اسمها وهي (باء) وعلى هذا المنوال صارت تسمية حرف الجيم الذي قد رسموه بشكل (عصا) ويسمى في لغتهم (جيمل) الى اخره من حروف الهجاء .

---

(٢٣) : انظر : ادوار كبرا : كتبوا على الطين ص ٢٤٢ .

(٢٤) : بوسكاتي : الحضارة السامية القديمة ٨٠ وانظر فريحة الخط العربي نشأته مشكلته .

(٢٥) : انتصار الحضارة القاهرة ١٩٦٢ ص ترجمة يعقوب بكر طبة القاهرة ١٩٥٧ ص ١٢٠ .

وفي القول ما يعلل انتقال هذه الابجدية على حد تعريف الدكتور طه باقر في دراسته (التأريخ الحضاري) الى كتابة خط المسند الجحري في حضارة اليمن بجنوب الجزيرة العربية ، حيث استعملت برسوم على اشكال (حروف السامية الجنوبية التي يشاهدها القارىء الكريم في جدولها ويعزي ترتيب رموز صور الحروف السينائية في هذا الجدول للفترة الاولى لظهور الكتابة برموز صورية ولكن لم يصل علم التاريخ للتحديد الدقيق لوضعها بالترتيب الهجائي (وهي هنا على ترتيب هجائي) اي على ترتيب (ابجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت) الخ في الرموز السينائية ونجدها على ترتيب الحروف الابجدية ـ الجدول في اللغة اللاتينية ايضا ، وفي هذا تضارب ظاهر بين الجدولين المتشابهين .

F- Aschaeffer in syria, Val. X (1929) pp- 97, Charles
Viroueaud. syria, Vol. X. pp. 30l- 10

اول صورة بدائية ابجدية

تلت ذلك اكتشافات اخرى تضم كتابات سامية شمالية ايضا يرجع عهدها الى تاريخ الضريح المذكور او ما يقاربه في القدم او الحداثة .

وتشمل هذه المكتشفات نقوش «بخميلك ـ القرن ١١ق .م وتقوم كرز حوالي القرن ١٠ ق .م ونقوش كتابية على سنان الرمح المكتشف في «الروية» من القرن ١١ ، ١٠ ق . م . وكتابات ابي بعل وبعل من القرن ١٠ ق .م [٢٦]

ومن هذه المكتشفات ظهر للوجود بصورة تدريجية نوع بدائي لاول كتابة ابجدية وهي «الكتابة السامية الشمالية» التي تتكون من ٢٢ حرفا وتكتب بانتظام من اليمين الى اليسار ، وتعد هذه الكتابة في يومنا هذا اصلا لكتابات اللغات السامية الشمالية التي نرى جدولها في الصفحة الاولى من كتابنا هذا[٢٧] .

اذ يؤكد الباحث ـ «د . ديرنجر» ان هذه الابجدية كانت موجودة ومزدهرة بالتأكيد في القرون الاخيرة من الالف الثاني ق .م .[٢٨]..

اكتشاف الكتابة السامية الشمالية الثانية التي تتكون من ٣٢ حرفا مسماريا

وفي عام ١٩٢٩ تم اكتشاف اول مجموعة من الرقم الطينية المسمارية كان منها ما اكتشف فيما بعد ذلك في اوغاريت «راس شمرا» حاليا على الساحل الغربي السوري منقوشة بكتابات ابجدية بخط مسماري مكتوبة من ٣٢ حرفا لم يكن اي منها معروفا

---

(٢٦) : د ديرنجر WRiTing الكتابة ص ١١٨ .
(٢٧) : خريج اصيرام انظر ص من هذا الكتاب .
(٢٨) : نفس هذا المصدر ص ٢٣٠ ـ ٨١٨ .

من قبل وانها مكتوبة بنفس الطريقة المسمارية التي يستعمل فيها القلم الخشبي المثلث الراس على الطين الطري المعجون وكان هذا الاكتشاف ذا اثر شديد في نظر علماء اللغات السامية حيث فتح امامهم بابا جديدا على الادب الكنعاني القديم والفرق بين طريقة كتابة الابجدتين . ان الاولى التي تحمل ٢٢ حرفا تكتب من اليمين الى اليسار والثانية التي ٣٢ حرفا وكتابتها مسمارية معكوسة الاتجاه فهي من اليسار الى اليمين وهي على غرار مثيلاتها من الكتابات المسمارية (السومرية والبابلية والاكدية) التي نشأت في الطرف القديم ـ وادي الرافدين ـ وهي بذلك خالفت طريقة الكتابات السامية الشمالية الاولى البدائية ومما يجدر ذكره في هذا المضمار ـ اكتشاف ثلاثة نقوش طينية مدونة بالخط المسماري في اوغاريت راس شمرا ـ الا انها مسطورة من اليمين الى اليسار اي انها من الطراز ذي الـ (٢٢) حرفا البدائي الذي قدمنا ذكره .

وهناك دلائل اخرى تشير الى احتمال تأثرها ايضا بالكتابات شبه الهيروغليفية التي تكلمنا عنها ولربما كانت هناك دون شك نقوش اخرى متداولة ومزدهرة في تلك الحقب ظهرت فائدتها الكبرى للاوغاريتين حيث وجدنا انهم قد استعملوها بكثرة في حياتهم اليومية وظهر في الاثار فائدتها الكبرى وان كانت ادواتهم التي استعملوها للكتابة لم تعد القلم الخشبي والطين اللين .

ونشير هنا الى ان ستة احرف من المسمارية الاوغاريتية فيها شبه مباشر للاحرف السامية في اللفظ الصوتي تماما .

ولعل من غير المحتمل ان نعتقد بامكان بانتهاء هذه الدراسات والاكتشافات غير المتوقعة طالما ان الحفريات مستمرة ، وان التحقيقات والتخمينات المبنية على الظنون غير منتهية وتنقصها الدقة .

الخط العبري «يود ، ريشي ، بيت» تشير الى علاقتها بالنقوش السينائية التي تشبه الخطوط الكنعانية التي تكتب باتجاه عمودي من فوق الى اسفل ويقـول العـالم د . ديرنجر ان الاحتمال قوي في هذه الثلاثة على انهـا تكفـي لحـل هـذه الكتابة التى اعتبرت احدث ابجدية كما قلنا[٢٩]

ويزيد «اولبرايت» في تعليقه ان هذه النقوش فيها من الغمـوض وهـي تعتبر مـن اللغات السامية الشمالية ويخالفه «فان براندن» فيعتبرها نقوشا عربية قـديمة تمثل مرحلة لغوية سابقة تمثل احدث كتابة ابجدية كنعانية حتى الان [٣٠].

ومما يؤيد هذه الاقوال راي ولفنسون صاحب دروس اللغة العبرية فهو يقـول : ان الحروف الكنعانية وان كانت ليست على هيئة صور ولكننا نجد لمعـانيها الصـوتية علاقة بالكنعانية .



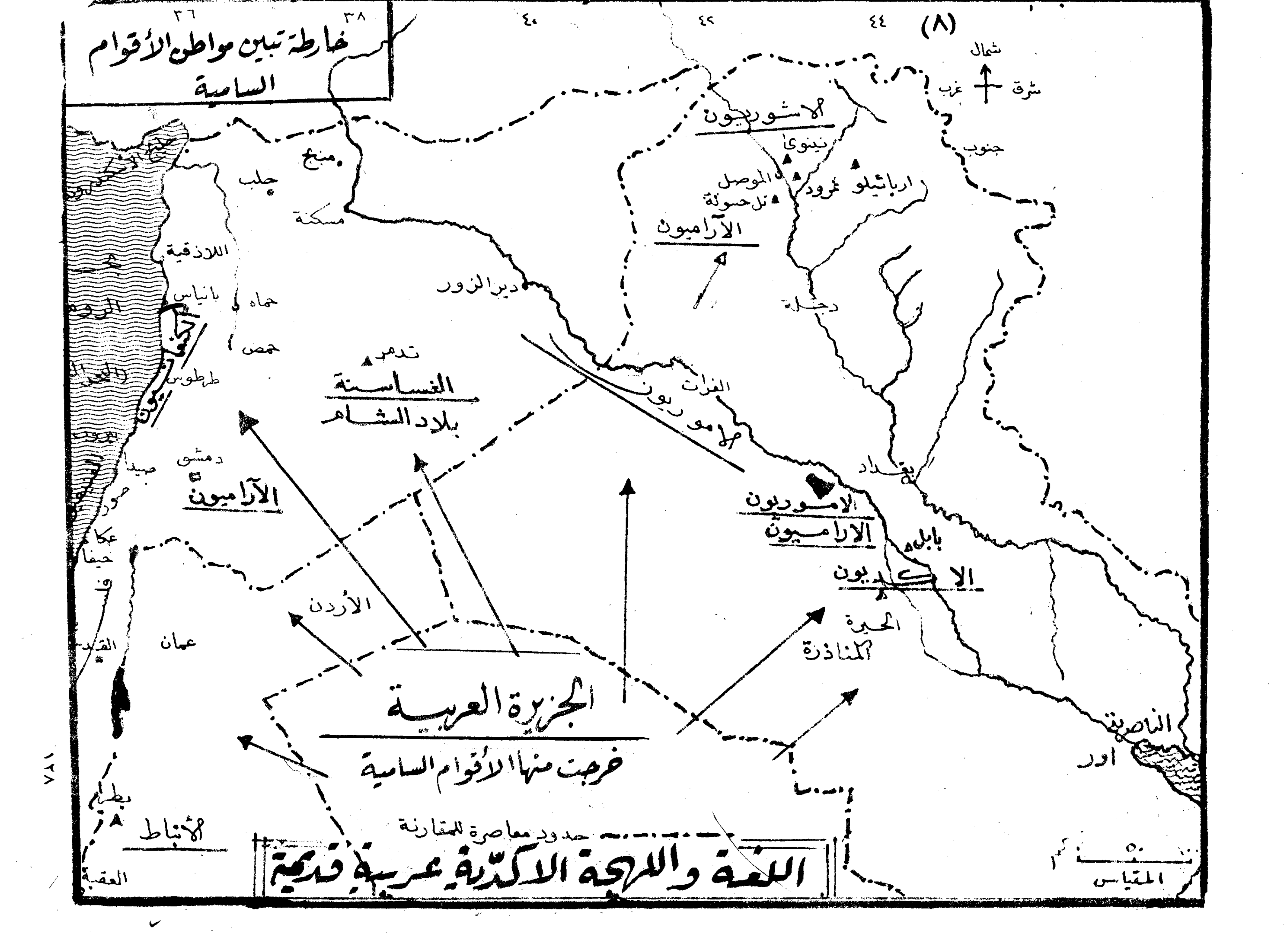
حروف كنعانية كتبت على كأس فخاري عثر عليهـا في لكش في العـراق مـن القرن ١٣ ق.م عن (ديرنجر)

وهي تحمل الاختراع المتعمد بالادلة المطلوبة حيث لم يكن اي من هـذه الحـروف الهجائية معروفا في ذلك الزمن السحيق في القـدم . في جميع الكتابات السـابقة التي عرفتها البشرية وهي المرحلة التي وصلت الينا في سلسلة مطولة من التطوير العـالمي على خطى مترادفة . وبهذا نرى ان قضية الابجـدية وتأويلاتهـا قـد تترك انطباعا حاسما لدى الباحثين ، وقد اعتقد د . ديرنجر ان شعوب الشرق الاوسط وشـواطيء البحر الابيض قد تمازجت قبل الميلاد بالفي عام ولم يكن لدينا مـا يصـح التثبت به نهائيا .

---

(٢٩) : موسكاتي : الحضارة السامية القديمة ص ٢٧٧ ، ١٩٥٧ .

(٣٠) نفس المصدر



(٨)
خارطة تبين مواطن الأقوام السامية
شمال
شرق
غرب
جنوب
الاشوريون
نينوى
الموصل
نمرود
اربائيلو
تل حسونة
الآراميون
دجلة
منبج
جلب
مسكنة
اللاذقية
بانياس
حماه
حمص
طرطوس
دير الزور
تدمر
الغساسنة
بلاد الشام
الفرات
الاموريون
بغداد
الاموريون
الاراميون
بابل
الاكديون
الحيرة
المناذرة
دمشق
صيدا
الآراميون
عكا
حيفا
الأردن
عمان
الجزيرة العربية
خرجت منها الأقوام السامية
الناصرية
اور
بطرا
الأنباط
حدود معاصرة للمقارنة
اللغة واللهجة الاكدية عربية قديمة
العقبة
المقياس
٣٦
٣٨
٤٠
٤٢
٤٤

المكتشفات الأثرية الحديثة عن الابجدية

سلطت التنقيبات الحديثة اضواء على النظريات القديمة السابقة ليومنا هـذا ولدى مناقشة اي نقطة منها وجدت انهـا تختلف عن المناقشـة المطـروحة لنفس النقـطة السابقة ، ومن ذلك ان البحث في اصول جذور احرف الهجاء في الوقت الحاضر اوجب ان يؤخذ بنظر الاعتبار الاثار المكتشفة المهمة التي تعتبر منطلقا للتعبير الجـذري في الاسس العلمية التي اجريت خلال الثلاثين عامـا المصرمـة في كل مـن فلسـطين وسوريا ، وبالتأكيد لم تكن هذه المكتشفات مخططة او مـرسومة بمشـاريع حيث لم يسبق لعلم الاثار ان كان في يوم من الايام موضوعا مبنيا على درجة كبيرة من الدقة الا انها اوضحت معالم جديدة لموضوع اصبح على اثرها قابلا للتطور والبحث مـن قبل ذوي الاختصاص وغيرهم على حد سواء ، فلقد القى كل اكتشاف اثري الضـوء على المفاهيم القديمة والنظريات المتداولة بين الباحثين بحيث قلبها راسا على عقب . فلنعد النظر في الكتابات السامية الشـمالية التي كانت الى وقـت قصـير معنى على الكتابة الوحيدة ذات الاحرف الهجائية «الف باء» يمكن نعتها والتعرف عليها بتسمية «ابجدية» هل هي من حجر ميشن ؟ يشـير الباحـث «د . ديرنجـر» الى اننا في الربع الاول من هذا القـرن العشرين لم يكن متوفـرا لدينا مـن المعلومـات عن الكتابة الحرفية ـ الابجدية ـ سوى النزر اليسير الثابت عليها فقـد كان لاكتشـاف حجـر «ميشن» في عام ١٨٦٨ م دور كبير في تأكيد وجـود كتابة ابجـدية سـامية بحـروف هجائية في منتصف القرن ال ق . م . ولم يثبت وجود اية كتابة اخرى فيمـا بعـد ذلك كتابة حروفية صرفة اسبق من ذلك التأريخ(٣١).

وفي عام ١٩٢٣ م عثر العالم الفرنسي (ب) مونته على نقوش ضريح الملك (احيرام) في بيبلوس العاصمة القديمة ولدى حلها وجد انهـا بلغـة عرفـت منذ ذلك التأريخ ـ بالسامية الشمالية ـ ويرجع عمر هذا النقش الى القرن ١١ ق .م .(٣٢)

وقد كانت هناك اختلافات عديدة اثيرت بين ان واخر من قبل الباحثين في الاوساط العلمية الاثارية حول العمر الصحيح لذلك التابوت او «الناووس» او الضريح .

وتعتبر هذه الحروف الثلاثة التي استنها د . ديرنجر عن القاعدة التي بحثناها انفا ويرجع تأريخ هذه الرموز والرقم المكتشفة والبالغة الاهمية في هذا المجال الى القرن ١٤ ق . م و١٥ ق . م واصبحت لا يعتد بها بفضل المكتشفات الحديثة في الخمسـينات مـن هـذا العصر .

---

(٣١) : نفس المصدر د . ديرنجر ص ١٣١ ، ١٣٦ وانظر : انيس فريحة الخط العربي نشأته ـ مشـكلة الجـامعة الاميركية بيروت ص . ٢٠ وما بعدها ١٩٦١م .

(٣٢) : تاريخ العرب قبل الاسلام ح ص ٥٥٢ ـ ٥٨٥ (فلندرز بتري) وانظر : اينس فريحة . الخط العربي ص ٢٠ .

النظريات الاكاديمية
التي وجدت في القرن التاسع عشر عن اختراع الحروف الهجائية

هذه القضية الاكاديمية نشأت في القرن التاسع عشر حول اختراع الحروف وتضاربت الاراء فيها وطوروا بحوثها لمعرفة من كان صانعها فكانت هي اما لكل الابجديات التالية وحاولنا ذكر الحقائق التي رست صحتها باستنادها على الوثائق المعاصرة ليومنا هذا . وهي سبع نظريات على ما جمعناها من مصادرها على النحو التالي .

١ ـ *النظرية المصرية :*

٢ ـ *النظرية السينائية :*

ذكرها اصحابها في مؤلفاتهم المشهورة ومؤداها ان النقوش التي عثر عليها فلندرز بتري سنة ١٩٠٥ في صحراء شبه جزيرة سيناء في مناجم الفراعنة للفيروز كان يظن انها حلقة وصل بين الكتابة الهيروغليفية المصرية وبين الكتابة الفينيقية القديمة ، ويرى جل الذين تدارسوها انها الارومة التي منها اشتق الفينيقي القديم والسبيء المسند الحميري . ويؤكد هذا القول المستشرق «موريتز» بقوله ان الكتابة بالحروف وضعها وطورها اهل الحضارة الجنوبية في اليمن السعيدة ويذكر ذلك الامير شكيب ارسلان (في تاريخ الخط العربي لمحمد طاهر كردي) .

وقد اشار المؤرخون الى ان القبائل التي تدفقت من جزيرة العرب واطلق عليهم الاغريق (الهكسوس) عن طريق طور سيناء نزلت مصر قديما وكانت لهم معارك مع (العمالقة الهكسوس) في عهد الملك (احمس) الفرعوني وهم الذين وثبوا على مصر اربعة الاف عام وفي ذلك ما يثبت نفوذ العرب في هذه المنطقة التي كانت ممرا للقوافل التجارية وليس من شك ايضا ان تكون سيناء مرتعا خصبا لتلاقي وتعاطي وتبادل الخطوط الابجدية الاولى الصورية ومهما يكن من امر ذلك فان الصلات الثقافية كانت تتحدث عن الترابط السياسي والتجاري بين مصر وفينيقيا ، وان الفينيقين قد عرفوا الكثير عن مبادىء الخط المصري والهيروغليفي والسومري البابلي (المسماري) اذ وجدت بعض الرقم الطينية من الرسائل المتبادلة بين الشعبين في عهد (امنوفيس واحن حتب واخناتون) واخر خطاب كان للملك (اشور باليث) تحت رقم/ ١١٩٥ ومعنى ذلك ان عدة خطوط ومن جملتها كان الخط المسماري رائجا في فلسطين التي كانت كمحطة فكتوريا بالنسبة لشرق البحر الابيض المتوسط في زماننا بالنسبة لتجارة الشرق الاوسط . فلا يستبعد رواج الخط السينائي والسبائي المسند الحميري في الجنوب ولكن لم يكن في المقدور تحديد ازمان مضبوطة لهما ولربما سيكتشف هذا الغموض على ايدي المنقبين الدائبة على الاكتشافات المتوالية في الشرق الاوسط جراء التنقيبات التي سنتحدث عنها في الفصول اللاحقة ومما يجدر ذكره ما اذاعته اذاعة لندن بتاريخ ٢٢/ ٢/ ١٩٧١ من ان العالم (براون) وزميله قد عثرا في مدينة الخليل عام ١٩٦٦ بالاردن على مخطوطات اثارية خلال حفرياتهم وتحرياتهم في الخرائب المهجورة منذ القدم فتبين لهم من دراساتها وهي مكتوبة على

الرف باللغة الكنعانية وليست فينيقية . وقد تمكنوا من تحليلها وترجمتها الى اللغة الانكليزية لذا اصبح المنقبون في اعتقاد جازم بان جميع هذه الممرات من الخطوط الشديدة التعقيد ستتناولها أيدي التحليل وليس مستحيلا ان تقودهم الصدقة يوما من الايام الى اكتشاف حقائق مذهلة عن قصة تاريخ الخط العربي (وتظهر وجهه الصحيح) وتزيل نقاب الغموض عما غشيه من الظلام على مر العصور .

٣ ـ النظرية الجبلية :

وهذه النظرية مبينة على راي العالم المنقب (دينان) الذي كان يقوم بتنقيبات في بيبلوسن القديمة «جبيل » حيث اكتشفت نقوش رسوم ورموزاً تشبه الهيروغليفية الهجائية غير الصورية المصرية كما نراها في هذا الكتاب وهي التي عثر عليها هذا المنقب» ان هذه النقوش او الحروف هي ام الهجاء الفينيقي ونظريته ترجع زمن الهجاء الفينقي الى الوراء عدة قرون اخرى لما قبل الميلاد من تأريخها سابقا .

٤ ـ النظرية الابجية او الكريتية :

في كريجة مقابل جزر اليونان

الحضارة الكرينية هي ام الثقافة الاغريقية والهلينية التي وصلت مهمتها في جزيرة كريت في ١٦٠٠ ـ ١٤٠٠ ق .م فكانت الحضارة المتاخمة للحضارة المصرية وهي التي سميت بالحضارة المينوئية الموكونية التي ظهرت في البحر الايجي وهي التي اخذت عنها روما واوربا اللاتينية عامة بتأثير السامية وقد فصل فيها الباحث (د . ديرنجر) .

٥ ـ النظرية البابلية :

يقول اصحابها ان الخط الفينيقي مشتق من الخط المسماري وذكرت المصادر الالمانية (تأريخ الكتابة الفنيقية ـ لانداد) تأريخ عمومي احمد رفيق ج ١ ص ٣٢٤ : ان الفينيقيين بعد ان خذفوا الرموز المخترعة من قبل الامم السابقة لهم قاموا بوضع حروف ابجدية خاصة بهم .

٦ ـ النظرية الفينيقية :

يصر اصحابها على ان الهجاء نشأ في فينيقية ولم يكن مقتبسا وقيل ان الهجاء اشتق من خطوط ورسوم هندسية شائعة في حوض البحر الابيض المتوسط وهذه النظرية قد تخلى العلماء عن الاخذ بها اخيراً .

كونت الحضارة العربية خمس دول عظمى في خلال اربعة آلاف وخمسمائة عام

لقد ازدهرت الحضارة العربية لاول مرة وعلى يد الاكديين العرب قبل حوالي ٤٥٠٠ عام وعاشت اكثر من ١٥٠٠ سنة (٢٣٥٠ ـ ٢١٥٩) ق. م ثم خفتت فترة من الزمن ولكنها لم تلبث حتى بعثت من جديد على يد العموريين والبابليين بعد حوالي خمسة قرون في هيئة المملكة البابلية الاولى عاشت حضارتها حوالي ثلاثة قرون بين سنة ١٨٩٤ ـ ٢١٥٩ ق. م. ثم اعتراها الوهن والذبول ولكنها لم يكد ينتزع دورها حتى ظهرت الدولة الآشورية لتخلفها الدولة البابلية الثانية عندما كوّن الآراميون الدولة الكلدانية التي عاشت حضارتها قرن واحد (٦٢٦ ـ ٥٣٩ق. م).

ثم بقيت الحضارة فترة بين المد والجزر كونت خلالها دولا عربية كدولة الغساسنة في سورية والمناذرة في تدمر بشمال العراق والانباط في البتراء في الاردن وغيرها من الامارات العربية كأمارة كندة وامارة الحضر وامارة الرها وامارة حمص وسنجار حتى ظهر الاسلام في الجزيرة العربية ومنها انساح وانتشر..

ويقول (ارنولد توينبي) فيرتب الأحدى والعشرين حضارة في سلسلة متصلة، فيظهر له في طرفيها نوعان مختلفان من المجتمعات:

١ ـ نوع المجتمعات المتصلة، بانساب حضارية قديمة وعددها خمسة عشر مجتمعاً على اختلاف اتصالها.

٢ ـ ونوع المجتمعات غير المتصلة بكل نسب حضاري عددها ستة وهي (القديمة): المصرية والسومرية (والمينوئية المكونية الكريتية) التي اصبحت ام الثقافة اليونانية، والمايانية، والانديانية.

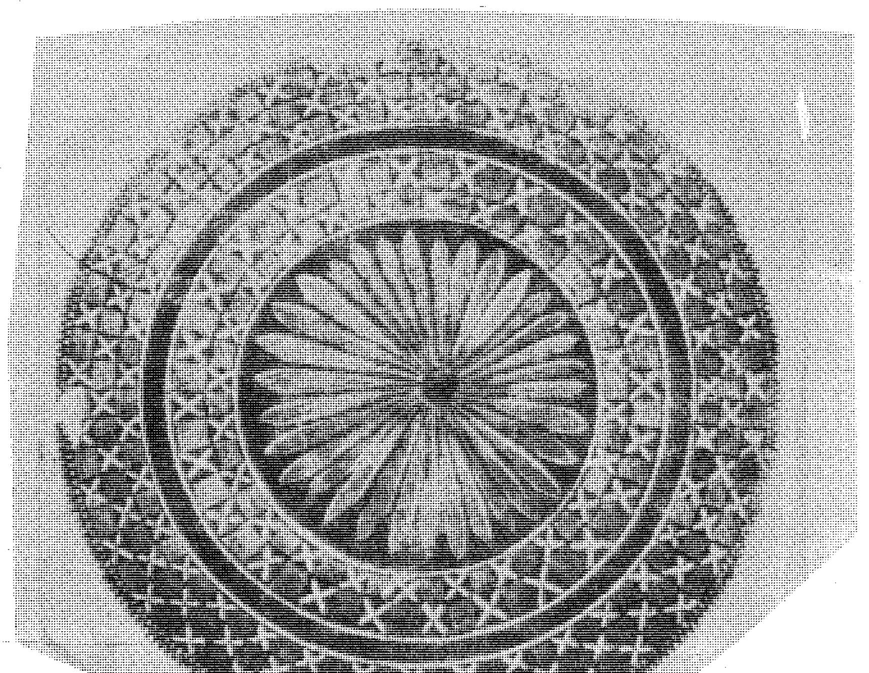
ويعرض المؤرخ الكبير توينبي لبعض البيئات الجغرافية فيلاحظ ان (تدمر، والبتراء، وفينقيا) كانت تشكل تحديات طبيعية. ثم يستمر فيوضح في موسوعته التاريخية التي استوعبت عشرة مجلدات ضخمة وقد تجرأ على عتبات الأزمان البعيدة ويعرض أهم ما حققه المجتمع الآرامي والعربي عن منجزات عظيمة وهي:

اولا ـ اختراع الالفباء الابجدية.

ثانيا ـ اكتشاف المحيط الاطلسي.

ثالثا ـ الوصول الى مفهوم معين هو الله تعالى، فكانت الدعوة الاسلامية التي ارتج لها اركان الجزيرة العربية في سنة ٦٣٠ ميلادية فكان هذا التاريخ تاريخ شؤم على الامبراطوريتين ـ البيزنطية والفارسية بظهور النبي محمد عليه الصلاة والسلام ونادى في المجتمع ان (لا الاه الا الله محمد رسول الله). فشعر الناس بواجبهم تجاه رسول الله بدعوته، والله مظهر دينه ومولى اهله مواريث الأمم وناصر اهله بتوثبهم لعيش كريم فقامت على اكتاف الأمة العربية دولة واسعة الارجاء وتمكنت جحافلهم من اخضاع اخطر دولة في الشرق وهي «فارس». وطاردت الامبراطورية البيزنطية في سورية فأنجز الاسلام في شخص الدولة العربية الاسلامية الناشئة المزودة بالديانة

المحمدية التي منها انطلق المجتمع الايراني والهندي والتركي والافغاني والصيني والشعوب الاخرى التي رفعت راية غزوها اين ما حلت نشرت كتابتها بالخط العربي ودينها العظيم بحيث امتدت الحضارة العربية التي قامت على وجه الارض من امتداد حضارتها العربية التي ورثتها من الحضارات القديمة .

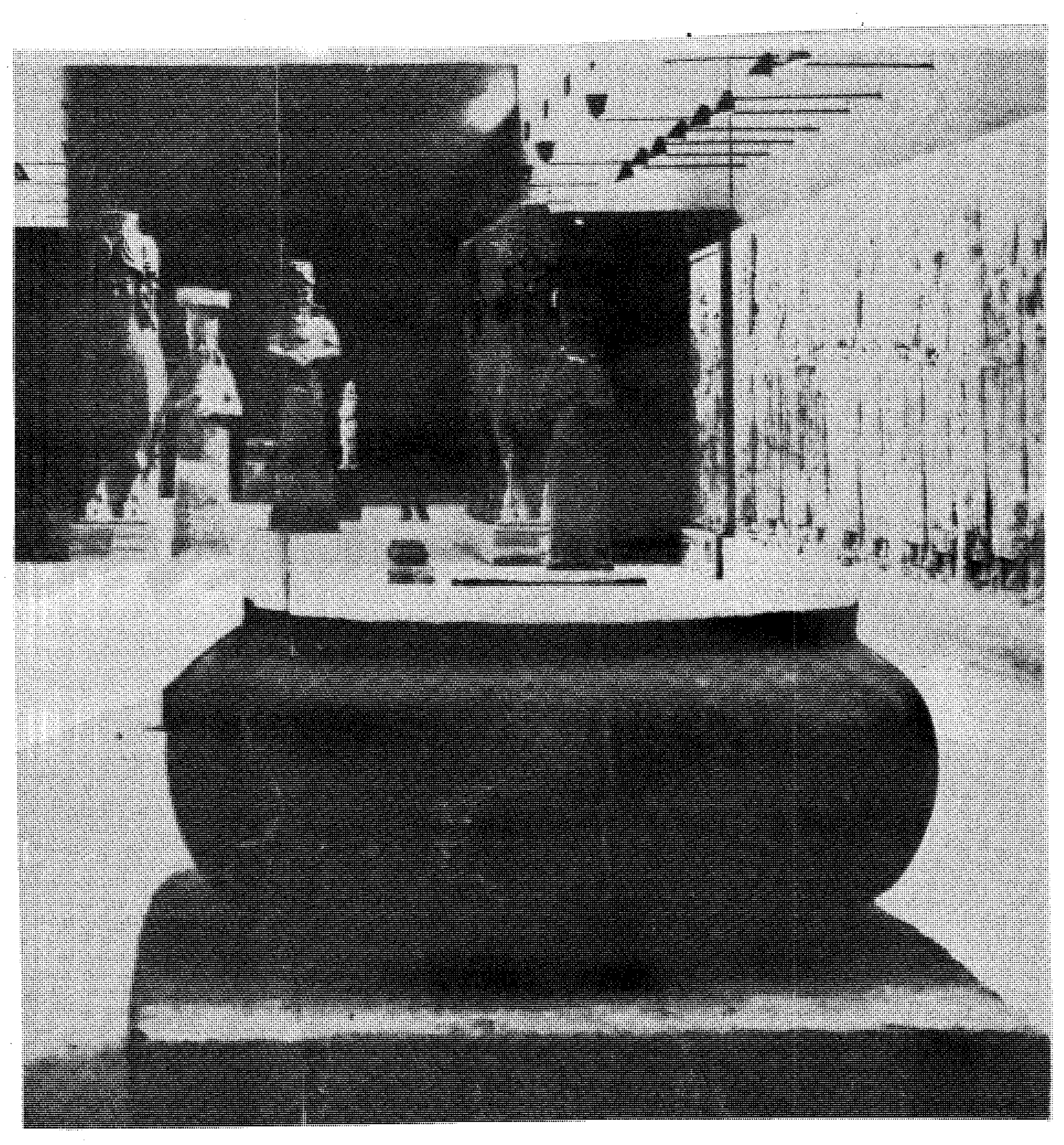


صحن ـ اناء مزخرف من فخاريات عصر حلف منتصف الالف الخامس ق.م من موقع الأربجية (٤٥٠٠) (عن دليل المتحف العراقي ـ ٦٦) .

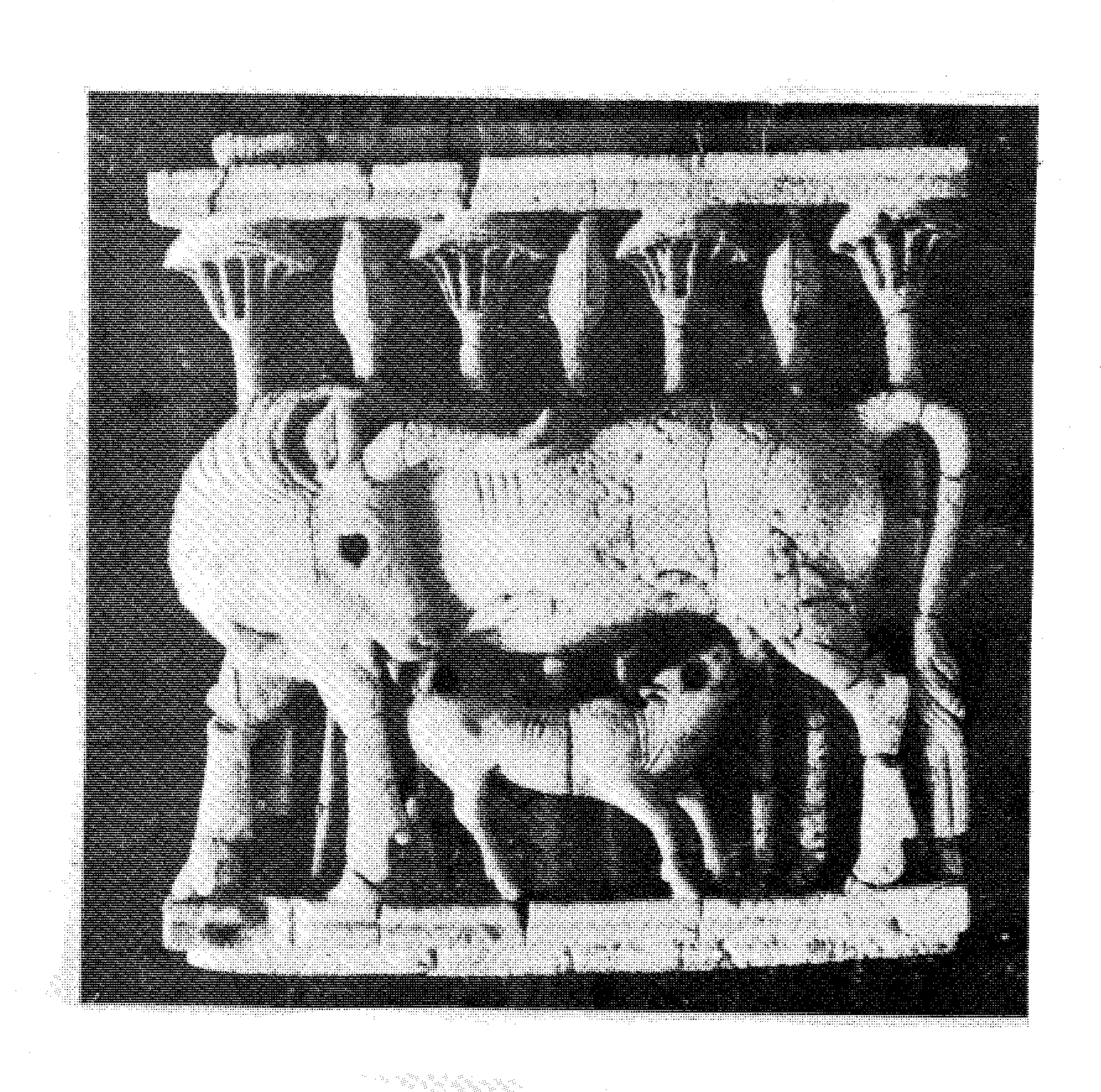


صورة رأس امرأة محاط بزخرفة

ان اقدم ما عرف الانسان صناعة الطين لتشكيل اوانيه ثم اهتدى لطبخها وصنعها من الفخار وامتاز كل عصر بطابعه من السومري والمصري والآشوري والاغريقي والصيني . وبلغت صناعة الخزف وتكويناته في العراق شاداً عظيماً في البلاد الاسلامية حتى جاء زمن الامويين . (انظر الفنون الاسلامية م .س . ديماند)



قاعدة عمود ضخم من الحجر من الصمان الاسود ـ الفترة الآشورية عن المتحف العراقي



لوح تمثال بقرة ترضع عجلهـا عثر عليه في حصـن شـلمانصر ـ عن المتحـف العراقي



تمثال اسد من الفخار عثر عليه مع لبوة عند المدخل الرئيسي في تل حرمل في حدود (الالف الثاني قبل الميلاد) .

المحتوى الأقدم للدول العربية الجنوبية التي امتلكت مقومات الحضارة المتمثلة بالكتابة والعمران

١ ـ الدولة المعينية .

٢ ـ الدولة العتبانية .

٣ ـ الدولة الحضرموتية .

٤ ـ الدولة السبئية .

٥ ـ الدولة الحميرية .

قد يكون من الصعب على اي متتبع لتاريخ الحضارات ان يركن بشكل قاطع الى آراء المؤرخين التي جعلت اقدم دولة عربية هي الدولة المعينية في (٢١٥٠ق . م) في حين ان العالم (بريتد) قد ذكر في تاريخ مصر منذ اقدم العصور ان احد ملوك الاسرة الثانية عشرة التي حكمت بين ٢٠٠٠ ـ ١٧٨٨ق . م وحسب رواية مؤلف كتاب الكافي في تاريخ مصر بين ٢٠٦٤ ـ ٢٨٥١ق . م اصلح الطريق الموصل بين (فقط) والبحر الاحمر وازداد نتيجة لذلك النشاط التجاري البحري بين مصر وموانىء الصومال . حيث تؤكد هذه الآثار قدم النشاط الحضاري في جنوب الجزيرة العربية وكان ذلك لجلب البخور والعطور والمعادن النفيسة والحجارة الكريمة منها قبل بروز الدولة المعينية كدولة شاملة كبرى اكثر من الفي عام قبل الميلاد .

الاقوال التاريخية في قدم الكتابة المعينية المبكرة

يتضح من هذه التواريخ العميقة الجذور للكتابة العربية الجنوبية التي اوفت بمتطلبات الحكم المستقل التي لم يعرف عنها العرب الا دولة حمير . فقد كانت دولة معين دولة تجارية امتد نفوذها من شواطيء البحر الابيض الى الخليج العربي وبحر العرب اي انها شملت كل جنوب جزيرة العرب . وقبل ان نخوض في تفصيل ذلك علينا ان نتذكر قول الدكتور طه باقر الذي اوجز بقوله : ان المعينيين طوروا كتابتهم تطوراً مستقلا خاصا . ولم يشر الى ذلك غير هذا وان عاصمتهم القديمة كانت (قرنا) والحديثة هي (معين) .

التشابه التفسيري بين حروف خط المسند والخط الفينيقي .

ان العالم (روسو) من العلماء الذين كتبوا وناقشوا النظرية التي شخصت ابجدية حروف خط المسند الحميري وما تفرع منه في التشابه مثل (الصفوي ، الثمودي واللحياني) ومن هؤلاء العلماء (لتمان) استاذ اللغات السامية في ستراسبورغ الذي عين لفظ كل حرف ومكانه من الابجدية .

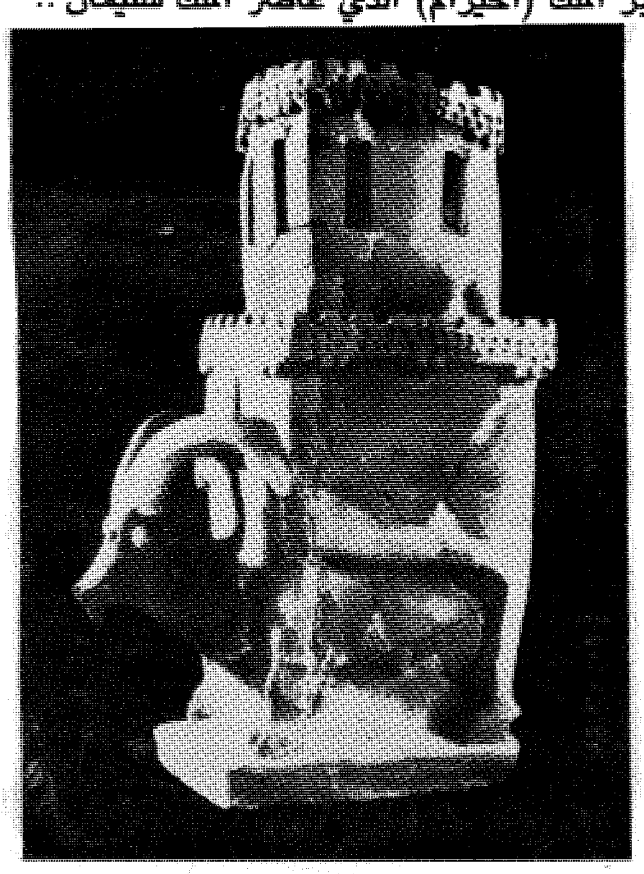
وقد عثر الباحث (ولسن) على كتابة تشبه الخط المسماري في أحد مقابر الفينيقين في البحرين ويستشهد بعض العلماء بما يقول (سترابون) ان بجزر البحرين مقابر تشبه مقابر الفينيقيين كما ان اسماء جزرهم ومدنهم وهي اسماء فينيقية صرفة وذكر العالم (ريدو دوسو) في بحوثه في نسبة الحروف السبئية (المسند) الى الفينيقية ، وبين آراءه في من هو السابق للوجود السبئية ام الفينيقية ؟

الا ان هذا البحث ما زال حتى اليوم في تنقيق يحتاج الى زمن ستكشف لنا التنقيبات والتحقيقات الكثيرة عنه . كما اننا رأينا من الفائدة بمكان ان ننقل صور الحروف الفينيقية على مراحلها التأريخية كما رسمها العالم (ديرنجر) في كتابه (الكتابة) . وذلك لمقارنتهما في المشابهة بالاضافة الى ما ذكرناه تفصيلياً في ما تقدم في الفصل الخاص الذي بحثنا فيه عن الوثيقة التي عثر عليها في البرازيل فالفينيقيون هم الذين استولوا كما ذكروا على ارض كنعان (بنو كنعان) موطنهم السواحل اللبنانية وذلك في سنة ١١٠٠ق .م وكانت ديارهم البابلية وهم من الاقوام الثلاثة (الكنعانيين ، الاراميين والفلسطينيين) واتخذ الفينيقيون (ببيلوس ـ جبيل) عاصمة لهم وصيدا وبيروت مواطن ، وتكلموا بلغة اهل هذه الديار باللهجة القرطاجنية كما ذكرناها في الوثيقة التي عثر عليها في ما ذكرنا آنفاً .

وكان توسعهم في التجارة الى البحر الابيض غرباً حتى توصلوا الى قبرص ورودس وصقلية .

فاسبانيا قبل الفتح الاسلامي ، ويحتمل انهم وصلوا الى الجزر البريطانية وشمالي افريقية .

وقد عثر على أكثر من ١٥٠٠ نقش حجري لهم بكتابتهم وتماثيل اخرى نقلت الى المتاحف منها قبر الملك (احيرام) الذي عاصر الملك سليمان ..



نموذج بنائي معمول من الفخار ذو طابقين على طراز تمثال كبش ذو قرون وتظهر النوافذ في برجه الأعلى وممره في الطابق الاول عثر عليه في بازموسيان يعود الى العصر الحوري (القرن الرابع عشر قبل الميلاد) .



من (الفن الحثي في عهد الحثيين) عاش الملك الحثي في اراراس من القرن ١٢ ق.م في قرغاميش بجنوب الاناضول. وهذه اللوحة من متحف الآثار ـ التركية.

تفصيل معنى التسميات للشعوب السامية .

اطلق الاب اسحق ساكا في مقال له «اصطلاح الشعوب السامية» على من تكلم السامية فقال ضمن آرائه المتشعبة المصادر ان السامية اصطلاح ظهر للمرة الأولى سنة ١٧٨١م في دراسات المستشرقين نسبة الى سام . والتسمية السامية لا تنحصر في الشعوب المنحدرة من سام احد اولاد نوح استناداً الى ما ذكر في سفر التكوين . وربما تعم الشعوب التي نطقت باللغة السامية والادق ان هناك ساميين اصليين وناطقين بالسامية . ويراها بعضهم تسمية خاطئة ويرى (محمد عزت دروزة) ان يصطلح عليها بـ (الجنس العربي) واقترح بعضهم ومنهم (لاترمان) ان تسمى بـ (السرياني العربي) لكون هاتين اللغتين فرعان هامان للغات السامية . يسمى الاول منها جنوبياً و الثاني شماليا . وقد ارتأى غيرهم ان يصطلح اصطلاحا آخر يشمل الساميين و الحاميين كأن يقال مثلا (سامية) للشعوب السامية الاصليه و (الناطقون بالسامية) لغير السامية الاصلية .

الكنعانيون ساميّون

والسبب في عدم ذكر الكنعانيين بين ابناء سام ان بني اسرائيل هم الذين اقصوا الكنعانيين في جدول الانساب الواردة في التوراة «تك ـ ٢» في حين ان لغتهم تعتبر سامية محضة . وحفضهم في الجدول التوراتي لاسباب سياسية ودينية . (فالكنعانيون ساميون) خالطوا الآراميين الساميين وقد غلبت الآرامية على لغتهم فصاروا ـ آراميين ساميين ـ . ومثل الكنعانيين الاحباش فهم حاميو الاصل ساميو اللغة .

ونتيجة البحث ان السامية اطلقت على الشعوب السامية الاصل والحامية الناطقة بلغة الساميين ، لذا وجب التمييز ما بين «شعوب سامية» و «لغات سامية» . فاطلاق كلمة «الناطقين بالعربية» على العرب تمييزاً للعرب الاصليين عن غيرهم من الامم ، كما ارتأى الاستاذ المقدسي . ولئن اتفق الباحثون على السامية اصطلاحاً لشعوب ولغات ولكنهم لم يطمئنوا اليها تمام الاطمئنان ، ومن الحقائق المقررة ان هذه الشعوب في الاصل امة واحدة وعلى رأسهم العرب القدامى منذ وجودهم في جزيرتهم وجوداً لا يمكن تحديد مبدئه ولم يكن اسمهم قد غدى علماً على العرب لما دخلوا التاريخ .

وقد أكد الدكتور (اوليري) ان الآراميين فرع من العرب في ضوء هذا التحليل التاريخي التالي :

فالتاريخ يصرح (ان ابراهيم الخليل) كان آراميا جنساً ولغة ووطناً ومن احفاده المنسوبين اليه العبرانيون اليهود ـ واثبت ابن حزم ان تغير تلك اللهجات كان بتعاقب الازمان .

(كلمة العربي تعني ساكن البادية)

ونطلق هذه اللفظة على جميع النين يعيشون حياة البداوة ، مهمــا كان عنصرهــم وجنسهم كما روى الطبري حتى غدت اللفظة ملكاً لهم لأنهم اختصوا بالابل اكثر مــن سائر الاقوام ، فقد غدت عماد حياتهم ، من أجل نلك ملئت اللغــة العــربية بالابل فلم يترك العرب صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بها الا وضعوا لها اللفظ ، ولحمها ونتاجها ، ووضعوا الاسماء لأعمارها ، ورضاعها ، وفطامها ، وكل ما يتعلق بها فخصوا الناقة بـ (٢٥٥ اسماً) .

وفي كتاب المخصص لأبن سيده كلام على الأبل ومــا يتعلق بهــا يســتغرق (١٧٦) صفحة كبيرة عدا ما نكر متفرقاً في مــواضع اخــرى منه . ووصــفوا ايضــاً الارض الصحراوية بما فيها من رمال وحشرات واعشاب ونجاد ووهاد ، وغدا لكل مــا يتعلق بكل مظهر من مظاهرها ما بين الـ (٢٠ ــ ١٠٠ اسم) بحيث اصبح أدب العــرب ظــلا لحياة الصحراء ، وصورة صادقة لمعيشة البداوة .



العدنانيون اهل الحجاز ونجدهم الاسماعيليون اهل البداوة

هذا ما اطلق على العربي بمعناه الذي صار معروفاً في الحجاز ونجد ، والسبب في ذلك : ان العدنانيين اكثرهم اهل البادية وظلوا على بداوتهم ، وان العروبية ومنازعها لم تفارقهم ولم يتحول عنهم شعار البداوة الى شعار الحضارة . وذلك لجدب ارضهم وجفافها مع بعد اعماق ضريرتهم عن الاحتكاك بالدول المتحضرة لتوسطها في الصحراء ووعورة المسالك اليها وحتى منعت عن الفاتحين العظام من الرومان والاغريق والفرس والاحباش ، وظلوا هكذا حتى حان وقت هجراتهم المشهورة فلم يمض على نشوء دولتهم قرن حتى ظهر تمدنهم .

فالعدنانيون منهم هم ذرية اسماعيل بن ابراهيم ، والقحطانيون ينتسبون الى عابر الذي انقسم احفاده الى فصيلتين : اقامت الأولى في (أور الكلدانيين) في جنوب العراق القديم .

وهم بنو ابراهيم الخليل وارتحلت الثانية الى بلاد العرب وهم بنو قحطان .

١ ـ واقسامهم : (العرب البائدة) اكثرهم من احفاد آرام ، ومنهم عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم الأولى وسموا بائدة لأنهم بادوا ، ولم يبق لهم ذرية مستقلة .

٢ ـ (العرب العاربة) : ومسكنهم بلاد اليمن وكانوا متحضرين ، سموا بالعاربة لرسوخهم في العروبة وجدهم الاعلى قحطان فنسبوا اليه ، وقد تفرقوا بعد انهيار سد مأرب الشهير في هجراتهم بحسب قبائلهم .

٣ ـ (العرب المستعربة) : وسكناهم الحجاز ونجد واواسط الجزيرة العربية ، ويدعون بالعدنانيين وهم احفاد اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام . وهم بدو رحالة .

٤ ـ اسماعيل تعلم العربية : بعد مفارقة ابيه لرحلته الى البادية ، استوطن مكة المكرمة حيث تقيم قبيلة جرهم العربية وشب بينهم فصار منهم وتزوج امرأة هي (الحنفاء بنت الحارث) بن منضاض الجرهمي ، فولدت له اثنى عشر ذكراً منهم ثابت وقيدار اللذان منهما نشر الله العرب . ولذلك سموا بالمستعربة .

واعظم القبائل العدنانية قبيلة (معد) ومنها تسلسلت قبائل عدنان ، وتفرع من معد اياد ونزار ، وسكنت اياد العراق .

واما نزار فانقسمت قبيلتين ، ربيعة ومضر ، فسكنت ربيعة في جزيرة العراق وتفرعت الى بطون ، واما مضر فهم الاغلبية الساحقة بالحجاز . وكانت لهم الرياسة في مكة ، ومن مضر تشعبت عدة عمائر من جملتها (قريش) وتشعبت قريش الى خمس وعشرين بطناً ومن جملتها بنو عبدمناف ومنهم بنو هاشم ، (ومنهم النبي العربي العظيم صلى الله عليه وسلم) وبه تشرفت مضر بالاسلام على سائر العرب قحطانها وعدنانها .

(القحطانيون نشأت منهم دولة متحضرة في اليمن)
وهم اصحاب خط المسند السبئي الحميري

ان تمدن القحطانيين في ارضهم الخصبة لا يقل عن تمدن الآشوريين والمصريين والفينيقيين . وكان هؤلاء العرب بعيدين عن البداوة وبينهم وبين اهل البادية العدنانيين عداء حتى رووا ان لكل منهم (القحطانيون والعدنانيون) شعاراً في الحرب يخالف شعار الآخر ، فاتخذ المضريون اهل الحجاز العمائم الحمر والريات الحمر .

واتخذ اهل اليمن العمائم الصفر وهذا العداء ما بين البداوة والحضارة نزاع طبيعي . حيث ان كلمة العرب تعني البدوي ساكن الصحراء بل لفظة «عرب» في التاريخ القديم كانت ترادف لفظة «بدو» فيستخلص ان المقصود بهم هم اهل الحجاز العدنانيون وبالاخص «قريش» وتتخادى الازمان وتنقلب الظروف ولم يعد لفظ «العرب» محصوراً في البدو وحدهم فتنوع معناه كما تغير مسماه فاضطروا الى اصطلاح كلمات تميز بين الحالين فاستعملوا لفظ الحضر لأهل المدن والبدو لاهل البادية . والاعراب تعني الان ، البداوة .

واضحت كلمة عرب تشمل جميع القاطنين في الجزيرة العربية من قحطانين وعدنانيين . ويقال ان اليونان في عهد البطالة اطلقوا على الجزيرة العربية اسم «بلاد العرب» ثم سمى اهلها بالاجماع عرباً باطلاق الجزء على الكل .

(بلاد العرب في التوراة والانجيل)

وقد ذكر العهد القديم تسمية صريحة لاحدى القبائل في القرن العاشر قبل الميلاد وهي «سبأ» في اليمن وتسمى بلاد العرب في هذا الدور بارض المشرق وهو دور التسمية كما يراه المؤرخ محمد دروزة .

اما الدور اللاحق وهو دور العروبة الصريح الذي ابتدأ من القرن التاسع ق . م . عندما اخذت بذور الشعور القومي تبرز في مشاعرهم للمرة الاولى في التحالف الذي انعقد بين (جندبو بن عدي) ملك دمشق في سنة ٨٥٤ ق . م والمسمى (بنهدد) في التوراة وقدم له مساعدة الف جمل من بلاد اربى في حربه ضد شلمانصر الثالث ، ومن بعد هذا التاريخ نرى ان لفظ عربي وعرب ورد عشر مرات في العهدين القديم والجديد ومراراً عديدة باعرابي وعربان والعربية واسماء قبائل نحو قيدار وهو ابن اسماعيل الثاني وتيماء والددانين .

مقولات العلماء الجدد الذين عالجوا الابجدية والحروف الكنعانية .

يبدو ان الامر لا يقف عند حد الذي قدمناه بل هنالك امور اخرى قد نتعلق بما توصلت اليه التنقيبات الحديثة عن الابجدية الكنعانية المبكرة التي بحثها العالم (د . ديرنجر) . ويستشف من آراء العالمين (اولبرايت والن كاردنر) بحسب دراساتهما ، قرارهما بان الابجدية السينمائية التي تعود للقرن ١٥ ــ ١٦ ق.م. كانت الفبائية صحيحة بطبيعتها وانها كتبت بلهجة كنعانية ، وان تحليل (الن كاردنر) لها كان ايضاً صحيحاً ، ولهذا ــ ارخت المكتشفات التي عثر عليها في عام ١٩٣٩ في ثلاثة مواقع ودفعت تاريخها الى الوراء بضعة قرون ، اي الى (١٨ ــ ١٧) ق.م. وتلك المكتشفات هي :

١ ــ كسرة قحف كرز التي وجدت في (تل كرز) الواقع في الهضبة الساحلية جنوب (اللد) في الاردن .
٢ ــ اسطوانة شكيم الصخرية الذي يسمى حاليا (تل بلاطة) الذي يقع شرقي نابلس .
٣ ــ خنجر لكش يقع في تل (الدوير) بين غزوة والخليل في الاردن .
٤ ــ كتابة تل الحصى .
٥ ــ قحف العجول .
٦ ــ بيت شمس .

وكتابات وجدت في (لكش) ورموز من احد القبور في القدس من حفريات سنوات ١٩٢٧ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٧ . وكانت المكتشفات هنا تعود للقرون (١٣ ، ١١ ، ١٠ ، ٨ ، ٧) ق.م. ورسوم الآثار التي عثر عليها برقم (٢) التي تضم اربعة رسوم ادمية ورموزا اخرى بجانبها تشبه الحروف CMMA وقد فسرت قبل ثلاث سنوات اثناء تنظيف الخنجر ، وسميت الكتابة المنقوشة عليه (بالخط الكنعاني) لاجل التمييز ، كما اشير لهذه التسمية .

وفي نفس هذه اللوحة رموز برقم (١١) وهي التي وجدت في لكش كما ذكرنا آنفا ، وهنالك بمحاذاتها في الصف الاسفل نحو اليسار ، ثلاث مجموعات لرموز حروفية يبلغ عددها المجموعي (١٨) وهي حتى وقتنا الحاضر كافية لحل وتفسير هذه الكتابة الا ان المؤكد فيها ثلاثة حروف تحمل خصائص السامية الشمالية .

لعل من الصعب جداً على اي متتبع ان يركن بشكل قاطع الى كل ما كتب عن دراسات تناولت اختراع الكتابة بالابجدية السامية الشمالية والسامية الجنوبية بالرغم من اتسام تلك الدراسات بالعمق المستند الى الوثائق التنقيبية فانها لازالت

تنتظر المزيد من التحقيق في الاحداث التي استكشفت في السبعينات من القرن العشرين واشار اليها الباحث (ديرنجر) وهو تحقيق يشدنا بقوة الى حقائق مجردة من الاهواء والتعليلات ، تقريبا الى النظريات العربية التي فيها تتقارب اللهجات السامية والتي منها اللغة العربية وهي انسب اللغات واكثرها ملائمة لعدم اختلاطها باللغة السامية الاخرى لذلك حافظت على صفائها وخواصها الاعرابية ، ورأوا انها ذات فائدة كبرى للوقوف على خصائص الساميات القديمة المبينة على تقارب اللهجات الآرامية والنبطية .

لقد مررنا بالصلة التي بين العرب الجنوبيين والشماليين الذين كانوا يتكلمون في احاديثهم اليومية وهي خلطاء بالآراميين في رحلاتهم التجارية ويتكاتبون بخطهم الدارج آنئذ (الثمودي والصفوي واللحياني) المتفرع من المسند الحميري (السبئي) المتأثر بالخط القديم كما تشهد النقوش التي عثر عليها مما لا يحصى عددها وان المصادر تؤكد ان الرواد وجدوا نقوشا في اعالي الحجاز تشبه النقوش المتطورة من الخط النبطي الذي اطلق عليه (عرب حجازي) المتعدد الرسوم والصور واكتسى بعض حروفه بالفضة كما ذكرنا وشهدت بعض اوراق البردي عليه ، وكانت الديانة المسيحية في طريقها للانتشار في الجنوب كما عاد العرب الى الظهور في مملكة (تدمر) في الشمال في القرن الثالث قبل الميلاد . والخط التدمري كما نراه في اللوح الآرامي المبكر وفي حروفه يشبه الآرامي وكأنة مقتبس منه بتحوير جزئي .

وعلى فرض ان تطوير الحروف نشأ عن تقليد نماذج منحولة مستنسخة ، فالتاريخ لم يذكر احدا بالذات استطاع اثبات نسبة او نفي انتحال خط او اقتباسه بسهولة دون ان يترك اثرا مذكورا .

اما العالم (ادوارد كيرا) فيؤكد في نظرية له اذا ما خالط اناس يجهلون الكتابة اناسا آخرين اوفر منهم حضارة يعرفون نوعا من كتابة اخرى ايسر واسهل استعمالا فانهم لن يقتبسوا منهم كتابتهم فحسب ، بل يستعيرونها عينا دون ان يحوروها كالحروف اللاتينية الغربية ويزيدون على ذلك ان يقتبسوا اللغة ايضا ، كما فعل الانباط تدريجيا ، ويقومون بتقليد واستعارة كل منهما الآخر في الخط واللغة في البداية بالنسبة للمقتبس الادنى حضارة ، لان الكتابة واللغة صنوان لا يفترقان .

ان اقتباس الخطوط بين الاقوام والامم امر معروف ، وهو الذي كون التطورات الحضارية في العالم وان كتابات النقوش هي التي حملت الى علماء الآثار الدليل تلو الدليل عن حقائق تطور الخط العربي الشمالي والجنوبي .

جدول الاشتقاقات القديمة

اختصاراً في البحث لا نريد ان نتتبع اخطاء الذين خلطوا في الكتابة بصورة عامة ، ذلك ان المكتشفات الحديثة قد الفت ونسقت كل الاحكام التي بنيت قبل خمسين عاما ، وان النماذج الخطية هي التي ستنير السبيل للباحثين وتزيح غشاوات الاوهام التي لازالت اثارها تتكرر حتى ايامنا الحاضرة فوا اسفاه .

ان اول من تنبه الى النقص في الخطوط السامية كان شعبا غير سامي (الاغريق) لانهم اخذوا أبجديتهم عن الفينقيين وفي عصر مبكر جداً شعروا بهذا النقص فاضافوا حروفا للغتهم مصوتة لكي يستطيعوا كتابة لغتهم ويتلفظوها بصورة صحيحة لا ايهام فيها . فكانت تلك الوحدات الصوتية التي اضافوها كما نراها في هذا الجدول كحروف الروادق التي اضافها العرب وهي (ثخذ ، ضظغلا) . اما الاغريق فاضافوا خمسة احرف ، كما ذكرت في دائرة المعارف الامريكية .

اذ كانت الكتابة اللاتينية لغة الامبراطورية الرومانية فاتى عليها دور التطور الاوربي فاشتق منها الكتابة باللغة الايطالية والفرنسية والاغريقية والاتروسكانية وحروف الكابيتال والرومانية .. ومن هذا يتبين قدم الاشتقاق رغم تباين اللغات واختلاف رسوم الحروف بحسب ما اوضحه العالم د . ديرنجر تأييداً لنظرية اشتقاق الخط العربي الاول الذي قدمناه ولمن اراد الاستزادة الرجوع الى المصادر الحديثة واهمها كتاب (الكتابة) ص ١٧٦ .

المنطق الوثائقي الحديث في نشوء الخط العربي الشمالي والجنوبي في وادي الرافدين وسيناء

كان من المقطوع به تقريباً ان الاختراع الاصلي للابجدية يعود للفنيقيين على رأي العالم موسكاتي ولكن ظهور المكتشفات الحديثة في الثلاثينات من هذا القرن نسف هذه الظنون والتأويلات جميعا فتراجع هذا العالم وقال : انه من المحتمل ان تكون تلك النقوش التي ظهرت على يد المنقبين انما هي ابجدية سينائية ولكنها غامضة بدرجة اعتبرها (اولبرايت) من اللغات السامية الشمالية العربية ، بينما اعتبرها (فان براندن) لغة عربية قديمة تمثل مرحلة لغوية سابقة على افتراق السامية الشمالية عن السامية الجنوبية ، بينما خالف ذلك العالم د . ديرنجر فقال ان لغتها من اللغات الشمالية فقط وقد تكون خطوط تلك النقوش الانفة الذكر حلقة وصل بين الهيروغليفية المصرية والحروف الابجدية الفنيقية التى اولدت الارامية وذلك يحملنا على ان نعالج أهميتها على انفراد .

وعندي ان الذهاب مع الآراء القديمة التي وردت في المصادر الغربية غير المستندة الى الوثائق مما لا يرتاح له علمياً من زاوية التطور الحديث . وعلينا ان نخلق مدخلا علميا لتراثنا العربي الذي كتب والف فيه كثير من الادباء المعاصرين وان نعيد النظر في مؤلفاتهم الحديثة ومقالاتهم المنتحلة المنشورة على صفحات المجلات وهي استنساخ مكرر معيب وغير مركز في اختراع (الخط العربي وتطوره) ، ثم ان السينائية الجديدة التي تحدث عنها (د . ديرنجر) لها اهمية من ناحيتي الدراسة العربية اللغوية وتطور التسمية التي تغيرت في الجدول الذي رسمه ديرنجر بعد النبطي وهي تسمية غير مسبوقة . ومن هنا يلوح ان الباحث اراد تمييز الخط الشمالي عن الخط المسند الجنوبي الحميري الذي اشار اليه بشرح (سينائي غير مؤكد) . فتأمل الجدول الذي رسمه ديرنجر هنا في كتابنا. وكان على ما يبدو من هذا الجدول احداث تطوير خطير فاحدث للنبط خطين ونقطة تحول لاسماء الخطوط في الجدول واضاف الدكتور فيليب حتي عند البحث في الخط المسند الحميري فقال :

ان المعينيين استعملوا هذا الخط بالحروف المسند ايضاً ، وايد هذه الاقوال الدكتور (طه باقر) في كتابه (دراسة في التاريخ الحضاري ، ج٢ ، ص ٢٨٥) بقوله ان ابناء الجزيرة العربية في اليمن هم الذين طوروا خطهم مستقلا بحروف ابجدية منفردة ، وايد هذا الاستاذ حنفي ناصيف في تاريخ الادب العربي .

ولقد تحدث التاريخ وبعض المؤرخين عن الخط المسند طويلا ونقل الرواد المستشرقون كثيرا من الاحجار التي حملت الكتابات الحميرية الى اوربا من جنوب الجزيرة فضلا عن الاستنتاجات التي وصلت الينا من المكتشفات التي نقلت الى المؤلفات . ومن هذه المدونات استنتج ان الحضارة الجنوبية كانت قائمة بمقومات ومنها ذلك الخط الكامل الابجدية التي كشفت عنها الدراسات وتعرفت على لهجاتها وفروعها (اللحيانية ، الثمودية ، الصفوية) التي تختلف عن لهجة ولغة (قريش) وعن اللهجة الفصحى كليا ، خلال الاماد التي سبقت ظهور الاسلام . وقبل اندثارها بظهور الخط الشمالي اتيحت دراساتها للمستشرقين في ضوء جميع الموارد . ومما لابد منه بالنظر لسعة ووفرة ما كتب سنرد على المتخصص بهذه الدراسة الشيء الكثير من الاراء العربية القديمة ابتداء من القلم الذي قدمناه آنفا (المسند الحميري) وهو قلم العرب الاول الذي بحثه ابن خلدون فيما قدمناه في هذا الفصل وما سنبحثه عن الخط الحميري .

فهنالك المصادر العربية القديمة الكلاسيكية كالعقد الفريد لابن عبد ربه ، وفتوح البلدان للبلاذري والاقتضاب للبطليوسي وصبح الاعشى للقلقشيندي والفهرست لابن النديم وتاريخ الادب لحفني ناصيف وهي تذكر بايجاز ان (الحيرة والانبار) كانتا قبل ظهور الاسلام مركزين من مراكز تعليم الخط . وان الموارد العربية لا تشير الى اسم النبطي وانما تذكره باسماء (كندة او بنو المصحن) وهم الانباط .

تفصيل خطوط بتسميات جديدة

١ ـ سينائي جديد

٢ ـ سينائي قديم

٣ ـ نبطي متاخر

ولقد ظهر اخيراً ان حروف النقوش التي عثر عليها المستشرقون في وادي طور سيناء جعلهم يتخلون عن الاراء العتيقة واعتبروا السينائية الاقدم من الفنيقية بستة قرون سينائية جديدة وهي بلغة شمالي الجزيرة . ويقول العالم ديرنجر اكتشفت عام ١٨٦٢ على يد العالم (بوركارت) اذا ما تتبعنا دراسة اشكال الحروف السينائية الجديدة نجدها اكثر ليونة من السنائية القديمة ، وهي كتابات قصيرة ومعظمها يحتوي على اسماء اشخاص وهي التي كونت حلقة الوصل للتعرف على الحروف النبطية المفردة و (الحروف العربية) التي سميت بـ (السينائي الحديث) الذي وصل الينا من (النمارة وزبد وحران وام الجمال الاولى وام الجمال الثانية) التي نعتها

Phon. صوت الحرف	8th. Cent. ٨ B.C. ق.م	6th. Cent. ٦ B.C. ق.م	4th Cent. ٤ B.C. ق.م			
'	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ا
b	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ب
g	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ج
d	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	د
h	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	هـ
w	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	و
z	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ز
ḥ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ح
ṭ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ط
y	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ي
k	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ك
l	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ل
m	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	م
n	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ن
s	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	س
ʿ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ع
p	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ف
ṣ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ص
q	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ق
r	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ر
š(sh)	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ش
t	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ت

خليل يحيى ناجي بالنبطية التي تجنس فيها الخط بالعربية وهو الذي عثر عليه المنقب (جولويس اويتنغ) عام ٥١٢م .

انها صعوبات كبيرة تلك التي واجهت الرواد والمؤرخين الذين لم يستطيعوا التوصل الى تثبيت تواريخ النقوش الكثيرة التي عثروا عليها في الجزيرة العربية وذلك لخلوها من التاريخ .

ويعود الفضل في هذا الميدان الى المستشرقين امثال غلازر وهومل واضرابهما من علماء العربيات الجنوبية الذين جمعوا النصوص خلال رحلاتهم في صحاري وجبال اليمن ورفعوها الى متاحف الاثار الاوربية وهي مما يعود تاريخه الى زهاء الف عام ق . م . كما ذكرنا آنفا .

والعرب يراد بهم اهل اليمن في الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية كما فصلها الهمداني في صنعة جزيرة العرب ، والدولة المعينية هي اقدم من تاريخ بني قحطان بعد القبائل البائدة ، وليس هناك امة تسمى بالامة السامية ، انما هناك صلات لغوية بين طائفة من اللغات تدل على انها ترجع الى اهل واحد . وقد قسموا علماء اللغات الى شمالية وجنوبية ، وقسموا الشمالية الى شرقية والأشورية . واما السامية الغربية ، فهي اللغة الاوغاريتية والكنعانية التي تضم (الفينقية والعبرية) ثم اللغة الارامية .

وقسموا السامية الجنوبية الى عربية شمالية وهي الفصحى ، وعربية جنوبية وهي لغة بلاد اليمن وما والاها في الزمن القديم ، ثم الحبشة ، والمهد القديم لاهل هذه الامم هو الجزيرة العربية وسواد العراق وسورية في الهجرات على موجات يتلو بعضها بعضا في فترات متباعدة الى ديار ذات موارد مائية اهمها ما بين النهرين .

سكان سيناء وفلسطين ولبنان لايجوز الا ان يكونوا عربا

ان التنقيبات التي اجريت في فلسطين وسيناء بصورة قد اظهرت الاثار مما كان يربط الشرق بالغرب في شؤون التجارة عندما كانت هذه البقعة الجغرافية كما سطا فكتوريا في زماننا هذا نسبيا عن طريق البحر الابيض المتوسط التي تربط سواحل لبنان باوربا .. اذ نشأت فيها دويلات ذات شأن في الحضارة التي تقدمها الكتابة السامية يوم لم تكن السامية ذات مدلول لغوي وان اختلفت لهجتهم الشمالية عن الجنوبية وظل تاريخهم غير واضح حتى جاء القرن التاسع عشر قبل الميلاد فاخذت الوثائق تظهر نتيجة التنقيبات في الاثار لنشوء الابجديات والاثار التي لايزال تفسيرها غير كامل ولا مستقر عدا النقش المكتوب على تابوت الملك (احيرام) ملك بيبلوس الذي يرجع الى نهاية الالف الثاني قبل الميلاد .

هذا النقش الذي يشترك في شبه حروفه بالحروف السينائية الى حد بعيد وتبين لدى بعض المؤرخين الجدد الذين توصلوا الى معرفة تاريخ اختراع صوت مستقل لكل حرف بمفرده كابجدية (الف باء) في كل كلمة من الكتابة على هيئة ثابتة لم يتبدل اصلها المعروف خلال هذا الزمن الطويل في زمن كان العالم يغط في ليل من الظلمات بحيث نسي الناس فيه ما جاء به الانبياء الذين سبقوا المسيح وخفت فيه دعوتهم وتبعثر اليهودية حتى جاء المسيح لبث دعوته في الانجيل .

وبدأت الديانة النصرانية تنتشر في الحجاز واليمن مما اعد انتصارا للعربية الشمالية التي انبثقت في القسم الشمالي الغربي من الهلال الخصيب على العربية

الجنوبية (اي انتصار الابجدية الجديدة على الابجدية السامية الجنوبية السبئية الحميرية) التي كانت تكتب بخط المسند وفروعه . هذا ما توصل اليه علم المؤرخين حيث افتتح سبيلا جديداً فيه متسع من المعلومات لم يسبق ذكرها على مستوى متطور وان الدلائل قد دلت على ان العرب الشماليين امتدت قبائلهم بين شمال الحجاز وسورية وقد كشفت نقوش آرامية في تيماء والعلا بخط معيني وكان اللحيانيون ينزلون في دادان (العلا حاليا) وكتب الثموديون بهذا الخط الجنوبي في الصفا جنوبي دمشق في القرن الذي قامت فيه امارة النبط في (بطرا) واتخذوها حاضرة لهم وقد تحدث التاريخ عن كيفية تحضرهم واستخدامهم الارامية المعروفة اليوم في نقوشهم التي عثر عليها ويراها القاريء في كتابنا هذا اثر في اللغة كان يتكلم ويكتب بها ذلك الشعب العربي .

جدول الحروف الارامية والعبرية المعتمدة على الكنعانية السامية الشمالية .

كان في القرن ١٦ ق . م . ظهور اعظم الاقوام اثرا على الاشوريين وهم الاراميون وفي حوالي عام ١٢٠٠ ق .م . استطاعوا ان يزدهروا في تشكيل التاريخ الانساني بتأثير من الحضارة الحثية من جهة والحضارة المصرية من جهة اخرى (وكثيراً ما يسمى الاراميون ، بالسوريين ـ اي سريانيين) واحتلوا الطرف الغربي من الهلال الخصيب ، وهم الذين تعلموا الكتابة من الكنعانيين او الفنيقيين وهي اقدم انواع الكتابة التي استعملت حروفا ابجدية فقط بالقلم والحبر وهي الابجدية الجديدة وهكذا انتشرت الابجدية الفنيقية الارامية [انظر : هنرى برستد ـ انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم] .

جدول الحروف العبرية وارقامها العددية .

يكتب الخط العبراني ، كسائر اللغات السامية الهجائية ، من اليمين الى اليسار وكان هذا الخط يعتمد على الخط الكنعاني الذي اشتقت منه الخطوط السامية المتأخرة ، والخط الكنعاني من اختراع الكنعانيين انفسهم وحدهم ـ [عن كتاب : اللغة العبرية] .

اجل الاقلام للخط الارامي هو الاسطر نجيلي لبولص الرهاوي .

لقد ذكرت الموارد ان اجل الأقلام للخط الارامي المتأخر هو الاسطرنجيلي ويقال له (الخط الرهاوي) او الثقيل ، وقد استنبطه بولص بن عرقا او عنقا الرهاوي

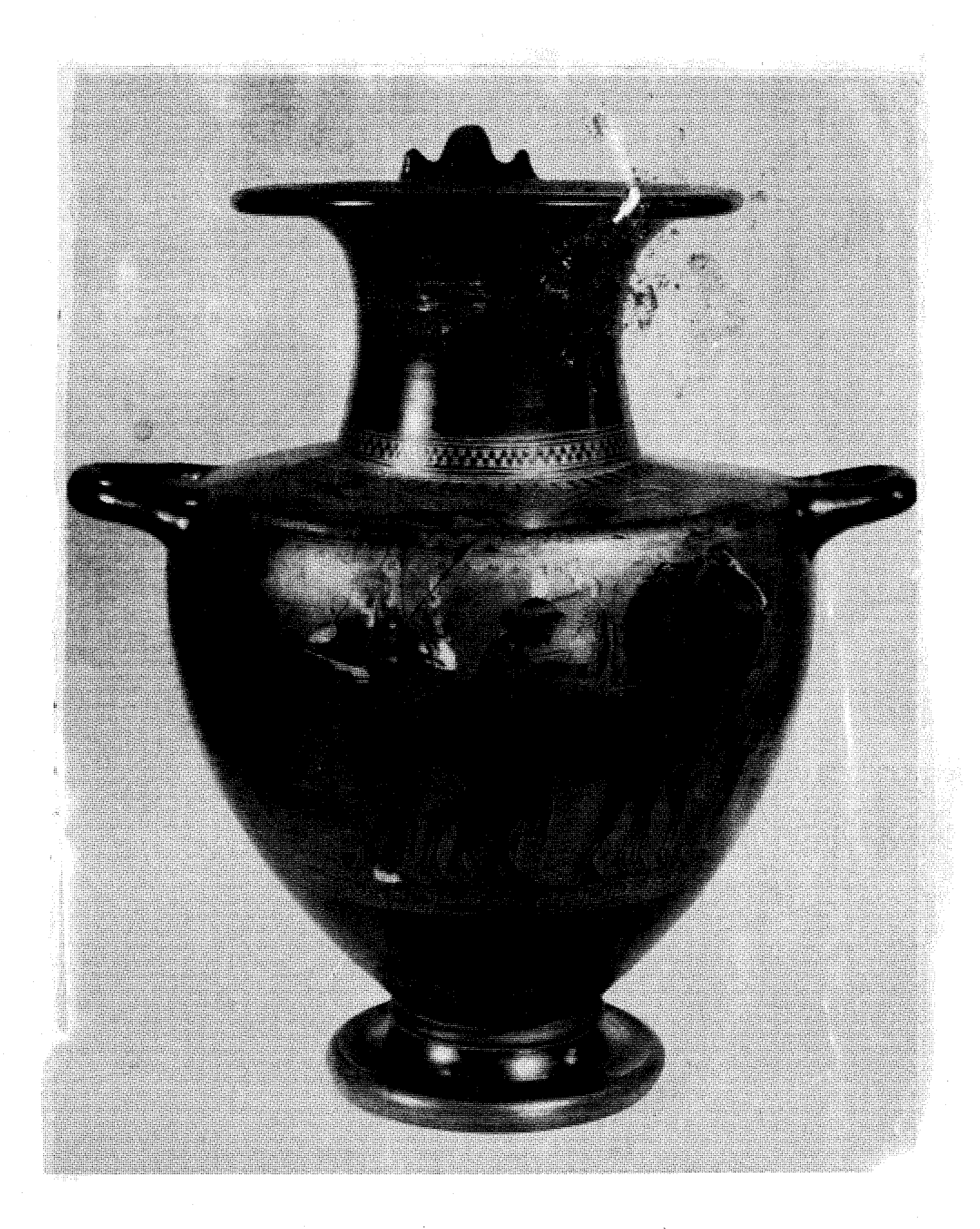
وداماستعمال الخط الاسطرنجيلي عند السريان الى سنة ١٤٠٠ ق.م . على انه قد نشأ منه خط سرياني اخر في القرن التاسع ، وهو الخط ـ السرياني الغربي الذي تطور نحو السهولة واحتفظ بالخط الاسطرنجيلي في تجميل رؤوس الفصول وفواصل السور في الاناجيل المخطوطة .

والاظهر من ذلك ان الخط الكوفي بعد ان اخذ بعض عناصر الخط النبطي كما نرى اثره في نقوش (زبد وحران) من نقوش الكتابات النبطية متأثرا بالخط الاسطرنجيلي واخذ رسومه عنه بدلالات علماء الساميات . واللغة السامية الارامية ورثت اللغة البابلية ولم ترث خطها المسماري . كما ان اللغة العربية اقرب اللغات السامية الى السامية القديمة .

يرى ارنولد توينبي ، ابرز فلاسفة التاريخ الحضاري في العصر الحديث في مجالات الدراسة التاريخية ان المجتمعات الحضارية المعروفة هي اقل المجتمعات البدائية التي وجدت واندثرت منذ فجر التاريخ البشري ، وربما ظلت بدايتها الاولى غامضة الى الابد ، فهي الحضارة السومرية والحضارة المصرية والبابلية والاشورية والحثية والسريانية والمينوئية والهيلينية والايرانية والهندوكية والهندية والصينية وحضارات الشرق الاقصى (الصينية ، الكورية ، اليونانية ، واليوقاتيفية والمايانية والمكسيكية والارثوذوكسية المسيحية الروسية) والحضارة الغربية .

Alphabet Chaldeen

Alphabet Syriaque



جرة برسوم تمثل هرقل ولولاس في عربة
مع آثينا ، ابولو وهرمز من اواخر القرن السادس قبل الميلاد

ويتابع ارنولد توينبي فيرتب الاحدى والعشرين حضارة في سلسلة متصلة ويظهر له في طرفيها نوعان مختلفان من المجتمعات وهما : نوع المجتمعات المتصلة بانساب حضارية قديمة وعددها على اختلاف طبيعة اتصالها خمسة عشر مجتمعا . ونوع المجتمعات غير المتصلة بانساب حضارية وعددها ستة وهي المصرية والهندية والسورية والمينوئية والصينية والمايانية .

ويعرض توينبي لبعض البيئات الجغرافية فيلاحظ ان تدمر والبتراء النبطية وفنيقية كانت تشكل تحديات طبيعية للنسب الحضاري ويقصد بها ان هذه الحضارات تتكلم بالعربية وتكتب بالارامية . ثم يستمر فيوضح في موسوعته [illegible]يخية التي استوعبت عشرة مجلدات ضخمة وبحث اهم ما حققة المجتمع [illegible] والعربي من منجزات حضارية عظيمة وهي اختراع الالف باء بحروف تقرأ [illegible] في يومنا هذا ...

[illegible]

[illegible] هيكل بعل ، طول كل ضلع من اضلاعه ٧٤٠ قدما [illegible]
[illegible] الفخمة الباقية [illegible]

[illegible]

(اهل تدمر وكتاباتها)

[illegible] النبطيون و[illegible] آثارا منقوشة [illegible] من اهل الحضارة [illegible] ممن تلاشي ذكرها بتقادم الازمان مثل (عوص مدين) [illegible] وغيرها _ فيرى المؤرخون ان كتاباتهم ولغتهم [illegible] اللغة [illegible] في التدمريين من حيث اصلهم ما [illegible] البادية من بقايا العمالقة كما ذكر ذلك ابن خلدون [illegible] وتدرجوا في مناصب الدولة حتى صاروا ملوكا [illegible] عربية واتخذوا لغة اهل الشام الارامية للمخاطبة [illegible] لغتهم صبغة عربية وهي بقايا الاعراب في [illegible]

مدينة تدمر ـ بعلبك .

سادت الهلنية في سورية وكانت اكثر الاثار الهلنية التي عثر عليها المنقبون تعود الى الفترة الرومانية واحسنها المعبد في مدينة بعلبك ويرجع تاريخ تشيده لعبادة الاله السوري «بعل» بين القرن الثاني الميلادي والقرن الثالث وكان بعل تمثالا ذهبيا تفوق آثاره اي اثار عثر عليها لعبادة الاله «جوبيتر ، ورفيقته عشتار» وهذه الدول ذات الاصل العربي والحضارة المتأثرة بالحضارة الهلينية هي دولة تدمر في الشمال ودولة الانباط في البتراء جنوب الاردن . ومدينة (تدمر) عرفت في عهد الاغريق باسم «بالميرا» .

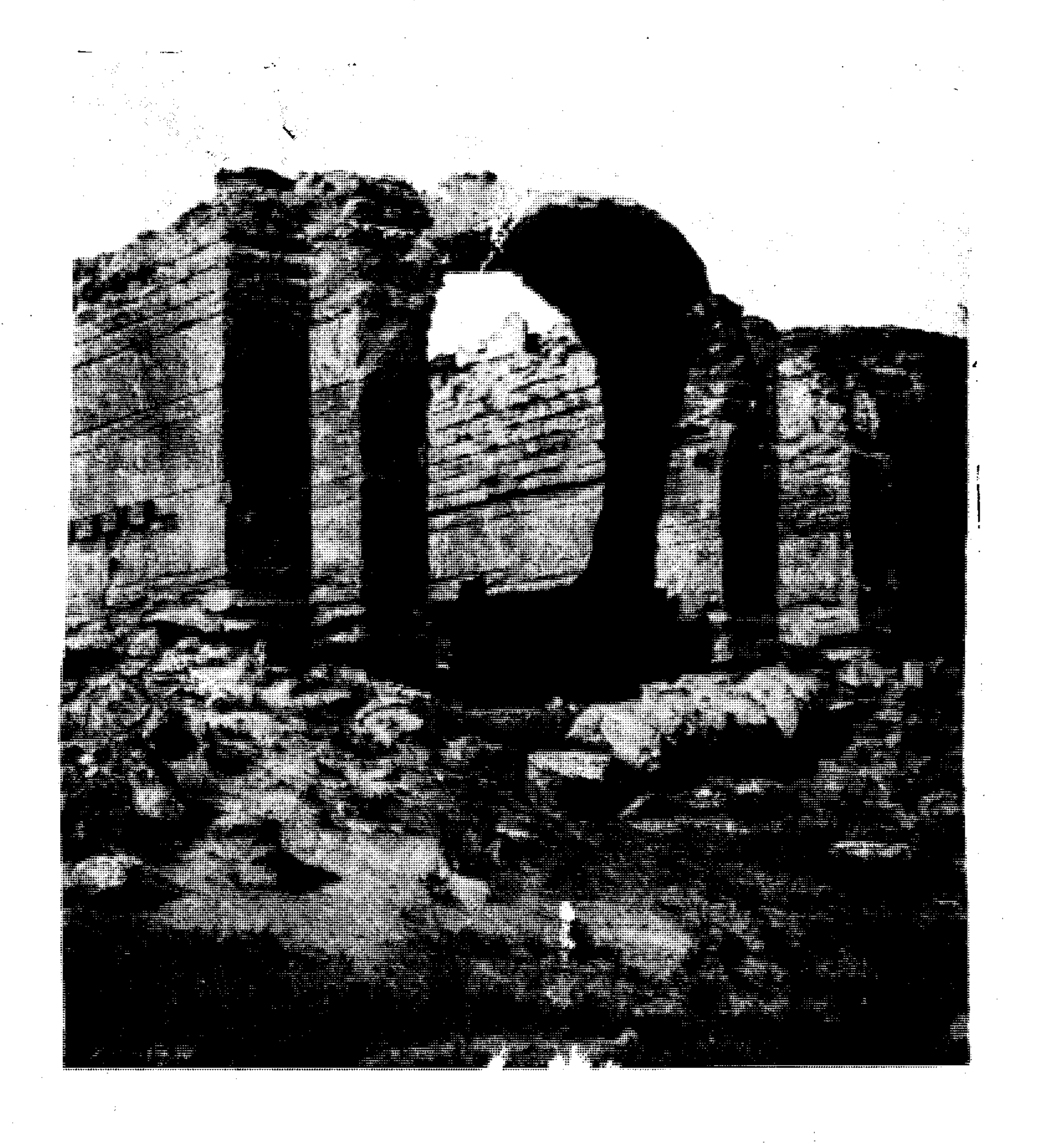
وكان يسكن هذه الاماكن الواقعة في قلب الصحراء السورية في اول نشأتها بعض القبائل العربية وساعدها موقعها المعتدل ان تصبح مركز القوافل [illegible]

[illegible]

[illegible]

مدينة [illegible] في قلب الصحراء .

[illegible]



بوابة واجهة مدينة الحضر

لعصر اكثر مطاطية وعالمية في اطـاره الفني والفـكري والعقـائدي حيث ولد في بلاد اليونان . الاسكندر المقدوني الذي غير الكثير من معالم التاريخ .

واهم نتائج غزو الاسكندر هو مزج التراث الشرقي بالغربي الذي يميل الى التحرر الفني بشكل اوسع من الشرقي . فـاولد الحضـارة (الهيلنية) الشـبيهة باليونانية . فانشأ الاغريق مستعمرات كثيرة في فارس وجنوب روسيا والعراق وسورية وآسـيا الصغرى وتركوا مدارس فنية عظيمة وفي عام ١٤١ ق . م . اثناء التوسع الفارسي كان الرومان في الغرب يعدون العدة لدحر خصومهم الفرس الفرثيين . واسـتمرت النزعة

الغنية العالمية انئذ فالمدن التي ساعدوا في انشائها كانت تتسم بطابع الاقتباس من ميادين مختلفة وقولبتها مع الذوق الخاص لتلك الاقاليم والاستفادة من تراثها الحضاري فانتجوا لنا بذلك مفاهيم معمارية جميلة ومن امثال تلك المدن مدينتا الحضر وطيسفون ومدن اخرى في العراق وقد استمر حكم الفرثيين للعراق حتى الغزو الساساني في القرن الثالث الميلادي حيث سقطت مدينة الحضر التي تركت وراءها تاريخا حافلا مليئا بالبطولات .

وفي الوقت الذي كانت مدينة الحضر تنتعش في العراق كانت دورا يورس وتدمر (بالميرا) وبلاد الانباط (ابطرا) هي الاخرى تشيد صرح حضارة عربية ضخمة متجاوبة في مفاهيمها الفنية والعقائدية مع الحضر وهي مدينة مدورة . كتبوا بالارامية التي كانت لغة الدولة آنذاك . واسم الحضر من الارامية (حطرا) اي مدينة الشمس وتشير المصادر الى ان الحضر قد تمكنت ان تنال قسطا وافرا من الاستقلال في الفترة الفرثية وحكمها الملك سنطروق الاول الذي لقب نفسه (ملكاوي عرب زكيا) اي ملك العرب المنتصرين .

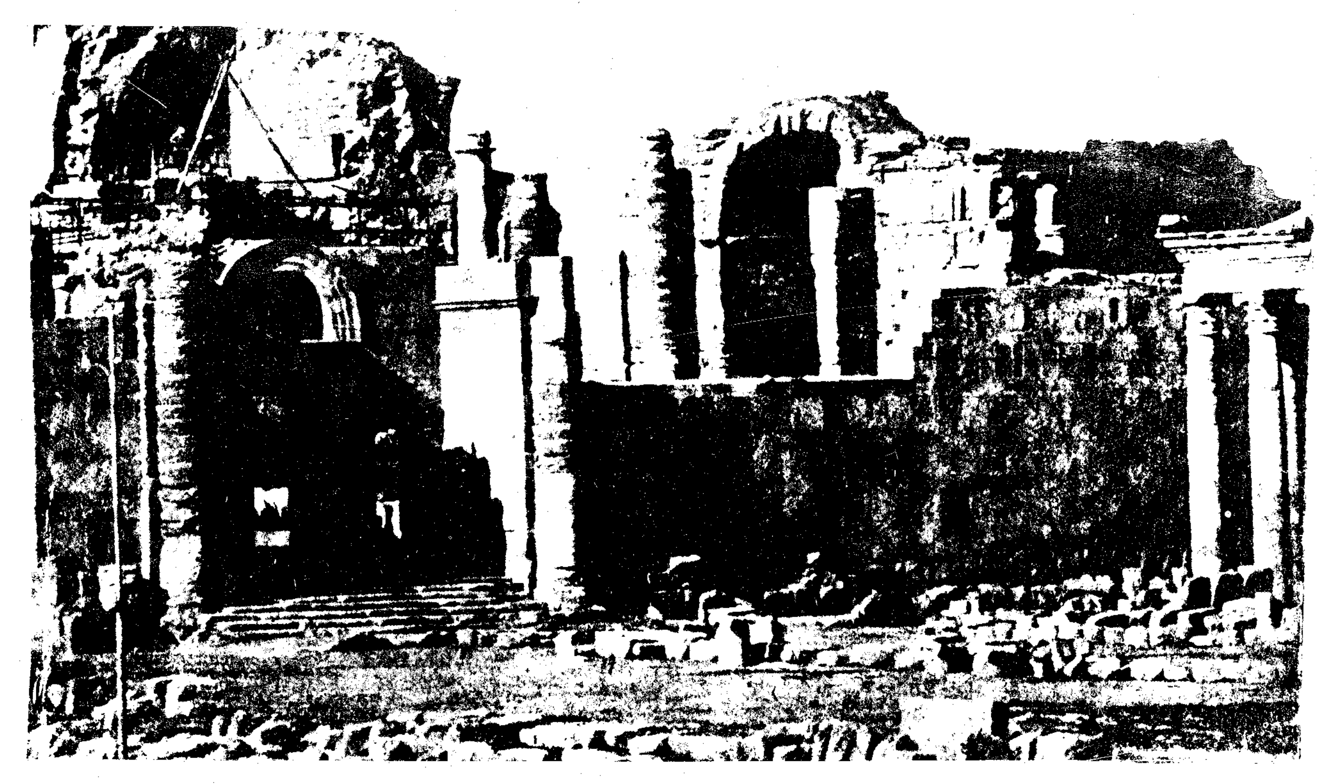


تمثال كبير من الرخام يمثل الاميرة دوشفري في ... الحضر .

نص الترجمة بتصرف : هذا تمثال المنتصر ، قريب الاله ابن عبدسميا الملك : اقاموه له .. يهبرمرين والكود ابناء شمشبرك بن الكود شمشبرك بن الكود وذريتهم وابناء يهبر مرين والكود الافريون والابعدون الذين في الخارج وفي الداخل بـ (اسم) سيدنا النسر ويماكونه وبالهة الخطوط العائدة الى العرب ، والاله سميا العائد الى الرعاة البدو (او الى اقليم مشكنة) وبالهة الخطوط العائدة الى الملك سنطروق الملك مذكورين (بخير) الى الابد في مدينة الحضر واقليم عربايا .



شكل كتابة منقوشة على المرمرة من احد معابد الحضر بالخط الارامي .



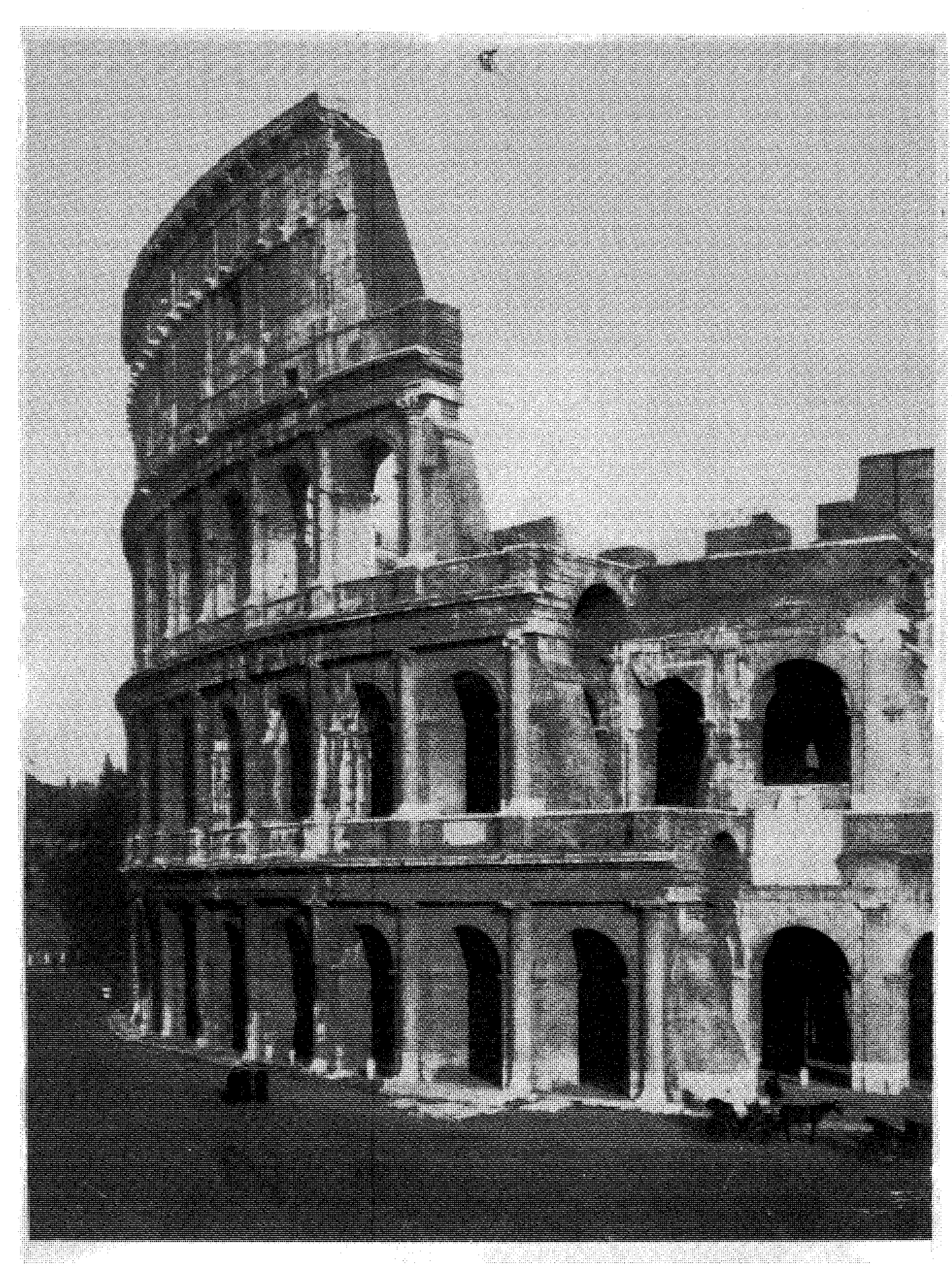
(صورة من الواجهة المتبقية من مدينة الحضر) يستعين بها القاريء على فهم الحضارة الهجينية الهيلينية التي ترينا شيئا من الحضارة الاغريقية وفنونها المعمارية .



رأس تمثال سنطروق احد ملوك الحضر

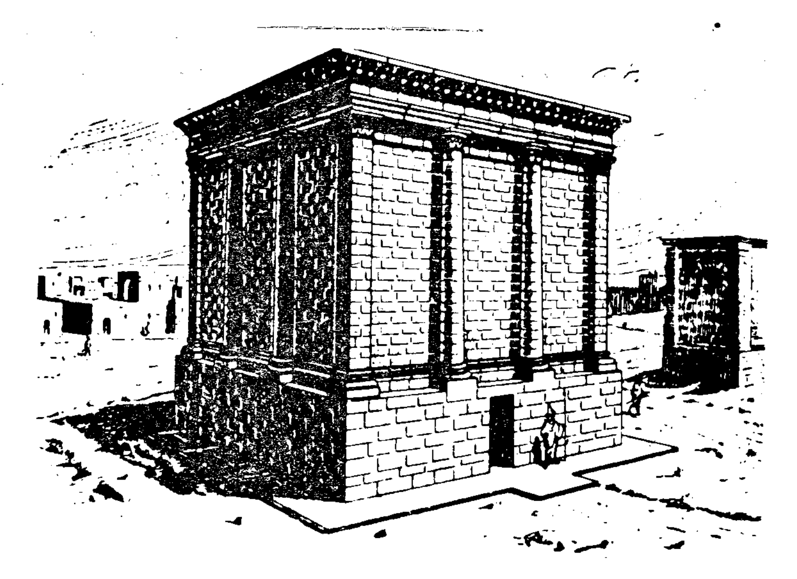


ثلاث نسوة واسد من معبد في الحضر



ROMAN. The Colosseum, Rome. 72-80 A.D.
Photo

روماني : الكولوسيوم ، روما ٧٢ ــ ٨٠ ن . م



احد المدافن من قور مدينة الحضر التي لاتزال شاخصة قرب المعبد الكبير في الجهة الشرقية لقد بنيت هذه القبور بصورة عامة بشكل يقرب من الشكل المربع وهي متألفة من طابقين مع عدد من الغرف التي تسقفها الاقبية الاسطوانية مبرزة المدانيك العليا وبعضها مزود بنوافذ طولية . كما توجد بوابة صغيرة تسمح للترحال الى الاسفل ، وسلم داخلي يربط الطابقين تبلغ مساحة الخارجية ١٢ × ١١ مترا وبامكان الزائر للمدينة مشاهدتها في اماكن مختلفة .

من منتجات الحفريات

روى الطبري ٣٧/٢ مما ذكره النسابة هشام بن محمد بن السائب الكلبي انه كان يقول (كنت استخرج اخبار العرب وانسابهم وانساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ اعمار من ولي لكسرى وتاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة) واورد ايضا ان النعمان ملك الحيرة كان قد امر فنسخت له اشعار العرب في الطنوج وهي الكراريس ثم دفنها في قصره الابيض ، فلما كان المختار بن ابي عبيد قيل له ان تحت القصر كنزا فاحتفره فاخرج تلك الاشعار ، كما ايد هذا ابن جني في كتاب الخصائص ٣٩٣/١ وفي تاج العروس ٧٠/٢ ايضا .

وقيل ان النعمان كان عنده ديوان فيه اشعار وما مدح به هو واهل بيته فصار ذلك الى بني مروان كما جاء في طبقات الشعراء وان النصر بن الحارث الذي كان يعارض الرسول (ص) كان يحدث اهل مكة باخبارهم معارضا رسول الله ، ويقول اينا احسن حديثا انا ام محمد ؟ كما جاء في لسان العرب وتاج العروس والخصائص لابن جني . ولا نعني بملاحظاتنا نكران وجود الكتابة في الحجاز او اليمن وقد ورد في الكتب الكنائسية اسماء رجال من اهل الحيرة ، ويكاد يكون اكثر ما دون عن الغساسنة في المؤلفات مأخوذا عن اخبار اهل الحيرة .

واما ما وجد في جبال مكة المكرمة من نقوش على الصخور بالكتابات القديمة على حارة الباب ففي مواضع شتى ، غير انها زالت على تراخي الأيام والسنين حيث الناس يكسرون الحجارة فينقلونها لاستعمالها في بناء البيوت لجودة الصخور وصلابتها عند التجديد والترميم واما الكتابات التي عثر عليها منقوشة بالخط العربي القديم في جبل (سلع) فيرجع عهدها الى زمن الصحابة الكرام ، وكذلك رأى اهل المدينة كتابات اخرى منقوشة بوادي (العتيق) . قرب بئر عروة في الطائف وكذلك نقوشا في جبل يبعد عن المدينة بنحو ساعتين بسير السيارة على يمين الداخل للمدينة .

وقد ذكر البحاثة الشيخ عبدالقدوس الانصاري انه وجد خلال رحلته عام ١٣٥٤هـ في جهة الحمي التي تبعد عن المدينة نحو سبع ساعات بالسيارة نقوش كتابات ورسوم حيوانات كثيرة على الصخور الجبلية . وكذلك عثر الباحث حمزة صقر بأطراف المدينة وجهات شعيب الذيب وفي جهة الزهرة في ضليع المجنة وجهة الصويدر كتابات كثيرة . ويؤكد المستشرقون ـ اويتنغ ، والفنسون وغيرهم ان مراكز بلاد الحجاز الاصلية (مكة ، المدينة والطائف) غنية بالاثار العربية على الاحجار وصخور الجبال مما لم يكشف للان .

الروانف

ذكرنا في ما تقدم ان الخطوط السامية التي اشتقت من الستائية تنتهي الى حرف (قرشت) وعددها ٢٢ حرفا . ولكن لما كانت اللغة العربية تحتوي اصواتا لحروف لا توجد في اللغات الاخرى وهي (ث خ ذ ض ظ غ) فقد رأى العرب القدماء الذين كتبوا بحروف المسند ، ان اللفظ العربي لا يصح الا باضافة هذه الحروف التي تتميز بنقطها عند كتابتها بنقطة زائدة في اعلاها (هذا ما كان في الحروف السامية الشمالية ، اما في حروف المسند فليس فيها نقط مميزة) وقد اكدت صفحات من التاريخ انه لا يعقل ان ترسم صورة او ينقش رمز لحرف واحد لصوت معين ما لم يكن سبق ان تعرف على نوع متطور ومدروس درسا جيدا من اساليب التهجي التي الفها البشر ، وصاحب تفكيرهم الاقدم لابراز النطق المكتوب باصوات قد اطلق العلماء «حروف» الف باء ابجدية وهي ذات الاسماء المعلومة .

هذا وان البحوث العلمية التي قام بها المستشرقون والرواد تدل على انكارهم ماروواه العرب من الاخبار وجانبهم الحق في كثير من تلك الروايات التي اتهموا العرب في صحتها وانكروا حقيقتها مثل اخبار الارقم ملك العمالقة وهو ممن عاصر النبي موسى .

شكل ١٩٧

حروف الهجاء المفردة مستخلصة عن كتابات بردية مختلفة لخطوط التحرير المحققة نقلا عن دليل فينا سنة ١٨٩٤ .

وانني لارجــو ان تدعو الاخبار العــربية لدى الباحثين المعينين بتاريخنا الاول بمستندات ثبوتية لم تصل الى علم المستشرقين من بقــايا كتب الطبقــات وشــواهد القبور والاثار الاسلامية .

سيما ان هناك مزيداً من التنقيب لازال ينتظر المكتشفات قد يجدها العلمــاء مبعثرة هنا وهناك تربط حلقات الخطوط العربية والمسمارية والحميرية التي عجز الباحثون عن ردها الى اصولها . وقد يوفقون الى اماطة اللثام عن تلك الغوامض والكشف عن حقائق لا زالت مطمورة بين طبقات الرمال في الصحاري العربية وهــي منثورة على طريق الهجرات والتحولات ما بين بلاد النهرين ووادي النيل وبلاد الاناضول ، فضلا عن كونها هامة للمتاجرة في تلك العصور القديمة .

ان الموارد العربية التي تعرضت لشخصية الخــط العــربي تحتمــل عدة وجـــوه متشابهة الجذور والاستدلالات عن الاشــخاص العــرب الذين لم نعــرف عن درجــة كفاءاتهم شيئاً بحيث اســتطاعوا وضــع الاشــباه والنظـــائر في التيارات الكتابية واتموها بالروادف فصاروا الشخوص القــائمة ابدا في تاريخ ادب الخــط العــربي الخالد .

اننا لا نعلم كيف ومتى كان وضــع الروادف على وجــه التحقيق ولاكيف تســـنى للعرب وضع الاشباه والنظائر قبل هذه القرون الموغلة في القدم وهــي فــكرة جنابية تتراءى لنا من خلال حجب الماضي السحيق ولم يتطرق اليها التاريخ المكتوب بل ربما تطرق اليها التاريخ . فيما سجله من حوادث واثار منقوشة على الاحجار في اطــراف الجزيرة العربية وأقرته الدراسات التجــريبية وتحــدثت عن الاخبار المتواترة مــن منقول ومعقول من جيل الى جيل بالحدس والتخمين الذي يقــره العقــل حتى جــاء

الزمن الذي استندوا فيه على مادونوه قبل الاسلام وفي صدر الاسلام . وقد انشقت بفضل الخط العربي علوم كثيرة لها اثرها في الحضارة العالمية وقيمتها الانسانية ومنها علوم مقارنة الخطوط او علم الخطاطة وعلم الاشتقاق وغير ذلك وهي افكار مستوحاة تمثل التطوير بصورة او باخرى من القوالب .

ولكن المستشرقين عمدوا الى مذهب مضاد في تفسير الروايات والعلوم العربية ومنها الخط العربي وحاولوا بطرق شتى التشويش على كل ما يمت للعرب بصلة فيما يخص الجزيرة العربية التي باركتها السماء وكانت مهدا للانبياء لغاية في نفس يعقوب من حقد وتحيز وان كان لدينا حجج علمية في وسعنا طرحها لطرق الحجة بمثلها وليطلع عليها الناس وماذا ينفع التصديق والتكذيب والقوم اوصلوا الانسان الى الافلاك وكل ما لديهم تقدمهم في العلم يدعمهم في الحجة حاليا – ان الموارد العربية تقول : ان نفيسا ونظرا تيماء ودومة بني اسماعيل وضعا كتابا (اي كتابة) واحدا وجعلوا سطرا واحدا موصول الحروف ، كلها غير متفرق ، ثم فرقة بنت وهميسع وقيذار (و هؤلاء جماعة ربما كانوا اكاديميين) وفرقوا الحروف وجعلوا الاشباه والنظائر .. (ربما كانت تلك الحروف المتفرقة هي السامية الشمالية او السينائية القديمة) التي وصلت الينا مؤخرا ، وهي رواية لها خطورتها من جعل الحروف مفردة وبهذا العمل الفني العلمي الذي لا يقوم به الا العارفون بتيارات الحروف في أزمانهم . ربما كانوا كالكنعانيين او الفنيقيين في اختراعهم ووضعهم مما لا يتيح الا لمخترع برسوم حروف لها اصواتها كالخطوط التي اطلق عليها الاثاريون اسم (السينائية الجديدة) وغيرها وذلك بالتجسس تارة وعن طريق الاصابة والاخطاء والتكرار وامحاء الرسم تارة اخرى توصلوا الى ميلاد خط من العربي القديم من نتاجهم . ان ذلك عمل عبقرية على درجة عالية من الكفاءة . وهكذا استطاع الانسان العربي ان يقارب بالرسوم شكلها الذي يقرأ ، وهي قفزة فكرية انتجت الكتابة العربية كالقفزة التي حدثت عند الشعوب الاخرى في الشرق الادنى لا يملكها الا الموهوبون الأوحدون النين توصلوا اليها بالتحوير والتعليب والتدوير والتحديب والتقويس في رسم تلك الحروف العربية الاولى ، ولا يمكن ان تعزى تلك القفزة الجبارة لشخص واحد كما قالت الروايات العربية وانما قام بها افراد متعددون وكان ذلك قبل مجيء الاسلام بازمان بعيدة ، وليس كما تكهن المستشرقون بان اصل الخط النبطي هو الخط العربي الذي استندوا على رواياتهم في ولادته قبيل الاسلام وذلك باستقراء النقائش القبرية لامرىء القيس والنمارة وغيرها من مستندات عثروا عليها . وفي هذا تسرع في التنكر وجحود لتاريخ التنقيبات الحضاري واستخفاف بحقائق غمرها الزمان الطويل واصبحت التكهنات في جانب المستشرقين اقوى من الحقائق التي اخنى عليها الدهر . وليس كل ما صنعته البشرية وتوارثته من كتاب او اثر قد بقي سالما من البلى ووصل الينا في يومنا هذا كما نشأ اول مرة .

ان في استمرار التنقيبات وتقارب المنصفين الى الحقائق التي ستظهر – ولا بد ان تظهر الحقيقة – ناصعة بيضاء ، وان تروشقت بنبال الاراء على المدى القريب والبعيد .

بسم الله الرحمن الرحيم	ب س م ا ل ل ا ه ا ل ر ح م ا ن ا ل ر ح ي م
لنسم بغوث بن جسم الوعل	ل ت م ي غ ث ب ن ح ش م ه و ع ل
بسم الله الرحمن الرحيم	ب س م ا ل ل ا ه ا ل ر ح م ا ن ا ل ر ح ي م
لبود بن اصلح بن انعم بن محلم بن ربال ود معن وانا رهن	
يطهر انه دعاء على من يطمس الكتابة	وعور وعرج وفات بودد الذي يعور الخط

لا تكاد تخلو بقعة في جنوب الجزيرة العربية او قلبها الصحراء او شمالها من كتابة نقشية تذكارية كتبها اهلها القدماء يذكرون فيها اصحاب قبور موتاهم ويتضرعون لالهتهم ان تحميهم وقد يودعون في نصوصها قوانينهم واسماء آلهتهم وبذلك عرفنا حضاراتهم وثقافتهم وشيئا من دياناتهم وما اتصل بهم من تطور عبر العصور .

وقد عرف الاكديون في العراق بخطهم المسماري ، بينما عرف في الجنوب المعينيون والثقبانيون والحضرميون واهل اليمن بخطهم الاقدم (المسند الحميري) ومنه نشأ الخط الحبشي في الحبشة وعرفت خطوط مشتقة من الخط المسند الحميري كما نرى في الجدول هنا عربية للهجات الشمالية القديمة وهي اللحيانية والثمودية والصفوية .

واللحيانيون قبيلة عربية شمالية ، كانت تسكن في منطقة العلا ومنهم من يرجعهم الى القرن الاول ق . م . ومنهم من يستعملون «ها» اداة للتعريف بدلا من (ال) التعريف وقد اختلف في تاريخهم ، فمن الباحثين يتأخر بهم الى ما بعد الميلاد ، بل منهم من يتأخر بهم الى القرن الخامس ، اذ تلاشت قبيلتهم في قبيلة هذيل . وعدهم الهمداني من بقايا جرهم ، ولعله يشير الى صلتهم باهل اليمن المعينيين اهل الخط المسند .
اما الثموديون فيعود تاريخهم الى ما قبل الميلاد بعدة قرون ، وقد وجدوا الى ما بعد الميلاد وكانت ديارهم في الحجر (مدائن صالح) وكان من بني قوم ثمود (صالح) الذي ذكر في سورة (الفجر) : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد) ويظهر انهم اصيبوا بكارثة سماوية وفي القرآن الكريم (فأخذتهم الرجعة فاصبحوا في ديارهم جاثمين) . وتفيد دراسة الكتابة العربية وتطورها في الجزيرة العربية من هذه الناحية قبل الاسلام . ويرى المؤرخون ان العرب كانوا في (مدين) نسبة الى مدين بن ابراهيم عليه السلام وقد ذكروا باسم ثمود وملأوا الارض بين بصرى وعدن في عهد (سرجون) كما ذكر في فتوح الشام ان ثمودا قد فقدت الموارد فظلموها . وفي سورة القصص (ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ..) وقد ذكر الهمداني بانها من الحجر الى تيماء موضع السموأل في دهناء ثلاث مراحل . وخطهم مشابه لخط اللحيانيين والصفويين تقريبا ولهجتهم كلهجتهم ايضا والكتابات الصفوية عثر عليها في الحرة الواقعة بين جبل الدورز وتلول ارض الصفا . وكلمة الصفويين لا تعني شعبا وانما تعني تلك الكتابات التي عثر عليها وانها لهجة عربية قديمة كتبت بالخط المعيني المسند . وكثير من نقوشها يرجع الى القرون الاولى للميلاد . ولكن خصائصها قريبة من خصائص العربية الفصحى في بعض الصفات اللغوية المتطورة ومن المروي انهم هاجروا بتأثير ظروف اقتصادية وسياسية بعد ضعف الدولة الحميرية وظهور مملكة الانباط التي استخدمت الخط الارامي .

ولما سقطت مملكتهم وتفرق اهلها وتداول الايام شمالا وجنوبا في الجزيرة العربية على طول طريق القوافل التجارية ، تطور قلمهم النبطي ايضا الى السينائي الجديد (العربي القديم) الذي تطور اخيرا الى العربي كما رسمه العالم د . ديرنجر في الجدول السابق .. ويظهر انهم تفرقوا بعد ذلك في العرب وكانوا يتكلمون في احاديثهم اليومية العربية لانهم كانوا عربا . وهناك نقوش وثائق شبه متضاربة في هجر عرب الحجاز القلم المسند المعيني ومحاولتهم النفوذ من الخط النبطي الى خطهم العربي الجديد الاخير مطورين به ضروبا من التطور حتى اخذ شكله النهائي الذي ذكرناه في الجدول الذي رسمه العالم د . ديرنجر .

[كتابات من جدول الخطوط الجنوبية الاربعة المتفرعة من المسند]

واذا رجعنا الى تاريخ اللغات السامية تبين لنا ان الاعراب خاصية سامية قديمة

تشترك فيه مع العربية (الاكدية) ، كما تشترك في بعضه الحبشية وغيرها من اللغات السامية . فمن الخطأ الفاضح ان يدعي زاعم ان الاعراب كان مهملا في لغة قريش ، وان علماء الساميات عدوا اللهجات الثمودية واللحيانية والصفوية (والارامية النبطية) لهجات عربية قديمة كتبت بخطوط متفرعة من المسند والنبطية كتبت بالخط الارامي ونقوشهم مثبوتة في الطائف وطور سيناء ومصر ووادي الحمامات . وهذه النقوش تعود للعرب الشماليين ، لان لغتها لغة شمالية ، وقد كثر تفصيل هذا البحث ولمن اراد الاستزادة في فصول كتاب الدكتور شوقي ضيف ـ الى ص ١١٣ .

افضل منطلق للبحث في الالفباءات السامية الشمالية الحديثة .

في الربع الاول من القرن العشرين من هذا العصر لم يكن متوفرا لدينا من المعلومات عن الكتابات الاثارية الاصيلة في كل من سورية وفلسطين سوى النزر اليسير وغير المركز علميا . ويقول الباحثون لعل من افضل منطلقات بحثنا هذا هو الابجدية السامية الشمالية التي كانت الى وقت قصير الكتابة الوحيدة ذات الاحرف الهجائية الالفبائية التي يمكن نعتها والتعرف عليها بتسمية (كتابة ابجدية) . فقد كان لأكتشاف حجر (ميشن) في عام ١٨٦٨م دور كبير في تأكيد وجود كتابات ابجدية بحروف سامية في ذلك العهد . ولم يثبت وجود اية كتابة نقشية سامية اخرى اكتشفت فيما بعد لاية كتابة اسبق من ذلك التاريخ حتى جاء عام ١٩٣٢ الذي عثر فيه العالم الفرنسي (ب مونتيه) على كتابات تابوت الملك (احيرام) في (بيبلوس) ـ جبيل ـ عاصمة فنيقيا المدونة بلغة عرفت منذ ذلك التاريخ بانها الكتابة السامية الشمالية .

اما العالم د . ديرنجر فانه يؤكد بان مكتشفي او مخترعي الابجدية قد تأثروا بالهيروغليفية المصرية ، ولكن ما يثير العجب هو انعدام وضوح هذا التأثر او الظن غير المؤكد الى اقصى الحدود لاثبات ذلك . على انه يجب ان لا يستبعد ان فكرة اختراع وخلق صوت لكل حرف مفرد يمثل رمزا مستقلا لحرف ثابت مثل (ا ، ب ، ج ، د . الخ) ماهو الا نوع من العبقرية الشاذة التي لا يملكها الا عباقرة موهوبون مفردون مثل العالم (نيتن) في فلسفته التي مؤداها (ناموس الجذب العام) القائلة بان الاجرام السماوية مقودة بقوة خالق وجذب عام تمسكها فيما بينها على نسبة كل جرم منها بحيث تقوم المجموعات الشمسية المالئة لفضاء الكون على حالة توازن .
ولعل في هذا ما يدعو الى تمحيص الاراء التي تنسب الى الحروف العربية اسرارا خفية جعلت من نظرية التوقيف شيئا سماويا .

من مكتشفات بعثة (وندل فليبس) لمكتبة الكونغرس في واشنطن

ان تسمية الخط السينائي يتبين ان اشتقاقه من شبه الجزيرة المذكورة .

وقد شيد هذا الدير الذي بناه الأمبراطور جستينان الكبير في سنة ٥٤٠م . وقد ورد اسم طور سيناء في القرآن الكريم . وترينا الصورة الثانية هنا المنارة وفي اعلاها الهلال وهي رمز المساجد وهي تجاور الكنائس مما يدل على تعايش الاديان السماوية كما قال تعالى : (لكم دينكم ولي دين) .

ان دير طور سيناء يضم مكتبة كانت موضع الاهتمام في مختلف العصور في نظر جمهرة المستشرقين في انحاء العالم لما تحويه من المخطوطات العربية المحفوظة فيها حتى تولدت فكرة مشروعات الكشف عن دقائقها . فقامت بعثات عديدة للاضطلاع بذلك ، منها البعثة الروسية في القرن التاسع عشر ، ثم البعثة الالمانية قبل الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ وكان على رأسها (مورتز) وفي اخرها كانت البعثة الامريكية برئاسة (وندل فليبس) في سنة ١٩٤٨ ، فاستطلعت كنوز المكتبة وكان حادث مأساة سرقة المخطوط اليوناني للتوراة السينائية لا يزال يراود مخيلة الرهبان من تكراره الامر الذي ادى الى حمله الى قيصر المانيا ثم الى قيصر روسيا الذي باعه للمتحف البريطاني بمبلغ مائة الف جنيه استرليني ذهبا في ١٩٣٣ .

وهذه التوراة تعتبر اقدم مخطوط يوناني كامل على رق الغزال من القرن الرابع الميلادي ويظن انه ضمن المجموعة السبعينية التي امر قسطنطين الاول بنسخها بالاسكندرية لتوزيعها على كنائس المسكونة عندما اصدر مرسوم ميلان سنة ٣١٣م . باعلان الديانة المسيحية ديانة الدولة الرسمية .

واستمرت المفاوضات بين اعضاء بعثة وندل فليبس في عام ١٩٥٠ وقامت لجنة بتصوير المخطوطات بالمايكروفيلم تتألف من حوالي عشرين عالما . وكان من بين دواعي العجب انهم وجدوا الدير ما ينوف على الخمسة الالف كتاب ووثيقة مخطوطة في اثنتي عشرة لغة وهي :

اليونانية ، العربية ، السريانية ، الجرجانية ، الارمنية ، الصقلية ، الاثيوبية ، القبطية البولندية ، اللاتينية ، الفارسية والتركية متراكمة على مر القرون منذ تأسيس الدير في عهد جستنيان الكبير في سنة ٥٤٠م .

نص بخط عربي من مخطوط قديم فريد من القرن الاول الهجري .

هذه الصفحة من المخطوط العربي الذي كشفته بعثة وندل فليبس في المشروع الذي تكون في مكتبة الكونفرس بواشنطن وجامعة الاسكندرية ومؤسسة دارسات الانسان حوالي ١٩٤٩ ــ ١٩٥٠ بجهود عشرين عالما ومساعد فنيا ومصورا . وهذا الكتاب العربي الذي كشف سنة ١٩٥٠ سمي باللاتينية codex Arabicus مكتوب على رق ثم ازيلت منه الكتابة ومسحت بالمحك بالحجر واعيدت كتابة نص اخر عليه بدلا عنه لقلة ادوات الاستنساخ وقتئذ ، وانه بلاشك يسبق تاريخ تاسيس الدير الذي يتاه الامبراطور ــ جستنيان تاسيس الدير الذي يتاه الامبراطور جستينيان في سنة

٥٤٠م . وحين نقرأ تاريخ النص الاخير منه نراه يعود لاواخر القرن الثامن واوائل التاسع الميلادي ثم اننا اثبتنا ان كتاباته تتألف من خمس طبقات منها اثنتان بالسريانية وواحدة باليونانية واثنتان بالعربية ، وربما كانت الطبقة الاولى فيه من القرن الخامس او السادس الميلادي .

والطبقة العربية السابقة للطبقة الاخيرة من القرن الاول الهجري فهو بهذه الصفات يصبح فريداً من نوعه ، وقد رقم بعدد ٥١٤ في الفهارس ونشرته مجلة (الاخبار) الامريكية سنة ١٩٥٦ . ويعتبر من اهم مخطوطات مكتبة دير طور سيناء .

من اهم مخطوطات مكتبة دير طور سيناء

صفحة مكتوبة بخط سرياني (سطرانجيلي) من المتحف البريطاني مترابطة الحروف من القرن الخامس الميلادي . تحت رقم وهي من دلالات دراسات علماء الساميات الذين يقرون اشتقاق الخط الكوفي من السرياني السطرانجيلي .

(٢) (١)

١ ـ انا الخون ـ دالا
٢ ـ تشخلون بغره دوره
٣ ـ دنا شاونشتون دمثه
٤ ـ ليت لخون حيى بخون
٥ ـ ومن داخل يخر وشاتى
٦ ـ ريم . ايث ليه حيى
٧ ـ دلعالم وانا
٨ ـ أقيميو بيوما
٩ ـ حرايا بغر شريرائيث

١ ـ بخننو شتا . (٢) كذ قلب
٢ ـ بخيره ثا حوم وسكيئى
٣ ـ من تلميذاو كد
٤ ـ شمع . امرينو او
٥ ـ قشياى ملثا

مبتدا بتوسط مختتم

fin.	med.	init.		fin.	med.	init.	
			א				ל
			ב				מ
			ג				נ
			ד				ס
			ה				ע
			ו				פ
			ז				צ
			ח				ק
			ט				ר
			י				ש
			כ				ת

Abb. 8. Das kūfische Alphabet bei U. F. Kopp, Bilder und Schriften der Vorzeit II (Mannheim 1821), S. 290.

حروف الفباء سرياني (ابجدهوز)

هنالك شواهد واقوال ادبية تقول ان المشابهة بين الحروف الكونية والسريانية أقوى واوضح من للتشابه بين العربية والنبطية ، ومن الخطوط التي تأثرت بالارامية الخطوط التدمرية والنبطية وهذا ما لايشك فيه خبراء اللغات من المستشرقين .

والكوفية

عربية بخط سرياني

ايها الابناء اطيعوا اباكم في ربنا . فان هذا ابر واتقى . وهذه الوصية الاولى

سطر كتب بخط سرياني وتحته نصه بالخط العربي

الترجمة العربية لنص النقش :

كتابة نقش :

١ ـ من قبر رجل اسمه عايد بن كهيل بن .

٢ ـ القسي لنفسه واولاده واعقابه ولمن يكون في يده

٣ ـ كتاب من يد عابد يبيع له ولاي واحد يخوله عايد في حياته ان يدفن فيه .

٤ ـ في شهر نيسان السنة التاسعة للحارث ملك .

٥ ـ الانباط محب شعبه ولعن ذو الشرى وفتاة وقيس .

٩ ـ حسب القاعدة التي يقدسها الانباط والسلاميون الى ابد الابدين .

النص النبطي بالكتابة النبطية .

١ ـ دنه قبرا عيدو بر كهيلو بر .

٢ ـ الكسى ه وبلده واحده ولمن بدي ينفق بيده

٣ ـ كتب تقف من يد عيدو قيم له ولمن دي ينترن وبقبر به .

٤ ـ عيدو بحيوهي بيرح نيسان شنة تشع لحرتث ملك .

٥ ـ نبطورحم عمه ولعنو ذو شرا ومنوتو وقيبشه .

٦ ـ كل من دي يزين كفرا دنه او يزين او يرهن او يتنن او .

٧ ـ يوجر او يتالف علوهن كُتب كله او يقبر به انوش .

٨ ـ لهن لمن دي علا كتيب وكفرا وكتبه دنه حرم .

٩ ـ كحليفت حرم منبطو وشلمو لعلم علمين .

وكانت لغة كلام الانباط عربية وكتابتهم (آرامية) في باديء الامر واللغتان مرتبطتان باللغة الام القديمة (البابلية) التي كان يتكلمها اوائل من كتب بالخط المسماري . ويقول المؤرخون ان النبطيين فرقة من عمالقة العراق . وفيها كتبوا بالحروف الارامية التي تميل الى التربيع ومن سلالتها التدمرية التي نراها في لوحها هنا .

ولم يتحرر الخط العربي من هيئة النبطية بحيث يصبح خطاً قائماً بذاته الا بعد ان استعاره العرب الحجازيون لانفسهم بقرنين من الزمن . وما تزال في الكتابة العربية حتى يومنا هذا في بعض الاقطار . وفي كتابة المصاحف بوجه خاص ، آثار نبطية لم يستطع ان يتخلص منها الخط العربي على طول الزمن . والثابت ان ظاهرة الكتابة العربية قد تم انتقالها الى بلاد العرب بين منتصف القرن الثالث الميلادي ونهاية القرن السادس الى صورته التي نراه عليها الان وكان بداية ذلك الانتقال الى عرب الحجاز مع التجارة التي يمارسها القرشيون . وهذا يعني انه قد اتيح لعلماء الاثار السامية اكتشاف تاريخ الخط العربي الشمالي .

كتابة نبطية على شاهد قبر من الانباط في مدائن صالح

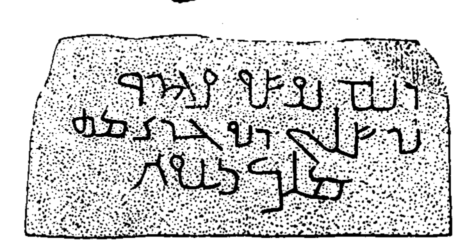
نقوش كونت الاعتقاد باندماج الخط العربي بالنبطي

نقش ام الجمال مؤرخ ٢٧٠ ـ ٢٥٠م . من غربي حوران يعود لفهر بن سلي مربي خديجة ملك تنوخ كتب بخط نبطي ظهرت فيه روابط الحروف نقرأه هكذا : (دنه فهرو بن شلي ، ربو جنيمت ملك تنوخ) .

(نقش من العمارة) مكتوب بخط ارامي لغة اخرى لقيس مؤرخ بسنة ٣٢٨م . من تلال الصفا عثر عليه دوسو بسورية في ١٩٠٢ ، هذا نصه : (تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذواسر البخ وملك الاسدين ونزرود ملوكهم

2. Arabic inscription of Imruᵓ al-Ḳais. Namārah, A.D. 328. After René Dussaud in *Revue archéologique*, 3. sér., XLI (1902) 411. Scale, 1:10. *Rép.* No. 1.

نص كلمات نقش النمار ٣٢٨م



1. Nabataean inscription on tombstone of Fihr. Umm al-Jimāl, *ca.* A.D. 250. After Enno Littmann in *Flor. de Vogüé*, p. 386. Scale, 1:10.

من نقش ام الجمال الأول

وهرب محجو غلدي وجا بزجي من جـج مـدينة شـمر وملك سـدو ونزل بنبه الشعوب وكلهـن فـرسو لروم فلم يلغ ملك مبلغـة عكدى هلك سـتت ٢٢٣ يوم لاكسلوك بلسعد نو ولده .

من نقش زبد

سطور من الكتابة العربية من نقش زبد المؤرخ سنة ٥١١م . المكتوب بلغـات ثلاث : يانية ، وعربية عثر عليه في خربة قنسـوين على باب منقـول عن تاريخ اللغات السامية . لفبسينون ونصها : المقروء من لنر بارسكي هـو : بسـم الاله سرجون بر ... مع قيمود ... مر القيس . وشرجو بر سعدو وسروو [شريحو] وقد صححها (لتمان) بشكل اخر .

نقش حران يقع بشمال جبل الدروز فوق باب كنيسة كتب بالخط العربي واليوناني من نقوش القرن السادس واليك نصه : انا شرجيل بر ظلمو (ظالم) بنيت ذا المرطول سنت (سنة ٤٦٢) بعد فعسد خيبر بعم (بصام) .

هذا احدث نقش اكتشف من ام الجمال الثاني حتى الان نصه عربي ، اشار اليه (والفنسون) وترجمة (شفجت وايت) و (لتمان) من القرن السادس للميلاد .

نصه المقروء :

١ ـ الله غفر لاليه .

٢ ـ بن عبيده كاتب .

٣ ـ العبيدا على بني .

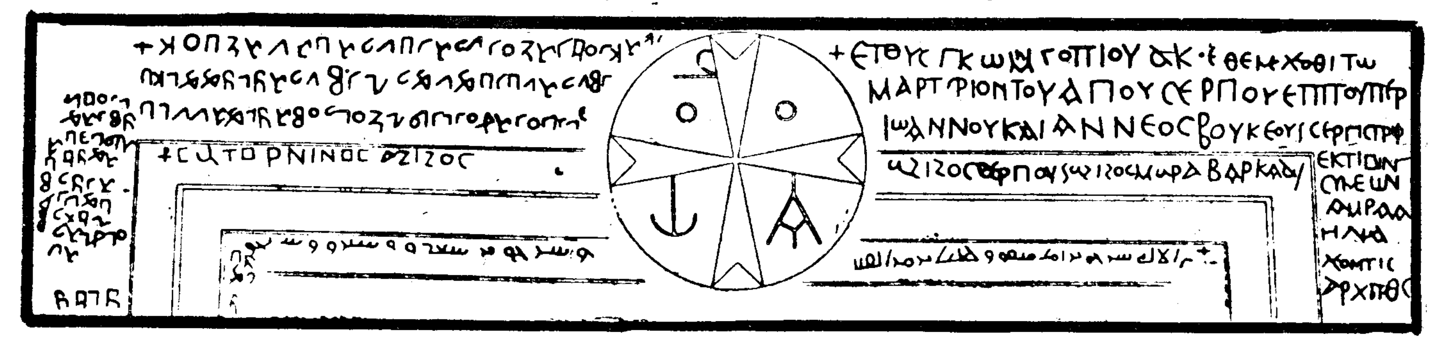
٤ ـ عمري كتبه من .

٥ ـ يقرءه ...

ايضاح وشرح نص قبر امرىء القيس اول ملك من ملوك الحيرة .

لما انتهى النزاع بين فارس وروما سنة ٣٠١م استغل امرؤ القيس الاول هذا الموقف لمصلحته وقد عاصر جملة من ملوك الفرس هم ، سابور بن اردشير ، هرمز بم سابور ، بهرام بن بهرام وغيرهم الى ان اتصل بسابور ذي الاكتاف وفي نص النمارة ما يؤيد هذه الروايات وانه هو الذي ورد اسمه في هذا النص ، وانه اول ملك من ملوك

نص زبد المكتوب بلغات ثلاث : يونانية وسريانية وعربية



كتابة سريانية كثير من حروفها متصلة

عن كتاب : Bossert

الحيرة يصل خبره الينا مدونا ومـؤرخا في سـنة ٣٢٧ للميلاد على قبره وفي الوقـت نفسه كان خاضعاً لنفوذ الرومان .

يظهر من هذا النص ان صاحب القبر كان رجلا قـائداً محـاربا تحـدثت القبائل بشجاعته فاخضع كما ورد في النص المذكور انفا قبيلتي اسـد ونزار المشـهورتين ، وهزم مذحجا واخضع معدا ، ووزع بنيه في القبائل ، وبلغت فتوحاته اسوار نجـران مدينة شمر يرعش ، فلم يبلغ ملك مبلغه . وقد وضع المؤرخ اليعقـوبي بعـد امـريء القيس شقيقه الحارث بن عمرو بن عدي ملكا كما ذكرنا انفا ، ثم وضـع عمـروا بن امريء القيس ملكا من بعده .

ومن هنا نجـد تخبطـا بين المؤرخين في اخبار الملوك اذ تسـتمر الرواية الى تولى اوس بن قلام الحيرة بعد عمرو لانه كان من اسمه تقيم في الحيرة ومن المعـروف ان ابن الاثير قد اعتمد على تاريخ الطبري في الاختصار حتى يمـكن ان يقـال ان هناك اختصارات وقفزات اضيفت الى لقب امرىء القيس بـ (الكندي) والمحرق ، وهو الذي جعل بعده النعمان الاول بن امرىء القيس وقد عرف بالنعمـان الاعور ، كان رجـلا محاربا غزا عرب الشام مرارا فسبي منهم وغنم .

والى النعمان هذا ينسب الاخباريون بناء قصر (الخـورنق) الشـهير الذي ارتبط اسمه في القصص باسم (سنمار) قيل انه بني ببهرام جور بن يزدجـرد الاول ٣٩٩ ـ

٤٢٠م ملك الفرس واسم . بانيه سنمار الرومي فلما اكمل بناءه واعجب النعمان اتقانه امر بطرحه من اعلى الخورنق فمات ويضرب بهذا المثل في الجزاء السيء فيقال (جزاه جزاء سنمار) ويقترن اسم هذا القصر باسم قصر اخر نسب ايضا الى هذا النعمان يسمى (السدير) ولهذه القصة في الادب العربي اشعار محزنة وقد استدرك الطبري على هذه الرواية فذكر بعدها اسم هشام ملكا بعد النعمان ابنه المنذر بن النعمان وفي هذا تناقض .

عدد ملوك الحيرة بحسب القوائم

اذا جاز لنا الاكتفاء بما كتبه الاخباريون عن ملوك الحيرة في رواياتهم وجدنا اختلافا في العدد والتسلسل وهم على النحو التالي نقدمهم بايجاز :

زعم ابن الكلبي انه كان ياخذ اخبار ملوك الحيرة من كتب كانت محفوظة لديهم في الكنائس والاديرة وان النعمان ملك الحيرة كان قد امر فنسخت له اشعار العرب في الطنوج ، وهي الكراريس ثم دفنها في قصر الابيض فلما كان المختار قيل له ان تحت القصر كنزا فاحتفره فاخرج تلك الاشعار وقد قدمنا القول عنها . انه كان لدى النعمان بن المنذر ديوان فيه اشعار الفحول وما مدح به واهل بيته فصار ذلك الى بني مروان .

من تعلم الكتابة .

ما ذكروه من تعلم عدي بن زيد الكتابة العربية والفارسية في الكتاب ومثله زيد بن عدي ، والى ما زعموه من ان المرقش الاكبر تعلم الكتابة على نصراني من اهل الحيرة ، وان جفينة النصراني وهو من اهل هذه المدينة كان يعلم الكتابة والقراءة في المدينة والى ما ورد في تواريخ الكنيسة من ان جماعة من رجال الدين النصارى تعلموا في الحيرة وكانوا الى علمائها في حل المشكلات الدينية .. انحن نستطيع ان نقول ان ابن الكلبي كان يقصد الاديرة فيسألهم فيجبونه ويكتفي .. فقد صرح الاخباريون مرارا ان في لهجة اهل الحيرة رطانة نبطية كنص الثمارة المكتوب على قبر امرىء القيس كما نقرؤه هنا في هذا الفصل . وربما لا يستبعد ان تكون كتاباتهم تلك بالنبطية حربا على سنة اهل تدمر والبتراء في الكتابات او السريانية لا سيما في امور الدين .

يقول الدكتور جواد علي : فاني مازلت اناشد نفسي والمؤرخين : اين ذهبت يا ترى طوامير وكنوز اهل الحيرة ؟ التي كانت محفوظة لديهم في الديارات والكنائس في ذلك العهد ، انما نريد تثبيت ما جاءت به ومن هنا يزول القديم المشكوك فيه ويثبت للجديد اذا ظفر بالفوز .

فالكتابة المنقوشة على قبر امرىء القيس بالخط النبطي هي بلسان عربي تشوبه

صبغة آرامية يحتاج تفهمها الى ايضاح ، ففيها من الالفاظ الارامية او النبطية مثل (تي) اي هذا و (نفس) قبرو (بر) ابن و (عكدي) اليوم .

وكان العرب يومئذ في دور الانتقال لاستخدام لغتهم بدل اللغة الارامية للكتابات ولما مات النعمان استعمل كسرى اياس بن قبيصة مكانه ٦١٣ ـ ٦١٨م . وجرت بين كسرى والعرب معركة سميت في تاريخ العرب بيوم (ذي قار) سنة ثلاثة للبعثة النبوية .

زوال عهد الدولة العربية المستقلة بسقوط زنوبيا ..

وكان على قياصرة الرومان ان يهتموا بهذه المنطقة التي تتنافس فيها الامبراطوريتان (الفارسية في الشرق والرومانية في الغرب) فعمدت الامبراطوريتان الى تعزيز حدودهما بدفع شيء من المال بانتظام لتأمين خطر الغزو المفاجيء لكل امبراطورية تجاه عدوتها ، فتكونت امارة الحيرة في العراق في جنوب الكوفة قرب النجف وتكونت مملكة غسان لحماية الحدود الشرقية للرومان بعد ان اصبح الغسانيون لا صنيعة من صنائع الرومان تحمي لهم تخوم البادية فحسب وانما حالفوهم محالفة الند للند لعدم استقرارهم في ملك لهم ثابت حتى انهم اتخذوا اكثر من عاصمة ونزلوا بأرض بلقاء على ماء يقال له غسان فسموا به . وسنعود الى تفصيل ذلك في الفصل اللاحق .

ذكرنا ما قال حمزة الاصفهاني ان اول ملك من غسان جفنة بن عمرو بن عامر ماء السماء اختاره الامبراطور جستنيان حوالي عام ٥٢٩م تملك على الشام وكان الحارث من امراء بني جفنة بجانبه ضد المنذر ملك الحيرة .

وفي اواخر القرن السادس الميلادي تنازع الامير الغساني مع امير الحيرة المنذر فنشبت الحرب بينهما على البادية الواقعة جنوبي تدمر فوقع في هذه الحرب احد ابناء الحارث اسيرا في يد المنذر وفي عام ٥٧٠م انتصر المنذر ملك الحيرة نفسه على مملكة الغساسنة باغارته على سورية وسافر الى القسطنطينية حيث استقبل بكل مظاهر الحفاوة غير انه قوبل بالقبض عليه وقطعت اعانته السنوية التي كانت تقدم لاسرته من آل جفنة لسخط الامبراطور الروماني فشقوا عصا الطاعة على دولته فاخذوا بشن الغارات على دولته في سورية فعمت الفوضى ارجاء مملكة الغساسنة . وفي ذلك يقول بروكلمان ان اباطرة بيزنطة عندما انتصروا على الفرس تركوا حكم البلاد (سورية) الى اهلها . وكان جبلة ابن الايهم في ذلك العهد اخر رؤساء القبائل الذين دخلوا في الاسلام من بني غسان على عهد الخليفة عمر بن الخطاب على اثر انتصاره في معركة اليرموك سنة ١٣هـ ٦٣٦م ما لبث ان تنصر ويرجع سبب ارتداده من عار لطمة في الكعبة . واما امارة الحيرة التي ذكرها المؤرخون في فجر التاريخ ومن نزلها قديما . فقد سكن وادي الفراتين في فجر التاريخ جيلان من الناس هما :

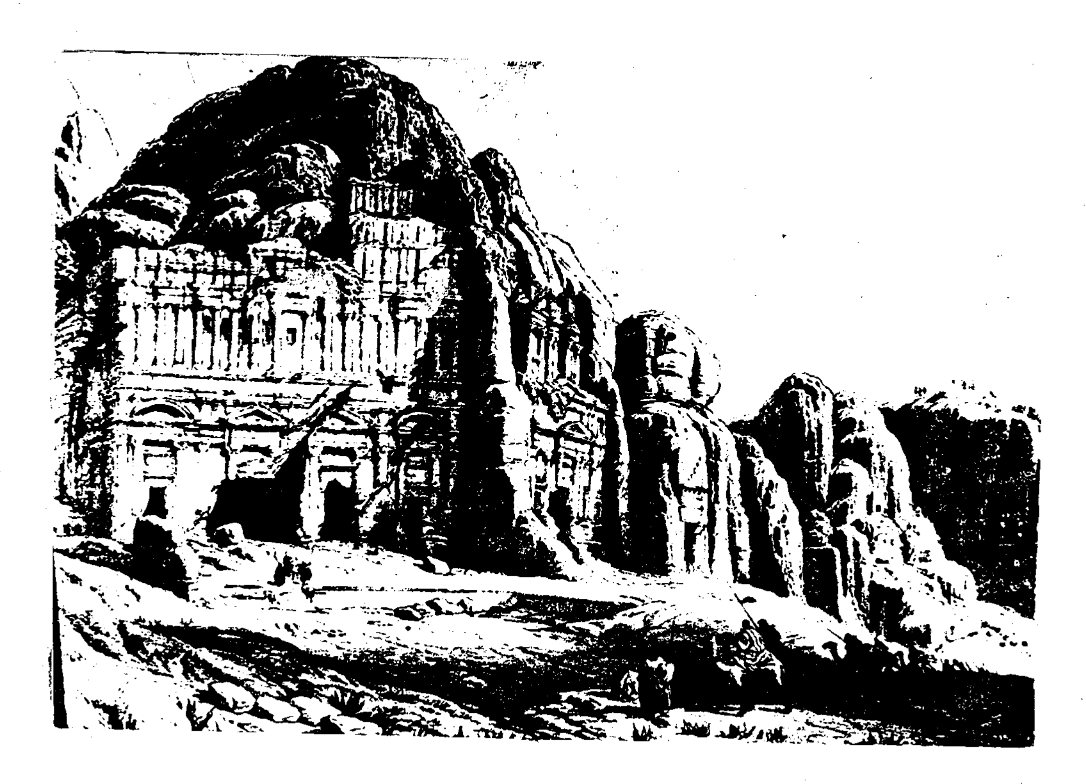
السومريون (شمريون) الذين تقدموا الاكديين الذين بحثناهم في صدر هـذا الكتاب . وان موطن الاكديين الساميين كان بلاد العرب الوسطي ، فلما اجتاحوا في هجـرتهم الجزيرة العربية خلفوا فيها جماعات منهم بعـدئذ سـموا بالامـوريين ولم تنقـطع هجرات الاكدين على العراق منذ اقدم عصوره سواء اكان هذا الاتصـال عن طـريق الهجرة والارتحـال ، او التجـارة كمـا بحثت في كتب المنقبين والمؤرخين العـرب و الاخباريين وعرفت في مؤلفات السريان .

واسم الحيرة العربي من اصل ارامي ومنهم من ذهـب الى انهـا بمعنى الحمـى والملجأ . وعرفت باسـماء بعض ملوكهـا ، ولابد ان يكون لاشـتهار الحيرة باسـم النعمان سبب حمل الناس على نسبة هذه المدينة اليه .

ان اول هجرة عربية محققة هي هجـرة بني معـد بن عدنان ، الذين كانوا ينزلون تهامة من بلاد اليمن الى البحـرين التي سـكنها قبلهـم قبائل مـن الازد ، وهناك (تحالفوا على التنوخ وتعاقدوا على التناصر فصاروا يداً على الناس وضمهم اسم التنوخ وكانوا بذلك الاسم كانهم قبيلة واحدة مـن القبائل فـاجمع رؤسـاؤهم على المسير الى العراق ونزل كثير منهم الانبار والحيرة ، وكان اول مـن تملك على تنوخ العراق (مالك بن فهم) واتخذ في الحيرة قصرا وكان خليفته عمرة بن فهم وانتقـل بعد عمرو الحكم الى جذيمة الابرش واتصف جذيمة الابرش برجاحة العقل والحـزم وكان ثاقب الرأي شديد النكاية ومن افضل ملوك العرب ومن حروب جذيمة حربه مع بن ظرب بن اذيته والد الزباء المشهورة بـ (زنوبيا) فقتل عمرو وفرت جموعه فقامت الزباء على بلاد ابيها (جذيمة) وقصة انتحار زنوبيا وقتلها مشـهورة في كتب الادب العربي ، وهي روايات قصـدوا بهـا الزباء ملكة (تدمـر) التي عرفنا تاريخهـا ونهايتها ..

عين سابور الاول عمرو بن عدي من بني لخم ملكا على العرب في العـراق واتخـذ الحيرة عاصمة له وهو اول من اتخذ الحيرة منزلا من ملوك العرب . وبعد موت عمرو بن عدي تولى ابنه امرؤ القيس الاول امارة الحيرة ، وقد نعـت في بعض الروايات بالمحرق وانه كان قد تنصر ويظن ان امرأ القيس هذا صاحب القبر الذي ورد اسـمه في نص نقش (النمارة) من اطلال معبد روماني بشرقي جبل الدروز .

في سنة ١٠٦م اوعز الامبراطور الروماني تراياس الى والي سورية باحتلال مملكة الانباط والنزول في بصرى وبطرا وحول بلاد الانباط الى مقاطعة رومـانية بسـبب معاداة سكانها من العرب منذ ثلاثة قرون وكانت تعتبر محـطة للقـوافل منذ قـديم الزمان وهي محصنة من قبل ملوكهم وسميت بلاد العـرب الملحقـة بالامبراطـورية



صورة ما نحته النبطيون في جبال البتراء (البطراء) في وادي مـوسى في الاردن ويعتقد المنقبون ان القسم العلوي هو ضريح (حـارتو الاول) ملك النبط الذي التجأ اليه اهل الكهف الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم وكما ذكره الاصـفهاني بانه (الرقيم) عند العرب والشعراء .

وجعل لهذه البلاد مجلس الشيوخ الروماني تاريخا خاصا يسمى (تاريخ بصرى) .

وهكذا عاشت بلاد الانباط وهكذا انتهى تاريخها في ظل وال روماني . وقـد بقيت بلاد العرب هذه حتى سنة ٢٩٥م ـ ٣٩٩ وقد ذكر التاريخ المسـيحي (مـاديا) سـنة ٤٥١ وفي عدادهم عشرون اسقفا عربياً ومن بين اولئك اسقف مدينة (مـاديا) مـدينة الانباط من اعمال العرب .

تلك بعض الانباء التاريخية نقرؤها في وجه القرن الخامس والسادس البيزنطي في هذه الحقبة هذا ما كتبه (هنري لامنس) المستشرق الكبير على أثر زيارته مادباسنة) سنة ١٨٩٧ .

حروف ابجدية مستخلصة من النقوش النبطية
تحول الحروف في بطرا

ما برحـت القبائل العـربية تتسرب في البلاد وفي القـرن الثاني ق.م نشر الانباط العرب نفوذهم في ضواحي ماديا وعمان من فلسطين حتى اصبحت في القرن السادس مدينة الانباط ، ثم نراهم يبسطون سلطانهم فاصبحت بطرا سنة ١٦٩م عاصـمتهم والحارث الاول ، اول ملوكهم وما كادت تمر تسع ومائة سنوات على ذلك حتى حدثت

حركات لملوك الأنباط على العرش في مـــواجهة هيرودوس واخيراً كان النصر حليف هيرودوس في اول الامر .

وفي القرن الاول بعد الميلاد كانت الاردن مجزأة الى مـــدن على طـــراز المدن تتكلم اليونانية وكانت اليونانية والقسم الباقي كان يدعى (نباطينا) اي بلاد الانباط ، وقد اكتفى الرومان ان تكون حليفة لهم .

	عربي قديم	نقش زبد	وحران ونماره	نبطي متأخر
ا	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ب	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ج	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
د	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ه	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
و	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ز			[illegible]	[illegible]
ح	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ط	[illegible]	[illegible]		[illegible]
ى	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ك	[illegible]		[illegible]	[illegible]
ل	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
م	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ن	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
سامخ				[illegible]
ع	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ف	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ص	[illegible]			[illegible]
ق	[illegible]		[illegible]	[illegible]
ر	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ش	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ت	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
لا	[illegible]	[illegible]	[illegible]	

ومما يدل على ان احتلال الهيروديسيين لماديا لم يدم وقتا طويلا ، ما وجد في النقشين اللذين عثر عليهما سنة ١٨٨٩ في ماديا وام الرصاص اذ نقرأ فيهما اسم كل من حاكمي النبطيين وهما محالفا الرومان اما نقش ماديا عثر عليه مؤخراً وقدم هدية للبابا لاون الثالث عشر لمناسبة يوبيله وهو الان في متحف الفاتيكان ، وان النقش الاخر متساوي مع الاول في قيمته وقد عثر عليه ، وهو الان في متحف اللوفر . ولما كان النقش بحروف نبطية يجدر بنا ان نشير الى ان الانباط كانوا يستعملون قديما الحروف الارامية ، ثم جعلت كتابتهم تتحول من الارامية تدريجاً ، حتى اختلفت عنها نهائيا نحو النبطية القديمة نحو منتصف القرن الاول ق .م وعن هذه النبطية القديمة نشأت الحروف العربية القديمة [٩٤] وهذا هو نص النقش بحسب ترجمة كوك :

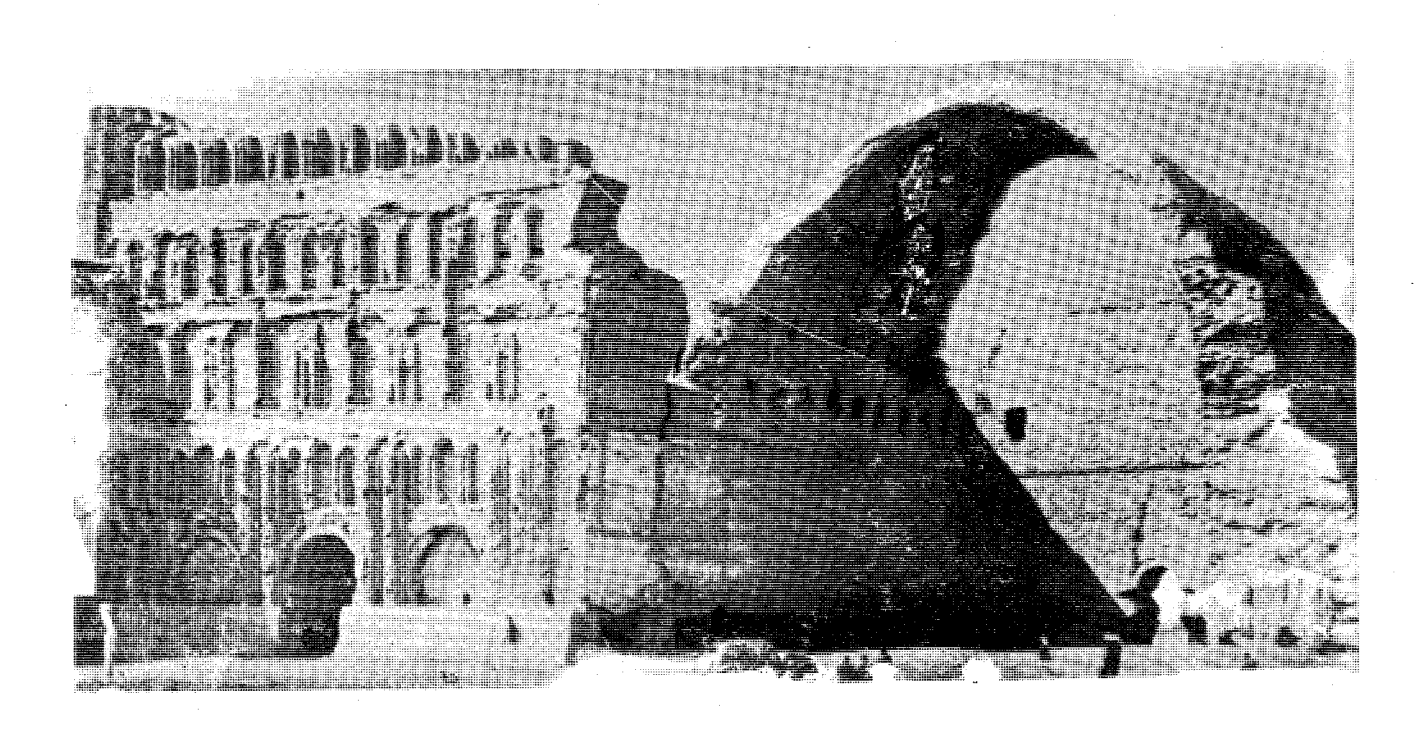


عازفة في البلاط الساساني وحدة مزخرفة ملونة بصناعة الفسيفساء بارضية وصورة في قصر مدينة نيسابور من العهد الساساني من القرن الثالث الميلادي

صورة ايوان كسرى

يقع طاق كسرى على الضفة الشرقية من دجلة على بعد ٤٠ كم من جنوب بغداد ، كان يعرف ايام العباسيين بالقصر الابيض ، وقد تهدمت جدرانه ولم يبق من معالمها الا الطاق ونحو ٤٨ م من الايوان وسمك جدرانه من اسفل ٧ امتار . وهذا هو القسم الباقي من عظمة القصر الذق كان شاخصاً منذ القرن الثالث للميلاد في عهد الدولة الساسانية الفارسية ، وقد زار هذا الطاق كثير من السياح الاجانب وذكروه وكان اقدمهم (بياترو دلافللي) الايطالي في القرن ١٧ ، ثم اعقبه (بولا فوا عام ١٨٨٥) ثم زاره هرتسفلد عام ١٩٠٨ ثم نقبت فيه بعثة المانية عام ١٩٢٩ ولمعرفة تاريخ بناء القصر لابد لنا من الرجوع الى عهد الاخمينيين .

ان التشابه بين رسوم الحروف السريانية والعربية اقوى منه بين الحروف النبطية والعربية ، ولو ان قوى الطبيعة تسخر ما ينطوي عليه الماضي البعيد وتتنقل ما كان يجري باسواق العرب على النحو الذي يمكن تسطيره على تصور البيئة العربية في حدود تلك العصور على موج الزمن كما نقل الينا الاصوات التي نريد سماعها من اقاصي المعمورة الاثير على امواجه كما نفعل اليوم على اجهزة الراديو والتلفزيون اذا سمعنا ورأينا ما امكننا مشاهدته من احداث العرب لعهد الجاهلية واشكال تطور ابجدياتها مما تهتز له القلوب اعجاباً وتصديقاً ولعرفنا نماذج الخطوط ومسيرة أنتشارها في الجزيرة العربية ، ولشاهدنا حروب الفجار على الشاشات واعياد سوق عكاظ حين عرض البراض بن قيس الكناني نفسه على النعمان بن المنذر ليقود قافلة



من الحيرة الى الشام ، ولسمعنا اصوات وشاهدنا وجوه الرجال الذين ذكرتهم الموارد العربية في انتقال الخط العربي منهم بشر وحرب بني امية وعبدالله بن جدعان وغيرهم ممن كانوا في الرعيل الاول من اهل الخط في الجاهلية ، ولرأينا من ركب فيمن حضر عكاظ وهوازن حتى لاذت قريش بالحرم ، وجن عليهم الليل ، وينادي منادي هوازن يامعشر قريش ميعاد ما بيننا هذه الليلة من العام المقبل بعكاظ ، فيستدير العام فيلتقي الجمعان بعكاظ وكان محمد (ص) مع قريش . وقد ذكر النبي معركة الفجار بعد رسالته فقال : (لقد حضرتها مع عمومتي ورميت بها وما احب اني لم اكن فعلت) . ولم ينقطع النبي (ص) عن الذهاب الى عكاظ بعد بعثه .

وقد سمع الرسول الكريم الى خطبة قس بن ساعدة الايادي الراهب النصراني راهب نجران وهي نموذج لفصاحة العرب في ذلك العهد لم يزله استعلاء لغة قريش الا بعد ان انزل الله تعالى القرآن الكريم بها وكتبه كتاب الرسول عن جبريل منزلا .

مثال من التحليات الزخرفية التجميلية في وادي الرافدين قديماً

زخارف ابنية الحضر هي من العناصر المعمارية الجميلة التي يستمتع بها الزائر ، لقد استفاد معمار الحضر مما خلفه المهندسون الاغريق والرومان كثيراً وترجمتها الى العربية بكلمة (تحلية) لانها عبارة عن اشكال مختلفة ، كربع او نصف الدائرة والبيضوي سواء بالنحت الغائر او البارز وهناك تحليات مركبة من شكلين او اكثر مثل الوجه او الوجه المنعكسة اللتين استعملتا في زخرفة مباني الحضر ، ويعجز المرء ايجاد كلمات تطابقها في اللغة العربية . فلو اخذنا مثلا الشكل الذي يقرب ربع بيضوى والمسمى (٥٧٥١٥) نجد ان رسم البيضة والسهم تنجر عليه . او بدلا من تعابير ربع او نصف دائرة او بيضوي يصطلح نصف شمعة وربع شمعة ما دام التشبيه ينطبق بصورة اوضح ، وتفصيلها كالاتي :

انواع الزخارف الاكانتيسية

١ ــ زخرفة الاكانتوس (الافنثا) .
٢ ــ زخرفة الحبل ..
٣ ــ زخرفة اللسبيان .
٤ ــ زخرفة البيضة والسهم .
٥ ــ زخرفة المسبحة .
٦ ــ زخرفة السوا شيكاء .
٧ ــ زخرفة الزهرة .
٨ ــ الحيوانات الخرافية .
٩ ــ زخرفة الارامية بالنحت المجسم .
١٠ ــ الزخرفة ذات الاوراق السداسية والرباعية .
١١ ــ الزخرفة المسننة (المدنتلة) .
١٢ ــ زخرفة الاعناب .

شرح هذه التسميات

١ ـ لزخرفة الاكانتوس اهمية كبيرة في الفنيين الاغريقي والروماني ، وقد مثلها الفنان في بنايات الحضر ، ومن المجالات البارزة التي تمثل فيها اوراق الاكانتوس ما نراه في تيجان اعمدة الطراز المسمى بـ (الكورنثي) ذكره المعمار اليوناني (ثروفيوس) مما اوحى بفكرة التاج الكورنثي . وتمثل هذا التاج (الصورة) في اثينا وهي مزج بين التعريف الثلاثي والخماسي وقد اتخذت زخرفتها المفضلة في الشرق والغرب ، بسبب جمالها وسهولة تكيفها لاشكال مختلفة بحيث لم تجمد على نوع ونسق معين حتى ان الفنان السوري عمل من اوراق الاكانتوس وجوها ادمية من افريز من معبد (باخوس) قرب معبد (جيوبيش) والمثال يؤرخ بالقرن الاول للميلاد ورقة اكانتوس كبيرة من الخلف تعطينا مثالا حيا لعبقرية الفنان الروماني (انظر الصورة لتاج عمود كورنثي في اثينا) وفي العهود الاسلامية والعصر الفوطي في اوربا كانت زخرفة الاكانثوس موضوعاً فنياً لا ينسى . ان من ينظر الى ورقة الاكانثوس في عمائر الحضر يجد الحضر انها لو عمل لها اطاراً لحصل على شكل مربع او مستطيل .

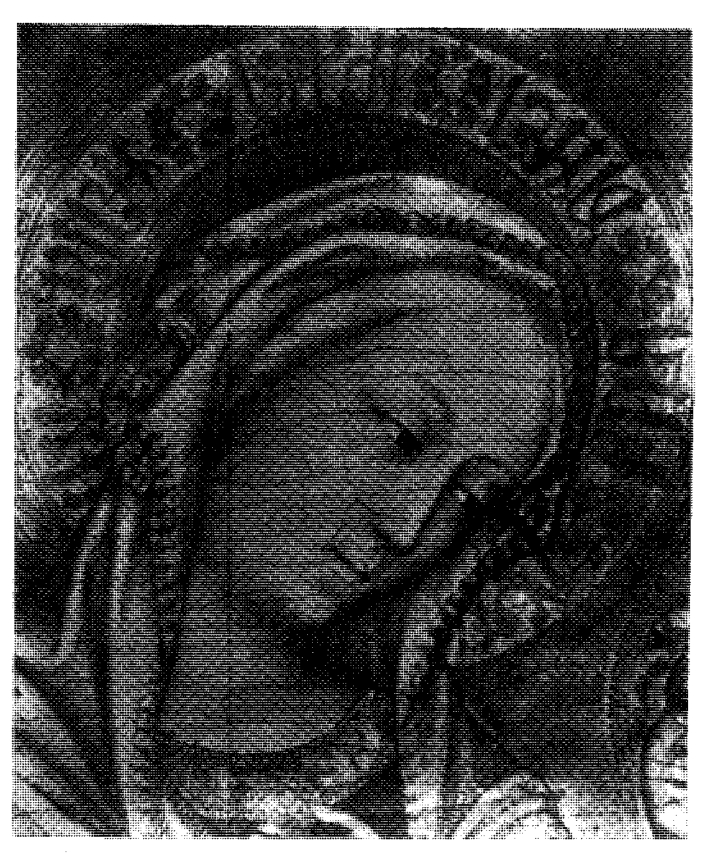
٢ ـ زخرفة الحبل : مثلت زخرفة الضفيرة في الفن العراقي القديم منذ العصر السومري في بعض النحوتات ونراها ايضاً في العصر الاشوري كما في لوحة لشلمنصر الثالث معروضة في المتحف العراقي .

تلك الزخرفة كانت عبارة عن شريطين متموجين متقاطعين مع بعضهما ليشكلا عددا من العقد في شكلها المجسم . وارى ان زخرفة السعفة او الريشة حينما عملت اوحت بزخرفة الحبل المبروم وهي متأثرة بأكانثوس آسيا الصغرى معمارياً . ومثلث زخرفة الحبل في معبد بعلبك ايضاً .

٣ ـ زخرفة اللسبيان : هي الزخرفة التي اطلقت على التحلية التي تدعى بالموجة المنعكسة اختصت في عمارة الاغريق والرومان . كانت عبارة عن ايصال ورقة تشبه اللسان وبين كل ورقة واخرى رمح . وقد تطورت هذه الزخرفة في القرن السادس قبل الميلاد ولنا منها في الامثلة الرومانية .



جانب من مدخل غرفة ايوان الجنوبي لاحدى الحليات في الحضر بالاكانتوس واللسيبان . في شمال العراق .



صورة العذراء مريم وحول هالتها كتابة عربية كوفية تدل على صنعها مؤخراً في العصور الاسلامية .



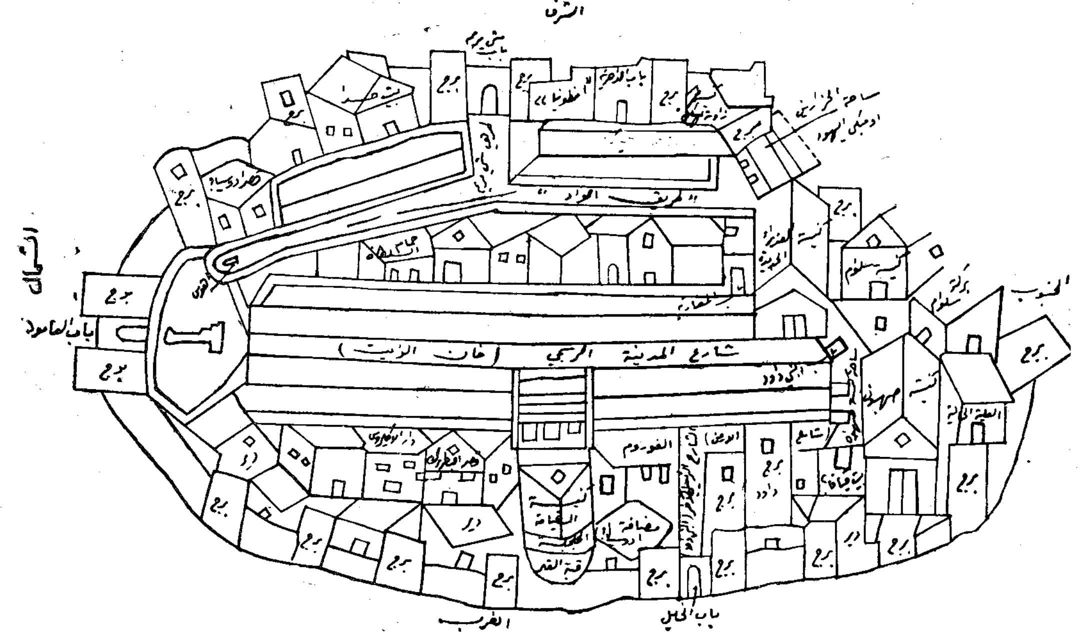
المسيح والقديس مينا . صورة ملونة على لوح من الخشب عثر عليها في دير بمدينة (باوويت) القرن السابع او الثامن للميلاد ـ متحف اللوفر) .

تصفحت كتاب الصحائف الاولى من كتاب (ماديا وضواحيها) من التاريخ الاردني تأليف الاب جورج سابا سنة ١٩٦٠ ومما قاله فيها الاستاذ شكري شعشاعة : وقرأت لمؤلف قديم في مصدر لم اعد اذكره الان يقول كاتبه ، كانت بلاد شرقي الاردن آهلة بالعرب قبل الميلاد باربعة او خمسة الاف سنة ، ولعل اول من سكنها هم العرب البائدة قطنوها في ازمان غير معروفة ثم على اثرهم كان العرب المستعربة فالعاربة ، فالمسلمون وكانت العرب اقوى عامل للتجارة مع دولة الرومان في الشرق .

وفي ذلك الكتاب بحث فني عميق في الفسيفساء يدل على ان (مادبا) كانت المدرسة التي تخرج فيها العمال الفنيون ، ولعل هذه الصور التي نقتبسها وهي كثيرة وغزيرة ، تقوم بيتة على صحة دراسة ذلك الكتاب في هذا الموضوع . وقد زرنا (ماديا) في عام ١٩٦٥ واطلعنا على ما هو جدير بالتسجيل من الاثار في كنيستها مما يثير الاعجاب وخصيصاً التحفة الخالدة في خريطة الفسيفساء التاريخية للقدس . ووصف الخريطة التي كانت اصلا تشمل فلسطين ومادبا البيزنطية يدعو للاعتقاد ان عهد وضع الخريطة في نحو ٥٦٥ ذلك العهد الذي عظمت فيه اهمية الارض المقدسة .

العهد الاخير من التاريخ القديم

في بدء الدولة الساسانية (٢٢٦ ميلادية) كانت الدولة الفارسية متخذة المدائن عاصمة لها وفي تاريخها الطويل انهكت بالمنازعات والحروب مع الرومان والبيزنطيين . كما ان الساسانيين يدينون بالديانة الزرادشتية (والزنادقة هم المجوس) وخلط بعض المؤرخين بين الزندقة والمجوسية ، والتاريخ يدعونا ان نتتبع خطى كسرى الثاني في زحفه بجيوشه على القدس التي اصبحت ملجأ للرهبان وقد حاصرها الفرس واضرموا المشاعل عند اسفل اسوارها ، وهذه صورتها التي رسمها الفنان (المادبي) قبل سنة ٦١٤ للميلاد .



صورة مخططة لمأثر المسجد المسيحي لمدينة القدس

كانت الخريطة اصلا كاملا تشمل فلسطين والاردن وقسماً من البلاد المجاورة (من مصر وسورية) والاماكن الواردة في الخريطة قد اختيرت اما بسبب كونها مدنا مهمة ، قائمة عند الطرق الرئيسية ، واما بسبب الحوادث ذات القيمة التي جرت فيها . وكذلك مثلت طبيعة البلاد بعوارضها الطبيعية من جبال وانهار واشاراتها

الاصطلاحية واسماء مدنها ، وفي الخريطة بنايات شتى من كنائس واسطح مائلة ومياه البحر واشكال الاشجار وغيرها ، ثم ان الخريطة تمثل كنيسة العذراء في القدس ٥٤٣م ، ومن المحتمل ان يكون سلمانيوس هو واضع الخريطة وكل ما ذكر يناسب ما كتبه المقدسي على المدينة في القرن العاشر للميلاد ـ الرابع للهجرة .

الفسيفساء طريقة من طرق التصوير ، عرفت في العالم القديم

لقد عرفت الفسيفساء في العالم اليوناني والروماني وفرشت بها جدران البيوت والمعابد والقاعات بدلا من البلاط ، الا ان معظم الفسيفساء الجدارية التي زينت بها جدران البيوت والمعابد ذهبت ضحية لعوادي الزمان ، فلم يبق سوى الفسيفساء الارضية لذلك باتت معلومات الاثريين في هذا الفن ناقصة . الفسيفساء القائم لم يكن شائعاً قبل المسيح واقدم الفسيفساء الذي اكتشف في انطاكية . لا يتعدى القرن الخامس والسادس والسابع للميلاد . وقد اخذت الكتابات ترافق الفسيفساء والتصاوير ، وهناك اسماء نرى فيها اصحاب الفن الجديرين بشكر الناس لهم لانهم يقدمون هباتهم لسد نفقات العمل وتمجيد الاعمال البشرية . ومن محور الكتابات الكنائسية في (نبو ـ وسياغة) ما صنع الامبراطور ادريانوس (اكراما لابراهيم الخليل وهو اقدم مكان بنيت فيه قبور جليلة في القدس في عصر ماديا الذهبي) .

ارتقاء هرقل عرش بيزنطة واغتيال كسرى

كان لشخصية الرسول الكريم (ص) اثر كبير في نفوس العرب حتى انهم لم يصدقوا موته عندما علموا به . واخيراً استقر الرأي على ان يكون للرسول خليفة يأمر بالعدل وينهى عن المنكر ويأمر الناس بالمعروف . كان ابو بكر يسمى عبد الكعبة ، لان الكعبة في الجاهلية كانت رمزاً للعبادة وسماه الرسول الكريم عبدالله وسمي الصديق لانه اول من صدق برسالة الرسول من الرجال ، وهو من كبار رجال العرب في الجاهلية . وبعد ان اخذ ابو بكر البيعة في المسجد خطب الحاضرين خطبته المشهورة التي انتهت بـ (أطيعوني ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ، قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله) .

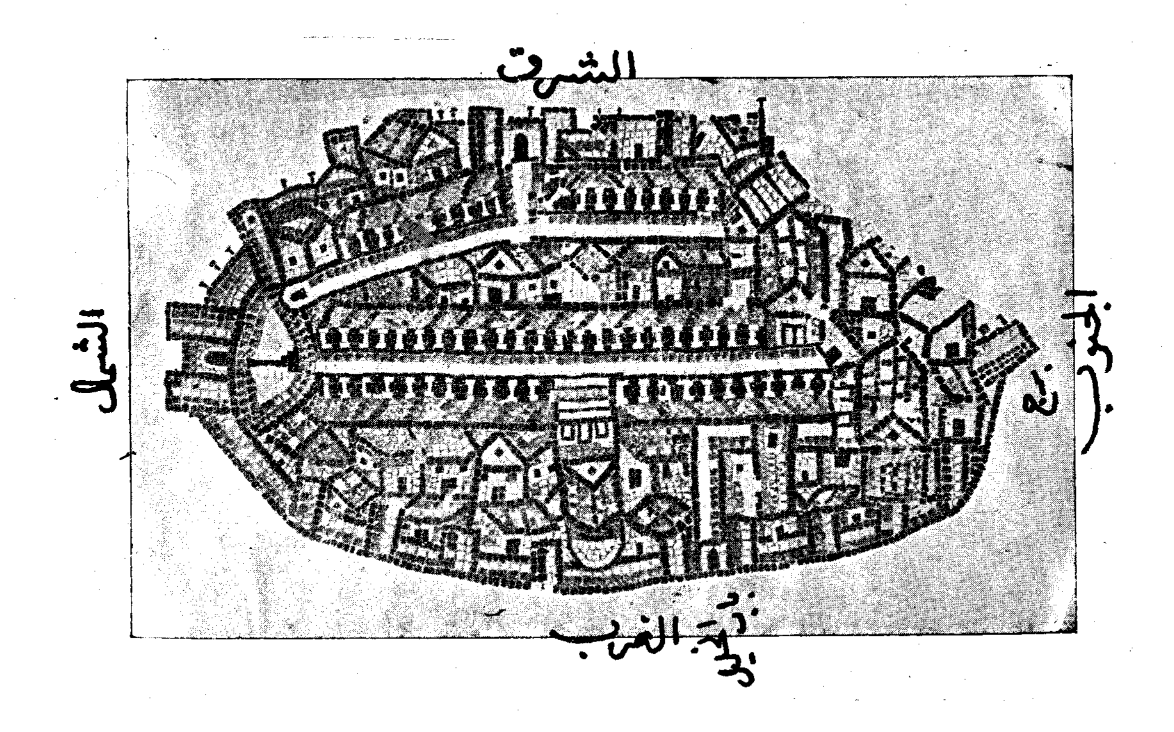
انفذ ابو بكر ـ عقب بيعته مباشرة الجيش الذي كان قد اعده النبي (ص) بقيادة زيد بن حارثة ونزل في البلقاء حيث تقع (مؤتة) وقضى على كل من وقف في وجهه من اعداء الاسلام . وظل الحال على ذلك ايام ابي بكر وهرقل يعلم بذلك وحماسة المسلمين تدفعهم ففشلت حركتهم الاولى في الشام على ان هرقل قد سير لمحاربتهم عدة جيوش كثيفة ووقف الجيشان وجهاً لوجه وقائد الروم (ماهان) واخذ العرب ينتقلون من نصر الى نصر حتى واقعة اليرموك (٦٣٤م) .

وفي هذا الاثناء اتاهم نعي ابي بكر سنة (١٣هـ) وتولية عمر بن الخطاب وبدأت

الجيوش تتجه لحصار دمشق ورأى هرقل الامبراطور البيزنطي هزيمته الحاسمة مع العرب فرحل عن البلاد مودعاً ارض الشام وهو يقــول (ســوزه ســوريه) اي عليك السلام يا سورية ، ونعم هذا البلد للعدو ...

ولما ولي عمر الخلافة استهل بانتصاره في معركة القادسية في العــراق ســنة ١٥هـ وانتهت بمقتل رستم واسر العرب احــدى بنات كسرى . وفي ســنة ٣١هـ كتب النصر للعرب في هذه المعركة التي سميت فتح الفتوح . وهكذا دانت فارس جميعهــا للعــرب وتحولت عاصمتهم الى ولاية بدلا من المدائن واصبحوا عنصراً اسلاميا .

وهكذا تبدو لنا مدينة القدس في الخريطة التي شغل برســمها العلمــاء كثيراً حتى توصلوا الى معرفة محتوياتها . ففيها ٢١ برجاً وســتة ابواب و ٣٦ بناية من كنائس وقصور وامكنة عامة وساحات ..الخ وفي وسط الجانب الايمــن مــن الشارع اهم بناية في الخريطة حتى سور المدينة الغربي وهي كنيسة القيامــة . وهكذا خلدت صورة المدينة المقدسة وهي في اوج مجــدها بدقــة وفــن عجيبيين وذلك في فجر القرن السابع ..



الكتابة في صورة (صورة لمنطقة اريحا والسامرة منذ القدم) .



تمثل سماكاً في ضربة الخيط يصطاد سمكا في ضاحية مدينة (نبو) من القرن التاسع للميلاد .



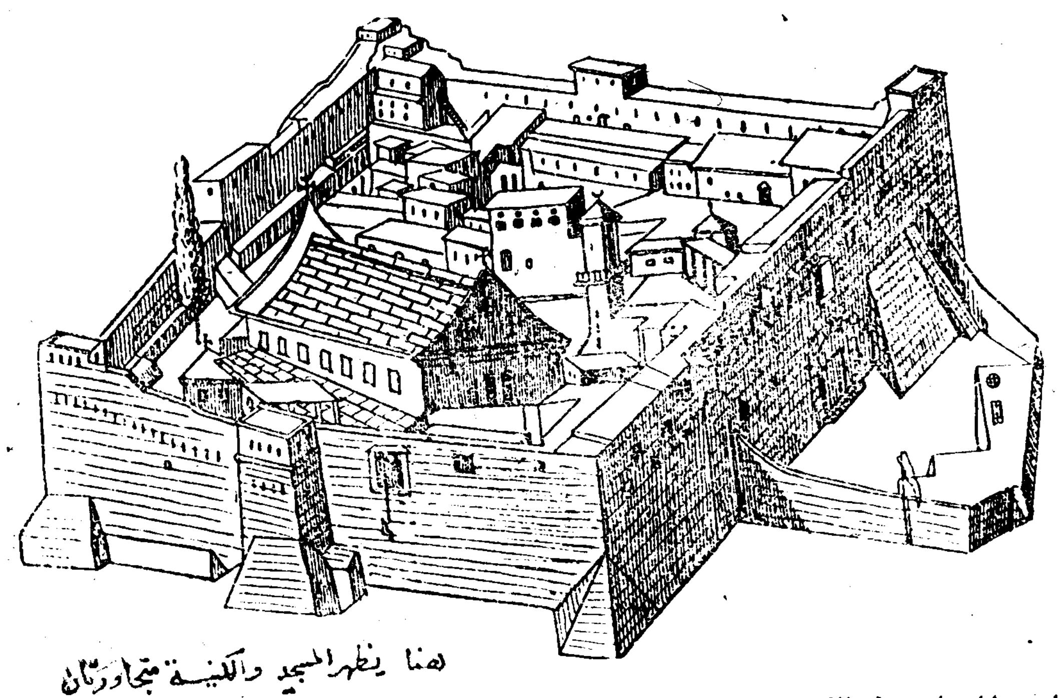
رسم حائط فسيفسائي من رسوم (القويسمة) بقرب عمان . كان الفنانون الذين يعملون فيها من مدرسة مادبا بعد ان هـدمها زلزال سـنة ٧١٧م . عثر هنا على كتابة ارامية وهي لغة الشعب وتذكر الكتابات ان ترجم مـا عين لما دمـر مـن كنيستهم ايام عمر بن عبدالعزيز على قطعة من الفسيفساء .



صورة الراقصة من ماديا . من المآثر الفسيفسائية الاولى من مقاطعة بلاد العرب الرومانية مشهد من مشاهد باخوس اله الخمر وكانت الباخوسيات مشهورات بالرقص .



صورة الملاح الممثل في المحيط يخترق مياه النهر وهو ينظر الى الافاق البعيدة وهو رمز لهذه الاحداث التي وصلت الينا عبر القرون . ولعل اجمل ساعات التأمل وهي الساعات التي ارتنا مادبا مدينة للفسيفساء فكان الفن الروماني وكان الفن البيزنطي لتكون موطناً اخيراً لهما .



احد المشاهد في الكنيسة الشمالية المعبد المثلث والبازلكا ، والكنائس الجانبية الثلاث ، من اثار نبو (سياغه) في اخر القرن الرابع للميلاد والخامس ، خصص هذا المعبد للقدس وملحقاته وهي مختلفة عن فسيفساء المعابد الجانبية من حيث توزيع الظلال والاضواء . ففي الجهة الشمالية كرمة ودوال وغصن تدلت منه العناقيد .



نقش تدمري على تمثال زنوبيا ــ نطقة بالحروف العربية سطرا سطرا :

نشوء الغساسنة

اهم معالم الخط العربي

ذكر بطليموس في اواسط القرن الثاني للميلاد ان الغساسنة اقاموا في مشارف الشام وحوران فتحضروا بتوالي الاجيال وعمروا المدن وشادوا القصور والقلاع وكانت عاصمتهم بصرى وتعرف انقاضها بـ (اسكي شام) . وكان فيها دير بحيراء الراهب .

ان ماذكره الكتاب عن ملوك هذه الدولة كثير الاضطرابات وليس الحصول على مادة تاريخية من قصصهم الاخبارية . وزعم المؤرخ حمزة ان اول ملك من غسان هو جفنة بن عمرو مزيقاء ، عمرو بن جفنة ، ثعلبة بن عمرو والحارث الاول وجبلة بن الحارث ، الحارث الثاني بن جبلة والمنذر الاكبر والنعمان والمنذر الاصغر وجبلة ، الايهم ، عمروا ، جفنة بن منذر ، النعمان بن المنذر الاكبر النعمان بن عمروا الاكبر ، جبلة بن النعمان ، النعمان بن الايهم ، الحارث الثالث بن الايهم ، النعمان الثالث بن الحارث ، المنذر النعمان ، عمروا بن النعمان ، حجر بن العمان ، الحارث الرابع بن حجر ، جبلة بن الحارث الرابع الحارث الخامس بن جبلة (بن ابي شمر) النعمان بن الحارث (ابو كرب) ، الايهم بن جبلة بن الحارث ، المنذر ، شراحيل بن جبلة ، عمرو بن جبلة ، جبلة بن الحارث وجبلة بن الايهم وهو الذي ادرك الاسلام وتراجع عنه ورحل الى القسطنطينية من عار لطمة . وقال في شعر له (تنصرت الاعراب من عار لطمة) وسنعود لشرح هذه الرواية .

وذكروا ملوك غسان في تاريخ اليونان بشكل اخر لا مجال هنا لتفصيله وشرحه واكمل ما وصل الينا من توالي ملوك هذه الدولة ما ذكره حمزة الاصبهاني في كتابه (سني الملوك) ، بقي علينا النظر في ماصح عند المستشرقين ومنهم (نولدكن) من اختلافات وقلة ملوك هذه الدولة ، فعنده عددهم لا يتجاوز عشرة ملوك وفي اعتقاد المؤرخ جورجي زيدان ان الغسانيين قضوا زمنا طويلا في ضواحي الشام يتوارثون الامارة والروم لا يعرفون عنهم شيئاً ، والغسانيون في اثناء ذلك يحكمهم امراؤهم ، وما زالوا على تلك الحال حتى احتاج البيزنطيون اليهم في محاربة الفرس ، فلما استخدموهم لقب (ملك) فسماهم العرب (ملوك غسان) واستطاع الغساسنة ان ينشئوا حضارة اعظم من حضارة اللخميين وذلك لتأثرهم بالحضار الهيلينية .

بعض اسماء ملوك الحيرة من آل لخم (٢٧٨م) في العراق .

تبلغ جملة ملوك الحيرة عشرين ملكا بحسب رواية الطبري على قائمة ابن الكلبي وهم :

١ ـ عمرو بن عدي .
٢ ـ امرؤ القيس بن عمرو .
٣ ـ عمرو ابن امرؤ القيس .
٤ ـ آوس بن قلام .
٥ ـ امرؤ القيس المحرق بن عمرو .
٦ ـ النعمان الاعور بن امرىء القيس .
٧ ـ المنذر بن النعمان .
٨ ـ الاسود بن المنذر .
٩ ـ والمنذر اخوه .
١٠ ـ النعمان بن الاسود واخوه .
١١ ـ علقمة بن يعضر .
١٢ ـ امرىء القيس بن النعمان .
١٣ ـ المنذر بن امرىء القيس الملقب بماء السماء .
١٤ ـ الحارث بن عمرو الكندي .
١٥ ـ عمرو بن هند مفرط الحجارة .
١٦ ـ قابوس اخوه .
١٧ ـ فيشهرث زيد .
١٨ ـ المنذر بن المنذر بن ماء السماء .
١٩ ـ النعمان بن المنذر ابو قابوس .
٢٠ ـ اياس بن قصيبة .
٢١ ـ زاوية و ٢٢ ـ المنذر المغرور .

ابريق بلوري في متحف ارميتاش بلينغراد .

اناء فضي مغطى بطبقة ذهبية وبه نقوش للراقصات . عثر عليه في مدينة كلار داش ، في القرن السادس ميلادي ـ ما ان اخرج الاسلام من الجزيرة العربية الى اطرافها حتى وجد نفسه سيدا على بلاد كان اهلها بالامس القريب محكومين خاضعين لامبراطوريتين منهكتين نتيجة الصراع بينهما «بيزنطة وساسان» .



الاختلاط والتقليد

ان العرب قبل الاسلام لم يعتنوا كثيرا بالوثائق المكتوبة .. ولكن اعتناء الاسلام بدأ بالقرآن الكريم . قال ابو عمرو الداني : وفي كتاب محمد بن سحنون : معاشر قريش هل كنتم تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي ، تجمعون فيه ما اجتمع ، وتفرقون فيه ما افترق هجاء بالالف واللام والميم والشكل والقطع ، وما يكتب به اليوم ، قبل ان يبعث الله تعالى النبي (ص) . قال نعم ، قلت : فمن علمكم الكتاب ؟ قال حرب بن امية . قلت فمن علم اهل الانبار ؟ قال طارىء طرأ عليهم من ارض اليمن ، من كندة . قلت فمن علم الطارىء ؟ قال الجلجان بن الموهم ، كان كاتب هود نبي الله بالوحي . هذا ما قاله مؤرخوا العرب وهو الزعم الذي لا ينافي وفترة الأقتباس ورحلة الخط الى الجنوب والشمال حتى نهاية القرن السادس الميلادي . ورحلة هذا الخط الى الحجاز كانت من حوران الى الحيرة والانبار في العراق في اواسط الفرات ومن ثم الى الحجاز كما يظهر من النقوش التي عثر عليها هناكالباحث اويتونغ .

وحروف الهجاء (التهجي) الابجدية كما علمنا كنا نقرأها على منوال المبتدئين الذين يتعلمون القراءة من هذه الاسماء التي لم يذكر تفسيرها اي معلم ، بل كان الواحد منا يستظهر هذه الحروف على ترتيبها كما وضعها العرب الاوائل (الكنعانيون الساميون والفينيقيون) او السينائيون) وهي التي تجتمع في ستة اسماء وهي معروفة عند العرب قبل الاسلام عند الاراميين والقيرميين . وقد حافظ هؤلاء على ترتيبها الاول كما استعملها العرب في حساب الجمل . وقد حيرت هذه الاسلام الرواة حتى اكد القلقشندي في صبح الاعشى) : ان الناس قد اختلفوا في كلمات (ابجد ، هوز حطي كلمن ، سعفص ، قرشت ، شخبذ ، صظغلا) منذ عهد عمر بن الخطاب ، وهل يكره تعلمها ام لا ، فاكثر الناس في الشرق والغرب الاسلاميين على تعلمها عند البدء في تعلم القراءة في الكتاتيب ، واورد القلقشندي قول اعرابي بابيات :

واورد القلقشندي قول اعرابي بابيات :

اتيت مهاجرا فيعلموني وثلاثة اسطر متتابعات
خطوا لي ابا جاد وقالوا تعلم سعفص وقريشات

وذكر صاحب كتاب اصناف الكتاب في الخزانة العامة ـ رباط ـ رقم ١٢٧٣ في المغرب ـ ١٥ ـ قال : ولاهل الحيرة خط الجزم . وهناك خط سرياني شبه الكوفي يسمى ـ كرشوني ـ اي قريشي . كتب به السريانيون نسبة لقريش . كتب به الاناجيل .

ان اللغة والكتابة تتكونان في البداية بالنسبة للمقتبس صنوين لا يفترقان ، وليس

من الضروري استعمال نفس اللغة والخط معا في كتابة مقتبسة بخط اجنبي كما فعلت اليهود فانهم كتبوا العبرية بخط عربي او بالعكس العبري بخط عربي في مراسلاتهم . ومن المنقبين من عثروا على رقم طينية مترجمة الى اللغتين الحثية والحورية بخط مسماري معا يتضمن ملحمة كلكامش ونصوص ذكرت سرجون الاكدي .

يرى اصحاب الراي الثقات في قصة الابجدية السامية على كافة لغاتها في فترة ١٨٠٠ ـ ٢٠٠ق .م . ما يدعو الى التفكير الجدي الذي ذكرته الموارد المتضاربة .

ولقد بحثت الموارد العربية في المحكلم ، وانا لا اريد الاطالة في الكلام في مواضع هذا ألكتاب العظيم الذي علل فيه الحروف واسماها (حروف التهجي) من اولها الى اخرها ثم فسر (الحروف) فقال ابو عمرو الداني : انما فقدمت الالف سائر الحروف لاجل انها صورة الهمزة المتقدمة في الكلام وهي تسعة وعشرون حرفا . فواضع الالف من بينها فجعله الله قائما امام اسم من اسمائه تعالى : هذه الاجتهادات يحتمل ان تكون عقائدية ... ثم ذكر حروف (ابي جاد) بالترتيب على هيئة ابجد ـ وهي اول حروف التهجي وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت . ثم بعد رواية مسندة عن ابن عباس قال : ان لكل شيء تفسير اعلمه من علمه وجهله من جهله ثم فسر (ابو جاد) : ابي آدم الطاعة ، وجد في اكل الشجرة . و (هوز) : زل فهوى من السماء الى الارض . و (حطي) : حطت عنه خطاياه و (كلمن) : اكل من الشجرة ...

هكذا سلكت الموارد العربية في التفاسير وعالجتها في حروف الهجاء العربية التي تبلغ (٢٩) حرفا ، جمعت في ثمانية كلمات بعدما اضافوا للكلمات السامية التي تنتهي الى (قرشت) كلمتين لم يجدوا في اسماء من صنع الحروف التي وضعت على اسمائهم من العرب العاربة وهي : (تخذ ، ظضغلا) فسموها الروادف في حين وجد العلماء الباحثون ان هذه التسميات هي اسماء لمسميات اشياء لها معاينها كما شرحها (فلنرز بتري) التي عثر عليها في سيناء في سرابت الخادم المحفوظة في متحف القاهرة ، وهي كما رسمت في الجدول في مكان سابق من هذا الكتاب (جدول الكتابة السينائية) ، وها هي في صور معانيها :ـ الف = تعني ثور ، با ـ = بيت ، جيمل = عصا ، دالث = باب = (ابجد) . ٢ ـ هاء = تعني انسان ، واو = وتد ، زاي = سلاح = (هوز) ....

٣ ـ حيث = تعني حائط ، طاء = حنش ، ياء = يد انسان = (حطي) ....

٤ ـ كاف = تعني ذراع ، لام = عصا ، ميم = ماء ، نون = حوت = (كلمن) ...

٥ ـ سامخ = تعني مسند ، عين = عين ، بي = قم ، صادي = صديق = (سعفص) ....

٦ ـ قوف = تعني بردي ، ريش = راس انسان ، سين = شن ، تاوا = علامة = (قرشت) ..

والى حد هذه الحروف انتهت جميع الحــروف الابجــدية الســامية اذا لم يكن اختراع حروف معينة ذات اشكال واسماء علمية تنقيبية ليس من السهولة بمــكان . فتثبتت عندنا . (ابو جاد ، هواز ، حطي ، كلمن ، صــعفص وقــريبات) اســماء ملوك مدين . وضعوا الكتاب على اسمائهم ثم وجدوا حروفا ليست من اســمائهم ، وهــي الثاء الخاء ، الذال ، الضاد ، الظاء الغين واللام الف . فســموها الروادف ، وانظــر كلام النديم وبقية المصادر في الفهــرست ١٢ ــ ١٤ ــ وانظــر ايضــا تاريخ الادب او حياة اللغة العربية لحفني ناصيف ٦٠ ــ ٦٣٠ وهي تسميات اساطيرية وفي كلمــات ابجد العربية اشارة الى (مدين) التي تقع جنوب شرقي شبه جزيرة ســيناء تطــابق على التأويلات .

قصائد العرب ووصف الات الكتابة

ويستفاد من استقصاء الاخبار التي مــلأت بطــون الكتب مــا يثبت لنا اســتعمال كتابات تشير الى معرفة ما قاله الشعراء الجاهليون بما قدمناه انفا وقول

لمن طلل ابصرته فشماني كخط الزبور في عسيب يماني

فذكر الخط المكتوب على عسيب يماني . كما ذكر حــاتم الطــائي (الرق) والكتابة عليه في مثل هذا الموقف في قوله الانف الذكر في البيت السابق . وقول الاخطل :

فكأنما هي من تقادم عهدها ورق نشرن من الكتاب بوالي

وقول الشماخ في صدر الاسلام :

كما خط عبرانية بيمينه بتيماء حبر ثم عرضا اسطرا[١١٠]

هذا بعض ماكان يمثل ثقافة عصر ما قبل الاســلام الذي كان لا بد للمســيحية ان تنتشر فيه باعتبار تواجد العديد من القبائل العربية النصرانية حول اطراف الجزيرة العربية شمالا والسريانيين وانتشار الرهبان في الكنائس لبث التعاليم المســيحية في فلسطين والحجاز جنوبا لان الصحراء كانت الملجأ للفرق المضطهدة مــن الرومــان . فضلا عن توغل اليهودية في خيبر ويثرب وتيماء وقد صالحهم النبي عليه السلام عند بعثه على ربع عروكهم وغزولهم وثمارهم .

وما ذكره ابن السائب الكلبي في الطبري : كنت استخرج اخبار العرب وانسابهم وانساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ اعمار من ولي لكسرى من كتبهــم بالحيرة . وروى ان النعمان بن منذر قد امر فنسخت له اشعار العرب من الطنوج وهي الكراريس من

الرق ثم دفنها في قصره الابيض ، فلما كان المختار بن ابي عبيد قيل له : ان تحت القصر كنزا فاحتفره فاخرج تلك الاشعار المكتوبة .

تهنئة عبد المطلب زعيم قريش لسيف بن ذي يزن عاهل اليمن سنة ٥٧٥ وهو يخاطبه :

«ان الله تعالى قد احلك محلا رفيعا منيعا صعبا شامخا باذخا ، وانبتك منبتا طابت ارومته وعزت جرثومته وثبت اصله وبسق فرعه في اكرم معدن واطيب موطن ، وانت رأس العرب الذي به تقال وعمودها الذي عليه العماد ومعلقها الذي يلجأ اليه العباد وربيعها الذي تخصب فيه البلاد سلفك خير سلف وانت منهم خير خلف . ونحن ايها الملك اهل حرم الله وسدنة البيت الحرام ، اشخصنا اليك ايها الملك من ذكر ماسرنا من كشف الكرب الذي قد حنا والفم الذي اقلقنا فنحن وفد التهنئة الخ» الى اخر ما اورده عبيد بن شربة الذي عاش الجاهلية والاسلام وروى عنه نشوان الحميري اكثر اخبار ملوك حمير واعلم من بقي باخبار العرب لما قبل الاسلام .

لو ان علم عصرنا الحديث الذي سخر لنا قوى الطبيعة استطاع ان يحلل ما ينطوي عليه الماضي البعيد من انباء ذكرياته الاثارية القديمة وينقل الينا صور ما كان يكتب من قصائد واشعار يعدها اهل المعلقات في عكاظ ومعروضات المجتمع الخاص بالوان البلاغة من الشعر العربي في اسواق العرب الادبية في العصر الجاهلي قبل القرن السابع الميلادي وفي مجالات قوافلهم التجارية . ان هذا العلم لو ينقل لنا بعض ما عرف عن النقوش على النحو الذي يمكن رسمه او تسطيره على تصوير البيئة العربية في حدود ذلك الدور او ان ينقل الينا ما نشاء على موج الاثير كما ينقل الينا الاصوات التي نريد سماعها من اقاصي المعمورة كما يفعل اليوم على اجنحة الرادار والاقمار الصناعية على الراديو والتلفزيون اذا لسمعنا ورأينا من اخبار واحداث الجاهلية ماتهتز له القلوب وتطير له الالباب اعجابا وعجبا من انواع ماذكره امرؤ القيس في صنعة الكتابة ..

«اتعرف اطلالا ونؤبا مهدما   كخطك في رق كتابا منمنا»

انه مما دعى المستشرقون من امثال (كولدزيهر ، بروكلمن ، موير ، وكرنكو) ان يؤكدوا بان عرب الحيرة النصارى كانوا يدونون اخبارهم وانهم كانوا يعنون بكتابة

اشعارهم العربية وبتدوينها كتابة كما وجد مالا يحصى من الشعر الجاهلي الذي لم يكتف بنقله شفهيا . ولم تكن اخبار المستشرقين صحيحة ومتقنة عن الصور التي رسموها للجاهلية والاسلام وعن عزلتهم وهجينتهم في الجاهلية الجهلاء ، وكان زعما لا يؤيده القران ولا الواقع ، فكيف يعقل ان يجيد قسم من المعدمين القريشيين القراءة والكتابة ولا يتعلمها اغنياؤهم وتجارهم .

مجمل نشأة الحضارات في الشرق الاوسط

لقد ذكرنا آنفاً ما كان في بلاد العرب من فنون انتقلت من الحضارات المجاورة قبل الاسلام في جنوب الجزيرة كما وجدت قصور اخرى في بادية الشام والحجاز ونجد وبشمال شرقي شبه جزيرة سيناء في بقايا مدينة (البتراء) كما كشفت تحف وتماثيل وشواهد نذرية منها ما هو متأثر بالفن الروماني ومنها حضارة السبئيين في اليمن ومعابد مأرب ومعابد المعينيين الحميريين .. الخ

واذا اردنا ان نعرف الاسس التي قام عليها الفن الاسلامي فينبغي الرجوع الى مصادر تاريخية عن الشرق الادنى وهي :

١ ـ حضارة مصر منذ البدء .

٢ ـ بلاد الرافدين اقدم الحضارات ، عصر تل العبيد ، عصر الوركاء ، عصر جمدة نصرة ، السومريون واهم ما عثر عليها فيها ، الاكديون ، عصر جوديا ، البابليون ، قانون حمورابي وعصره ، الزقورات ، الفنون ، العلوم الرياضية ، الكتابة ، الكتابة الابجدية ...

٣ ـ سورية وفلسطين وغربي اسيا : مملكة ماري ، الحثيون ، سرجون ، سنحاريب ، العمارة ، الفنون ، والادب .

٤ ـ الكلدانيون والاخمينيون ، سقوط نينوى ، نبوخذ نصر ومدينة بابل وقصورها ومعابدها الصراع بين الفرس واليونان ، الفنون الفارسية والحضارة الهيلينية لما قبل الاسلام .

٥ ـ الثموديون اللحيانيون ، الانباط ، ديانات ، لعرب قبل الاسلام ، فضل حضارات بلاد الشرق القديم على الحضارات الاخرى ، الديانات ، الطب ، الفلك والصناعات المختلفة .

ظهور الاسلام :

ذهلت قريش وغشيت ابصارها عندما خرج الرسول من دارة ليلا يصاحبه ابو بكر واقام علي في فراشه وسار الرسول وصديقه الى غار

بجبل ثور بالقرب من مكة .. امضى الرسول (ص) ثلاث ليال في الغـــار ، ثم تركه الى (قباء) ضاحية قرب مكة على مسيرة ثمانية ايام فـــأسس بها مسجدا واقام ثلاثة ايام . وقـــد كان طبيعيا ان يكون البناء روحيا فحسب يصعب تحديد نصيبه من الفن لطلبع الدين الجـــديد المتميز عن غيره ، لم لحقه علي بن ابي طالب بعد ان ادى ما كان للناس عنده مـــن ودائع . ثم يمم الرسول شطر المدينة فدخلها راكبا ناقته في ٢٠ ســـبتمر سنة ٦٢٢ م يحوطه مئات المسلمين فصلى اول جمعة في الاسلام ، وتعد الهجرة اول حادث تاريخي عظيم في الاسلام وجعل عمـــر بن الخـــطاب هذه الحادثة بداية للتاريخ الهجري .

العمارة الاسلامية في صدر الاسلام

العمارة الاســـلامية تراث عظيم ظفـــرت به معـــظم البلدان التي حكمها المسلمون من فجر الاسلام حتى اليوم في حين امتدت اطراف الدولة الاسلامية من المحيط الاطلسي حتى الخليج العـــربي ومـــن جنوب ايطاليا حتى بلاد اليمـــن وباكســـتان والصـــين ومـــا وراء النهر . ويجدر بنا ان نلم بما بقي من اثارها وان نحافظ على هـــذا التراث الخالد .

لقد كشف الرواد المنقبون تحفا مكونة من مســـارج للتنوير وتمـــاثيل صغيرة وشـــواهد قبور منقـــوشة بكتابات حميرية (نذور) فضـــلا عن القصور بين الاثار النبطية في بادية الشام والاردن وبين العقبة ومعان وهي مما يعود الى الفنون المسيحية والفن الساساني والفـــن النبطـــي الى جانب الزخارف المحفورة على حجر على زخارف هيلينية مما جعل بعض العلماء وعلى رأسهم (ستريجو فسكي) يظنون ان هـــذه اللقـــى والقصور ترجـــع الى القـــرن الرابع الميلادي مـــن الطـــراز الهيليني والســـاساني وانتشرت في الشرق الادنى قبل ظهـــور الاســـلام في تلك البقاع فتسرب بعضها وتمازجت مـــع بعضـــها باســـاليب مـــع الهندية والمصرية القبطية والمسيحية المبكرة في سورية والعراق ذلك عندما فتح العرب العراق ومصر وحلوا فيهما وهـم حريصون على الامور الحربية والدينية دون سواها ، تركوا الصناعة بطبيعة الامر لاهـــل البلاد حتى تدرجت الفنون وبدأ اسلوب اسلامي ناشيء ينمو تدريجيا مشـــتقا مـــن هذه المصادر شيئا فشيئا .

وهكذا كان العرب لهم كل الفضل في قيام الدين الاسلامي والدولة الاسلامية وانهم جمعوا شتى الاساليب الفنية القديمة وطبعوها بطابع دينهم الجديد فانشأوا فنا اسلاميا متميزا عن غيره من الفنون .

لم يعرف عن العمارة في ذلك العصر والعهد المتميز بالجهاد في سبيل الله سوى دار الرسول (ص) في المدينة وبعض المساجد ذات جدران من اللبن واسقف من سعف النخيل في تخطيطها محاطة بجدران اربعة كما هو الحال في مسجدي الكوفة والبصرة وكان السقف محاطا باعمدة من جذوع النخل او من الاعمدة الحجرية المأخوذة من المعابد والكنائس القديمة في الاقطار التي فتحها العرب فانشأوا فنا اسلاميا متميزا .

من المجموعة الامير (راينر) كما نشرت في دليل معرض فينا عام ١٨٩٤ برقم ٥٥٨ كتب نصها بالعربي والاغريقي وتعود لزمن خلافة عمر بن الخطاب (١٣ ـ ٢٣هـ) وهي ما وصل من احد ابناء عمرو بن العاص ، وقد جاء في نصها العربي واليوناني المترجم امور تتعلق بجباية اموال وغنائم وسفن واسلحة ثقيلة وخفيفة وجنود برية كما قرأه المستشرق (ادولف كروهمن) في الجمعية الملكية المصرية . والكتابة بالخط النسخ القديم بميقاس ٢ : ٣ . هذه قراءة النص المنشور في مجلة (سومر) ، ج ١ ، ص ١٣٩ سنة ١٩٤٧ م .

اقرأ السطور الفرنجية في مكان سابق من هذا الكتاب .

النص المترجم :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اخذ عبدالله ابن عمرو و(صحبه) من الخمس من اهنس اخذ (ماية شاة) ومن خليف يذرق لي بن توما ابو قير الاصغر (ومن خليق) بن صعصع بن ابو فلح الا غير خمسين شاة من الخمس وخمس عشرة شاة اخرى نقلها وصول سفنه (اصحب) سفنه وكتيبئة ونقلاه في شهر جمدى الاول من سنة اثنتين وعشرين وكتب ابن حديد (٥) .

مصادر الفن الاسلامي وتأثره في تطوره بالفن الاقدم منه :

تشير المصادر التاريخية ان في جنوب بلاد العرب منذ الالف الثاني ق . م . حضارة راقية ازدهرت في مملكة (معين) التي تقع في جنوب اليمن بين نجران وحضرموت ، وكانت سبأ تقع بين معين في الشمال وقبتان في الجنوب . واما حضرموت التي قدمناها انفا فتقع شرقي هذه الممالك الثلاث . وقد استدل رجال البحوث من النقوش المعينية على ان



منتجات هذه المملكة كانت منتوجات محلية كالبخور والمر وهي عظيمة القيمة وكان السبئيون اكثرهم شهرة ، وتنتسب مملكة سبأ الى (سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان) جد عرب الجنوب وكانت حاضرة سبأ (صرواح) ثم اصبحت حاضرتهم مدينة (مأرب) التي تبعد ستين ميلا عن صنعاء .

يقول الهمداني في كتابه (الاكيل) لقد تداعت بقايا مآثر اليمن وقصورها ولم يبق سوى «غمدان» ومن اسفل جدارها عط ومأرب الذي زاره ورسم صورته بعض الباحثين من الرواد منهم ارنود ، هاليض ، وغلارز ، فوصفوه وصفا دقيقا يدل على الحضارة المعمارية الراقية التي لا تزال بقاياها ماثلة الى اليوم في السدود التي انشئت لخزن المياه والمدن المحصنة والقصور والمعابد . ومن أهم الاعمال التي تعتبر بتاريخ الآثار ما نسب العلماء الاثريون من سدود عدن الى ملكة سبأ التي أعجبتها السدود فأمرت بصنع سدود هائلة لا يزال علماء الاثار يحاولون معرفة تاريخها علمياً فتضطرب تقديراتهم على مدة الف عام ما بين القرن الخامس عشر والقرن الخامس قبل الميلاد ، ولا يتفقون الا على الاعجاب بنظامها الهندسي وهناك بسنا مدينة البتراء المنحوتة . وقد تكلم العالم كلارز عن حضارة السبئيين في اليمن وليس

بنا حاجة لاعادة البحث في اثبات الحضارة العربية لما قبل الاسلام والمراجع مفعمة بذكر الاساليب العربية القديمة، الموروثة من فنون عربية حميرية وما جاء بعدها من الممالك العربية على التخوم الفارسية في امارة الحيرة في وادي الفراتين واخبارها التي ملأت كتب الادب العربي في القرن الثالث الميلادي ومملكة تدمر التي كانت مقاليدها بيد ملكات كن يتعاقبن على العرش خاضعات لملكة اشور حتى عهد (اسرحدون) ٦٦٩ ق . م . والمملكة البنطية خلال الحقبة الهيلينية ولغتهم العربية والارامية والمملكة الغسانية التي حالفت الروم ضد الفرس، واستطاع الغساسنة وملوك الحيرة ان ينشئوا حضارة لتأثرهم بالثقافة الهيلينية .

كل انسان هو تراث شعبه :

ذكر العالم الكبير المؤرخ (آرنولد توينبي) بصدد تميز الامة العربية بعناصر تاريخها الحضاري العريق المجتمع في توحد الشعب العربي وتواجدهم في هذه الصحراء التي تبدو بيئة منعزلة في (الجزيرة العربية) عاش فيها وهم بدو رحل منذ العصور الحجرية فاستطاعوا تحدي الطبيعة بقدرة فذة منذ تعلم الانسان الزراعة والتدجين فاستخدموا حواسهم وعقلهم وذكاءهم، فكان من ثمار الثورة التاريخية في سهول العراق الجنوبية منذ ازمنة بعيدة جدا بتحدي الطبيعة والسيطرة على مياه الانهار والامطار بتطويعها بالسدود للافادة منها في الزراعة والرأي الغالب اليوم بين علماء التاريخ القديم ان السومريين انما جاءوا الى الاقسام الجنوبية من العراق في اواخر الالف الثانية قبل الميلاد ثم زحفوا الى بابل وعلى كل يتبين لنا مما وجد الباحثون من الكتابات في الالف الثانية ق. م. انها كلدانية تشبه حروفها الحروف العربية الجنوبية القديمة (المسند) واستبدلوا من ذلك ان اصل اولئك المهاجرين من الخليج العربي ثم انتقلوا منه الى العراق كما ان الحضارات التي ظهرت في اليمن وشمال الحجاز وسيناء والاردن وسوريا تباعاً .

فهذه البقعة هي احدى المناطق الجغرافية القليلة في العالم التي ظهرت فيها ديانات وقدر لها الانتشار وفيها كانت تتلاقى الطرق التجارية بين مصر وجزيرة العرب والعراق وبلاد الشرق الاقصى ومنها كانت تتجه الى الغرب . وفيها تلاقت ايضاً عدة حضارات في التاريخ ومارس الانسان نشاطات كثيرة من الحياة المادية والفكرية والفنية

واهمها (اختراع الكتابة) وتبنى عقائد الايمـــان بالله وكونت شـــعوبها بسبب الاختلاط والتنقل مدنية اتسمت بطـــابع عام مشـــترك تبلور منذ ازمنة قديمة وظل حيا في نفوس اهله يعزز الوحدة الحضــــارية وثبتهــا وانمى التراث العربي ودفعه الى الازدهار الى ان جاء الاسلام وغمـــر بنوره ما شاء الله ان يتدفق على وجه المعمورة .

ان ما نراه في وقتنا الحاضر من عناية الجامعات في اوربا وامـــريكا بدراسة الحضـــارات القـــديمة والاهتمـــام بتطبيق الاســـــاس المباشر للمناهج العلمية ما يغطي حاجة الطــلاب ليشـــفي الغليل ولاســـيما في دراسة (تاريخ نشوء الكتابة) العـــالمية ، وغالبية الجـــامعيين متزودون بمعرفة المراحل التي اجتازتهـــا الكتابة بين الشـــعوب وهـــي جمـــاع مقومات الوجود الحضاري ، فما كتبناه في الماضي وما نكتبه اليوم وغدا ما هو الا جزء من تراثنا الحضاري وحاضرنا الثقافي وحصـــيلة تراثنا الذي خلفه لنا الاجداد عبر العصور الاسلامية وقوموا قواعده وقوانينه واصوله باقلام منوعة ووضعوا لها اسماء ونسبا ورمـــوزا ميسرة ذات ابعاد واقواس مجملة حتى صيروه اجمل الخطوط الســـامية طـــرا في العالم افتن به الفنانون . وسارت على هـــدى قـــواعده اقـــوام الهنود والفرس والاتراك وزادوه انواعا وحروفا فصارت الحضـــــارة تتوهـــج شعلة بجماله ، فما دونت العلوم المترجمة من الاغريقية ولا قيدت الحكم التي نقلت ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتبت المنزلة من رب الســـماء الا بالقلم والمداد ، ولولا الكتابة لما اســـتقامت امـــور الاولين والآخرين في الكون .

ومن المسلم به ان ليس هناك امة من امم الدنيا قـــد تناولت اشـــاعة الكتابة وحسن الخط والنهضة بالثقافة عن طريق التوعية بالاحـــاديث النبوية وكتابة نسخ من القرآن الكريم بقدر الامة العربية . وغير خاف ان الكتابة تصدرت التعليم منذ فجر الاسلام بان افتدى اسرى قـــريش انفسهم بتعليم عدد من الصبيان لقاء اطلاق سراحهم من الأسر ، كمـــا ان الخليفة الثاني عمـــر بن الخـــطاب كان في طليعـــة الرجـــال بتعليم الغلمان والصبايا في الكتاتيب والموافقة على تلاوة كلمـــات الابجـــدية (ابجد ، هوز ...) في بدء تلاوة ســـورة الحمـــد (الفـــاتحة) كمبدء لتعليم قراءة القرآن . وعلى ضوء هذه المنطلقات شمر ائمة القـــراءة والكتابة سواعدهم بتطويرهما بوضع النقط وترتيب الحروف وتنسيقها لاجـــل القراءة الصحيحة . فالخط كما قيل مواز للقراءة واجود الخـــط ابينه كما ان افضل القراءة اوضـــحها . وان تجـــويدهما اول ادوات التعليم

فاصلحت قواعد رسوم كتابة حروف هجاء المصاحف وصارت مثالا لما يكتبه النساخ على نسق المصاحف الأولى (المصحف الأم).

وكان مما ساعد على انتشار هذه الروح التزام الصحابة الكرام ومن تبعهم من الناس الذين دخلوا في دين الله، فلقد بذلوا اقصى ما في الوسع للمسائل الدينية والعلمية ووضع قوانين هندسية للحروف الفردة والمركبة بحيث تتكرر كتابتها للمشق وتصحيح وتقوية الحروف بقلم الثلث وهو ان يبدأ بتقويم تقليد الالفبائية بالتكرار وهذا التكرار يكون عبارة عن تقليد رسم كل حرف على حياله، وتقديم شكله في ابعاد طوله وعرضه واستدارة القلم في تقعراته وانحناءاته ونقطه وشكله ليستقيم تصحيح التقليد بأي قلم ثلثي او نسخي كان ليصبح صورة كل حرف من الحروف طبق الاصل المعتمد في التمثيل من تلك النماذج التي كتبها الخطاطون المهرة لا يستغني عنه اي كاتب مبتدىء.

ومما ذكرته المصادر ان الخليفة المنصور ثاني خلفاء بني العباس (٥٨ ـ ١٣٦هـ) نصح احد كتابه بقوله: (حافظ عند الكتابة على جمال حروفك، ولا تضيع الورقة، وحافظ على المسافات بين الاسطر وركزها). وقال ذو الرياستين وزير المأمون في الكتابة (قاربوا الحروف حتى لا تحتاج الى التنقل لمسافة كي تقرأ بوقت اقصر وبمساحة اقل). ولما جاء زمن (بن اقفلة وابن البواب وياقوت والصولي والبلاذري وابن النديم وغيرهم افاضوا بقوانين وقواعد الخط جعلت بالنسبة للحروف الاقدم منها اجمل ما عرفه الانسان من الخطوط السامية سواء جاء على يد خطاط او غيره. واننا لم نجد باستثناء اللغة والكتابة الصينية اي لغة اخرى غير العربية انتجت خطاطين لازال العالم يشهد لهم بالبراعة. وليس العرب وحدهم كانوا مدار اعجاب لذلك الجمال الذي حصلوا على بذوره منذ نشأة الحروف الهجائية العربية الاولى ذات الحروف الناشئة بالنسبة للحروف الاقدم منها ورغم كون الحرف العربي اذا كتب بعدة اوضاع فلا نرى اي تغيير في مفهومهما في كتابة وتلاوة اي نصوص اخرى.

ولاجل كتابة القرآن الكريم اختير الخط المطور من السطرنجيلي في وقت مبكر جداً اطلق عليه الخط الكوفي نسبة للكوفة التي صارت الحاضرة الاولى بعد المدينة المنورة، هذا الخط الذي ما يزال يثير اعجام العالم للاستلهام من رسوم حروفه لما فيه من خصائص الفن الاسلامي واستيحاء من روحانيته.

وتعدد وتنوع حروف الكوفي من تربيعي ومورق ومزهر ومشجر

اصبحت جمالاته ونقوشه تفوق كل ما عرفـه الفنانون الغـربيون مـن خطوط زخرفية وهندسية ونباتية في القرون الماضية التي تعدتها اللغة العربية رغم سبقها بقرون عديدة ، فجاء ذلك الخـط الكوفي في اشـكال زهور محورة واغصان منمقة فـالبستها اجمـل الحلل واحلى الحلي . وفي كلمة موجزة لنا ان نقول ان الخط العربي على انواعه لايمـكن ان ينعت هذه الايادي التي دفعته بايادي فنانة حقبة بصنعة خلابة ابرزت جماله فحاول جمع كل ما في وسع اهل الفن من الجمالات الموجـودة في الكون ليس الا . ولا يمكن ان نكتفي بتسميته «خطا» فقط ، بل الاجـدر بنا ان نطلق عليه (لوحة فنية) ومعجزة لم ترسمها يد فنان قط .

وهنا لا نريد ان نعرض لتفصيل الحديث عن موقف علماء الاسلام في تفسير التصوير وكراهيته فقد تحدث السـابقون عن هـذا الموضـوع وتركوا لنا مخطوطات مصورة لا تقدر بثمن نسبت لمدرسـة بغـداد او مدينة السلام او مدينة الرشيد التي سميت بالمدرسـة العباسـية ، مـن قبيل التغليب واطلاق اسم الجزء على الكل بوصـف بغـداد عاصـمة الخلافة الاسلامية لينسب اليها جميع ما انتجته في العصر العباسي .

وكان مجتمع بغداد منذ اول تأسيسها مجتمعاً متعدد العناصر امتزج فيه العنصر العربي بالعناصر الاخرى غير العـربيةنزحت اليهـا مـن مختلف الاقطار المجاورة فانصهرت هـذه العناصر جميعاً في بودقتهـا وامتزجت تياراتها الفكرية والثقافية وتفاعلت ، ونبع من ذلك التفـاعل طـابع دار السـلام الخـاص في الحياة الخلقية والاجتمـاعية ، وكان العـراق اكثر البلاد امتزاجـاً للعناصر الوافـدة اليه لعلو مـكانته اذ تعاقبت عليه منذ اقدم الازمان اشهر الاقـوام النازحين فـكان محـط الراحلين فعرضت كل امة فيه معالم حضارتها فاخذ العراق وخصيصاً بغداد من كل شيء بحظ وافـر . وان مسـتقبل التقـدم والنهضـات الحضارية يتوقف دائماً على الاكثرية المطلقة مـن الجمـاهير الواعية التي تدرك ذاتها وتعمل على النهوض دائماً . ومن ذلك المنطلق الاقـدم تواجدت حركة هادفة للنهوض بالحركة الفنية وتهيئة مهاد صلبة قادرة على الاغتناء برافد الفنون الاخرى لتحسين الخط على خـطة اصـلية بعيدة عن الضـمور والتلاشي في الكتابة فتنوعت الخـطوط بكل خصائصها وتطورت على اختلاف العصور ، في الظـل الذي سـار فيه الخط منذ الكتابة المسـمارية الاولى في وادي الرافـدين ومنذ ان كان الوطن رائداً حقيقياً قبل كل خطوط الشرق الاوسط . وهـذا الفصـل يسـتنفد المجلدات مـن كتب التاريخ التي بحثت في نشـوء الكتابة

ومراحلها في هذا الارث الحضاري اللصيق بالفكر العربي والادب الاسلامي .

وغير خاف ان فن الكتابة هو غير فن الخطاطة فالكتابة اصول معبرة لرسوم يتعلمها الصغار والكبار بواسطة القلم والحبر كابرا عن كابر ولا يحتاج لاتقانها الى جهد كبير بفضل الاختراعات والتكنولوجية التي اخترقت حواجز الاشياء وسهلت للانسان تعلمهما في عصرنا هذا عصر الذرة والاليكترون حتى كاد العقل الاليكتروني ان يتناولها بواسطة (الكومبيوتر) بوسائله العجيبة .

ان وجود الآلة الطابعة ليس معناه الاستغناء عن الكتابة بمفردات الحروف المتصلة او المنفصلة ولا كتاب الـ (شورت هاند) عوضوا بشخابيطهم عن الكلام الفصيح المكتوب مهما كان موجزاً ومختصراً في اعمالهم الصحفية وغيرها وان اتقان الكتابة اليدوية ملازمة للانسان من المهد الى اللحد وستبقى كذلك .

ان ما نراه من تردي الكتابة اليدوية في يومنا هذا لا سيما في الاوساط الطلابية هو الذي حملنا على الاهتمام بهذه المظاهر التي كانت نتيجة لترك درس الخط وتمشقه وترك الادمان على تجويده بالاضافة الى تفشي الامية وهي اقوى عوامل هذه الظاهرة في مستوى الخط الدارج ، بحيث اصبحت كتابات الاجوبة في الامتحانات لاتقرأ الا بعنت وصعوبة للاسف الشديد . اننا نخشى اذا استمر الحال على هذا الحال ان ينشأ حتما بين ظهرانينا جيل لا يقوى حتى على قراءة وتخريج كتابة نفسه بالذات الامر الذي يخرجنا مرغمين الى مالا يحبه ويأباه كل حريص على تراث قوميته وارث حضارة امته ، وان الرضى بما نحن فيه لا يرقى الى مبادىء ثورتنا التي قامت على التوعيات والمعطيات ، وهناك فرق بين توعية واخرى ، توعية تربى عما يفيد وتوعية تصغر عما نريد ، ومن هذا المنطلق بالذات تفجرت نفوس رجال الثورة الكريمة فشاءت وعلى رأسها القائد المناضل صدام حسين رافع رايتها ونفذ المشيئة بالرغبة المشرفة فاعلن قانون التعليم الالزامي لمحو الامية وفرضت الدراسة بشكل عام في سائر انحاء القطر العراقي ومن ساعته اصدرت وزارة التربية (مديرية المناهج والوسائل التعليمية) امرا يتضمن اسماء لجنة لسادة ثقات من دكاترة ومهندسين وخطاطين اكفاء للاجتماع ووضع مفردات لتعليم الكتابة بالخط العربي (قلم الرقعة) لتعليمه في المعاهد الحكومية ودور المعلمين على شكل كتيب وكراريس مطبوعة . ومساهمة من جانبي في المشروع اقول انه جاء بشكل لايفي بالارتفاع للمستوى الاعلى الذي يسد الحاجة في دراسة المستوى العام من الناحية التاريخية وبالاخص جذور تاريخ الكتابة والخط العربي منذ اقدم العصور ، ذلك لكي يفهم الطالب الحقائق حق الفهم . اذ لما كانت علاقات شعوب الجزيرة العربية ـ السامية

والاقوام التي هاجرت الى وادي الرافـدين والهـلال الخصـيب وسـورية والاردن وسيناء والحجاز واليمن كل هذه الاقوام مرتبطة ببعضها في نشوء الخط العربي وفي جذوره البعيدة وان المؤرخين القلة من الناشـئين مثل (خليل يحيى نامـي ، صـلاح الدين المنجد وابراهيم جمعة) هذه الجمـاعة الخيرة الذين تورطـوا في وضـع تاريخ الخط العربي ابتداء من قبيل الاسلام وكأن التاريخ قد بدأ في نظرهم بهـذا القـرب وهم بذلك خاطئون ، او كأنهم في دائرة مفرغة مـن الاخبار التي تناقلوهـا عن نفس المصادر ولم يسعفهم قصر نظرهم الى ابعاد التاريخ الحديث المترامي الاطراف ومـا اخذت الامم بعضها من بعض وما اعطت لغيرها مـن الامـم فضـلا عن منتجـات الحفريات الحديثة التي بحثتها المؤلفات الحديثة في الغـرب بعـد الخمسـينات حتى يومنا هذا في السبعينات من القرن العشرين الحالي وتكاد هذه المؤلفات الحـديثة ان تكون مكتبة عامرة جديرة بالاطلاع على كل ماجد في هذا الميدان . والتوعية الثقافية ، والتراث هما الارث الحضاري للامة المتقدمة .

ولادة وابتداء امر النبي محمد (ص)

كانت ولادة النبي محمد (ص) في يوم الاثنين ١٠ ربيع الاول من عام الفيل ، ويشير قدم الفيل الى ان النجاشي ملك الحبشة كان قد ارسل ابرهة الحبشي لغزو ملك اليمـن ثم قصد الكعبة ليهدمها فخرج بثلاثة عشر فيلا فلقب ابرهة بصاحب الفيل وذلك العام بعام الفيل . واما ابرهة فلم تنجح مقاصده . وكان قدوم الفيل سـنة ٥٧ مـن حـكم كسرى ، وسنة ٩٠١ لغلبة الاسكندر على داريوس ـ دارا ـ سنة ١١٧٦ لنبوخـذنصر وسنة ٥٧٠ للمسيح .

وخرج الذبي مع اعمامه وحضر حرب الفجار وعمره اربع عشرة سنة وهي حـرب كانت بين قريش وكنانة وبين هوازن وسميت بالفجار لما انتهكت فيها هوازن حـرمة الحرم كما رواه ابن الاثير في الكامل . يقول ابن القارح في رسـالته الى ابي العـلاء المعري عن بدء الدعوة المحمدية : وابتدأ محمد امره انه وقف على الصـفا ونادى : يا صباحاه فجاءوا يهرعون فقالوا : ما دهمك ؟ ما طـرقك ؟ قـال : بمـا تعـرفونني : فقالوا : محمـد الامين . قـال ارايتم ان قلت لكم ان خيلا طـرقتكم في الوادي ، وان عسكرا قد غشيكم في الفج اكنتم تصدقونني ؟ قـولوا : اللهـم نعـم مـاجربنا عليك كذبا ! ـ فان الذي انتم عليه ليس لله ، ولا مـن الله ، ولا يرضـاه الله قـولوا لا اله الا الله ، واشهدوا اني رسول الله واتبعوني تطعكم العرب وتملكوا العجم .

الحفظ والذاكرة عند العرب

لقد اشتهر العرب بهذه الملكة وهي منحة الهية ولدتها طبيعة الصحراء عند العربي منذ الجاهلية الاولى ، وكان النبي (ص) يدرك قيمتها ويفهم خطرها ، فلما اراده الله

نبيا لاكمال هـذا الدين الحنيف اعلنه للمسـلمين وغير المسـلمين وكان الخـطباء والشعراء يجتمعون في عكاظ ينتظرون من قبائل الجزيرة العربية الوافدة ايام الحج فكانوا يلقون خير مـا يريدون القـاءه ويقتنون خير مـا يعجبون به ، وعكاظ مـن المواضع التي عفت عليها الثورات ، وكل ما ترويه الكتب عنهـا انهـا كانت تعقـد في مكان بين نخلة والطائف بالقرب من مكة وظلت تعقد اجيالا بعد الاسلام .

ولا يثنيني عما يجيش في خاطري من عظيم العبرة في كل ما رفعت الرسـول الكريم الى مراتب النبوة التي نقلت العالم من الوثنية الى التوحيد ، وان لوفـود العـرب ان تجيء الى النبي لتعلن اسلامها وفيهم وفود اياد ، فقال لهم النبي سائلا : (مـا فعـل قس بن ساعدة ؟) قالوا : مات يا رسول الله . وقال رجل من القوم : (انا احفظ كلامه يا رسول الله .) واخذ في تلاوة تلك الخطبة التي خطبها قس بن سـاعدة في حياته عن ظهر قلب .

وكان مجتمع مكة في عكاظ حافلا بالوان البلاغة والتفاخر والاسـتعراض ، واليك نصها [ايها الناس اسمعوا وعوا ، من عاش مات ومن مـات فـات ، وكل مـاهو آت آات ، ليل داج وسماء ذات ابراج ، وبحار تزخر ، ونجوم تزهر ، وضـوء وظـلام وبر وآثام ، ومطعم ومشرب وملبس ومـركب مـالي ارى الناس يذهبون ولا يرجعـون . أرضوا بالمقام فأقاموا ، او تركوا فناموا . واله قس بن ساعدة ما على الارض افضل من دين قد اظلكم زمانه وادرككم اوانه ، فطوبى لمن ادركه فاتبعه وويل لمن خالفه .]

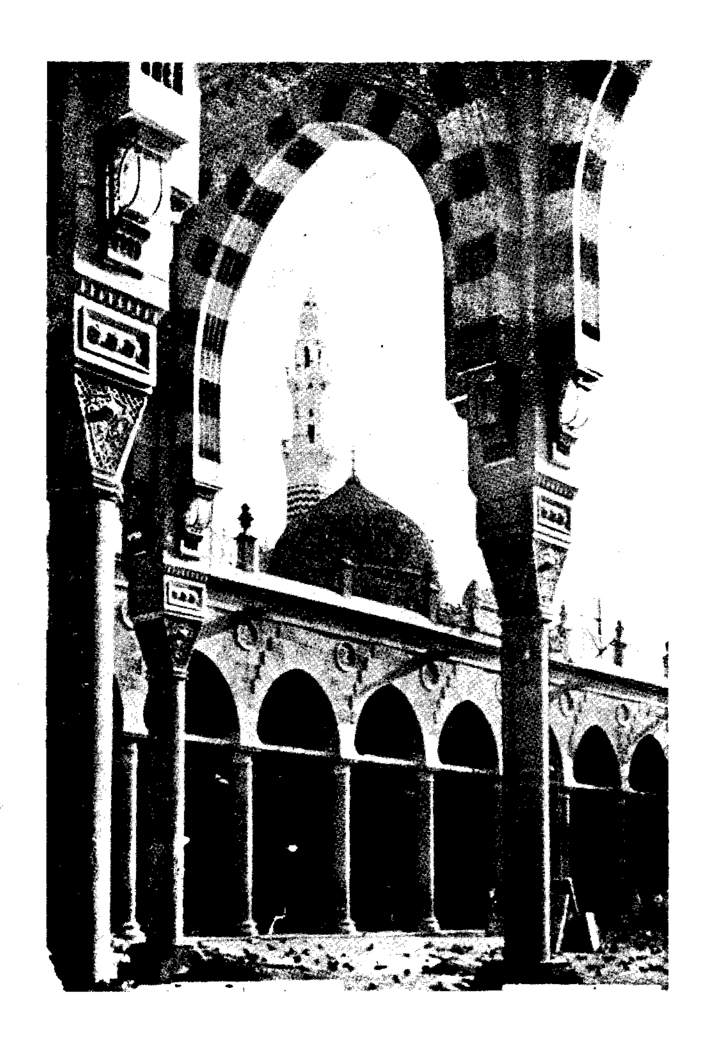
اول ما نزل من آيات القرآن دعوة النبي الى القراءة :

كان النور الذي يتراءى عن بعض الكنائس والاديرة اشبه شيء بفتيل قنديل ضعيف يوقد في ليلة عاصفة فلا يخترق العتمة ولا ينير السبيل او كشمعة خافتة الضوء باهتة الاشعاع . وبينما كان العالم يشكو من جور الفـرس وطغيان الروم كانت الجـزيرة العربية حبلى بأحد احداثها الجسام بل باعظمها على مدى التاريخ ومرور الأيام فقد كان الله جل شأنه يضع نبيه على عينه ويعده لرسالته ليبعثه بعد ذلك هـاديا وبشـيرا وداعيا اليه باذنه وسراجا منيرا .

ولد النبي محمد (ص) في شـهر مـارس عام ٥٧٠ ميلادية في يوم الاثنين مـن ١٧ رمضان وكان شديد التأثر بصلة جده الاعلى ابراهيم خليل الله وابي الانبياء فـكان كلما استدار العام واتى شهر رمضان يعتكف في غار حراء صائما متعبدا متأمـلا في ملكوت السموات والارض مهاجرا الى ربه بقلبه وروحه من كل ما يدور حـوله مـن جهل وجهالة وظلم وعدوان فلقـد كان ينظـر الى العـالم بعين الانبياء حقـا فيرى الانسان وقد هـانت عليه انسانيته يسجد للحجر والشجر وكل مالا يملك لنفسـه مـن نفع أو ضرر ورأى الشعوب قطعانا ليس لها راع والسياسة كالجمل الهائج حبله على غاربه والسلطان سيف في يد سكران يذبح به نفسه مثل ذبح الاهل والعشيرة وبعد ان

بلغ محمد (ص) اربعين سنة كان الوقت قد حان ليظهر الله الرسالة . ويبعثه بالامانة فيبلغ عن ربه ويخرج الناس من الظلمات الى النور وكان يصعد الى جبل الصفا بمكة وينادي مخاطبا اهله وعشيرته قائلا : ما اعلم انسانا في العرب جاء قومه بافضل ما جئتكم به بخير الدنيا والآخرة . وتذكر كتب السيرة انه بينما كان يتعبد في غار حراء اذ اتاه ملك وفي يده صحيفة فقال له (اقرأ . فاجابه محمد مأخوذاً ما أقرأ فأحس كأن الملك يخنقه ثم يرسله ويقول له أقرأ فيقول ما أقرأ . وفي الثالثة قال محمد وقد خاف ان يخنقه الملك مرة اخرى ماذا اقرأ فقال الملك :

«اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم» فقرأها محمد وانصرف عنه الملك وقد نفشت في قلبه . وأخذ صلوت الله عليه بنشر دعوة التوحيد سرا ثلاث سنوات واتخذ دار الارقم مركزا لبث الدعوة .



القبة الخضراء فوق قبر
النبي عليه الف تحية في المدينة
المنورة في المسجد النبوي .

التراث

لقد اردت بمشيئة الله ان ابحث في المنهج العلمي اذ ليس من الجائز ان نتكلم في هذا الموضوع دون ان نتناول التراث العربي ولو بصورة موجزة غاية في الايجاز والاهم والافضل ان نبدأ من رصيد ومن واقع حصيلة ما عرفته الجماعات والدول العربية والاسلامية في كل مجالات الحياة من معنوية ومادية على حد سواء وبصرف النظر عن اصولها الاولى ، عربية او اسلامية كانت ام غير ذلك ، اذا لعبره بما آل اليه هذا التراث عبر العملية التعليمية التاريخية التي استمرت لعدة قرون من حيث انها اصبحت تمثل حضارة العرب والاسلام ورأس التراث (الخط العربي) فهو الاساس الروحي والكيان المعنوي للشعب والامة وعلى هذا فالتراث الثقافي هو مجموعة النماذج التعليمية التي يتلقاها جيل من الاجيال السابقة وهو الذي يدفع المجتمع الى السير خطوة جديدة في سبيل التطور فمن طريقة دراسة ذلك الارث يصل لعلماء الى التجديد والابتكار وكل فنان مدين في تجديداته وابداعاته الى ذلك الارث فهذا التراث بما انطوى عليه من خبرات انسانية من نتاج عصور حضارية قديمة سخر لها الانسان طاقاته العربية بمداها الحضاري وعمقها وتبنى قيما اكثر تطورا من كتابات القرآن الكريم بأيدي كتاب الوحي .

واذا كان الماضي ليس مجرد اكداس من المعلومات الموثقة بل هو حفظ يربط الحاضر بالماضي بوشائج قوية فان على الباحثين ان يسلطوا الاضواء على الحركات المضيئة من تاريخنا الحضاري الاسلامي الوسيط لا من اجل الرد على المتعصبين لجنس دون آخر من اجل هدف اهم واخطر وهو ان نجعل تاريخنا حافزا من حوافز نضالنا ونهضتنا الحديثة والتاريخ جزء من التراث الذي يجب ان يسخر بمجموعة لخدمة حاضر الامة ومستقبلها ، ولابد ان نأخذ منه لبنات ودعائم نبني عليها اسس نهضتنا العلمية الحديثة لخلق شخصية الفرد العربي اذا كانت الدعوة الى التحرر والثورة هي دعوة عالمية تشترك فيها الشعوب ممن عانى اذى التخلف وحرمان الخيرات من جراء السيطرة الاجنبية اذا كانت هذه الدعوة عالمية المحتوى فان لكل شعب شخصيته واصالته التي تؤهل له الوقوف متميز السمات امام كل الشعوب الآخرى . وهذه السمات هي ما يطلق عليه اسم الاصالة ، ولن تتوفر للامة شخصيتها التي تجمع بين كل صفات المعاصرة الحاضرة ومقومات الماضي التي اكتسبتها الامة بعد كفاحها الطويل وتجارب خاضها الاجداد وافادوا الامم والى الان مع كل اسف ما زالت المكتبة التاريخية في قطرنا العراقي لا تحتوي الاعددا محدودا جدا من المؤلفات التاريخية للمؤلفين العراقيين وما زلنا نعتبر الكتب المعربة عن كتب أجنبية غير وافية بالغرض أغلبها تتناول ناحية معينة لفترة تاريخية ومن هنا نرى الضرورة ماسة الى تأليف تاريخ عام يعرفنا بمختلف التطورات التي مر بها الاقليم عبر العصور التاريخية وان المؤلفين يجهلون اعراف ونزعات ولغة بلادنا .

طراز خط القرآن :

كان اقرب الناس الى نفس نبينا محمد (ص) هم كتاب الوحي . ولما جاء القرآن بنزول الوحي كان في قريش بضعة عشر يكتبون منهم : سعيد بن زرارة والمنذر بن عمرو وابي بن كعب وزيد بن ثابت ورافع بن مالك واسير بن خضير ومعن بن عدي وابو عيسى بن كثير واوس بن خولي وبشير بن سعيد .

وقد قرأت عن الكثيرين انهم يقتحمون هذا الفضل بذكر كتاب الوحي اولا ولا يستغنى عن ذلك : فجاء عن زيد بن ثابت قول النبي (ص) اتحسن السريانية فانها تأتيني كتب قلت لاقال تعلمها . فتعلمتها في ١٩ يوما .

ومما ذكر : دخل نفر على زيد بن ثابت فقالوا : يازيد حدثنا عن بعض حديث رسول الله (ص) فقال : كنت جار رسول الله فكان اذا نزل الوحي ارسل الي فكتبت الوحي وكان اذا ذكرنا الاخرة ذكرها معنا واذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا ، واذا ذكرنا الطعام ذكره معنا فكل هذا احدثكم عنه اما كتاب الوحي كما في شجرة الخطاطين فمن كتب النبي عليه السلام الخلفاء الراشدون الاربعة وعامر بن فهيرة وعبدالله بن الارقم وابي بن كعب وثابت بن قيس ومعاوية بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة بن شماس وخالد بن سعيد بن العاص وحنظلة بن الربيع الاسيدي وزيد بن ثابت كما هو مسطور في كتب السيرة وهم يزيدون على ٤٢ كاتبا .

كان تعلم الصبيان بالمدينة في الزمن الاول فجاء الاسلام وفي الاوس والخزرج عدة افراد يكتبون فلو كان يهودي علم المدنيين الخط لكان علم الخط العبراني فلما هاجر النبي للمدينة المنورة «يثرب» وهاجر معه من هاجر من اهل مكة انتشر الخط العربي هناك حينذاك بسرعة انتشار الاسلام .

واول ما احتاج المسلمون ان يكتبوا قرآنهم على يد الصحابة الكرام . كتاب الوحي واخذ الصحابة يكتبونه ويكتبون الاحاديث التي نهاهم عن كتابتها كيلا تختلط بالقرآن . وزاد شغلهم بها منذ عهد الخلفاء الراشدين كما زاد اعتناقهم بالتدقيق والاتقان والتجويد والتكميل . وان البلاذري من اقدم من حفظ لنا روايات العرب عن تاريخ خطهم .

كان نبينا محمد (ص) اميا كما اكد القران الكريم (سورة ٢٩ آية ٤٨) «وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون» فكانت كتابة مجردة من كل ما استعمل فيما بعد لصحة التلفظ . ويفخر الاسلام ان اول وحي اوحته السماء اليه كان في امر القراءة وثناء على القلم في «اقرأ باسم ربك الذي خلق الانسان من علق» اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم» روي عن النبي (ص) نقله البلاذري عن ابن اسحق انه قال : سمي اخنوخ «ادريس» لانه اول من خط بالقلم ودرس الكتب ولكن لا ندري كيف كان ذلك الخط . وعنه عليه السلام انه قال : اول من كتب بالعربية اسماعيل وعنه عليه السلام قال : يا ابا ذر اربعة (يعني

من الرسل) سريانيون اوم وشيت ونوح واخنوخ وانزل على اخنوخ ثلاثين صحيفة ولا نعرف كيف هذه الصحف ربمـا كتبت على اوراق البردي او الرق وكان مـن اول اطباق امر الخط العربي الاسلامي كتابة الوحي ومكاتيب الرسول للملوك والقياصرة والاكاسرة وحفظ القرآن لاهميته الخاصة فان كل امة وملة تعني بدينها اكثر من اي شي اخر فاهتم العرب بالقرآن جد الاهتمام ولم يزالوا في إتقان الخط وانتقاء اجمـل الخطوط التي عرفها العرب واتقنها لصـحة التلفـظ وعدم الابهـام وكتابات الفترة الاسلامية الاولى ترينا بوضوح لا يقبل الشك ان العـرب منذ البدأ عرفـوا خـطين : المدور النسخي والمزوي الذي عرف بالجزم والخطان نشأا معا ولم يشتق الواحد من الاخر والظاهر ان العرب عرفوا الخـط السـطرنجيلي «الكرشـوني» الذي كتب به السريانيون الاناجيل لما فيه من لياقة لكتابة الكتب المقدسة والخط الكوفي يحمل نفس الجلال الذي تعهدته الكوفة وكتبت به المصاحف في حياة الامـام علي بن ابي طـالب عندما اصبحت الكوفة المركز الثاني للخلافة في عهده .

انتقل الامام علي الى الكوفة سنة ٣٦هـ وظـل فيهـا حتى اسـتشهاده سـنة ٤٠هـ فالمصحف المنسوب للامام علي لابد ان يكون كتبه بالخط المدني ، لابالخط الكوفي ولم يكن الخط الكوفي قد ظهر بعد بهذا الكمال .

نص صلح الحديبية الذي املاه النبي (ص) فكتبه الامام علي بن ابي طالب :

احتاج المسلمون اولا ان يكتبوا القرآن والمداينات والمعاقدات والمصالحات ومنهـا اقدم مصالحة من عهد الرسول كتبها علي بن ابي طالب باملاء النبي عليه السـلام في فجر الاسلام بينه وبين قريش بصيغة التقاليد في زمانها ولم تصـل الينا تلك الوثائق رغم اهميتها التي تحتم انهـا كتبت على الرق ، واحتاج النبي عليه السـلام ايضـا كرئيس امة ودولة الى من يكتب له سائر ما يعـرض له مـن الحـوائج الى رؤسـاء القبائل والملوك المحيطين بالجزيرة العربية .

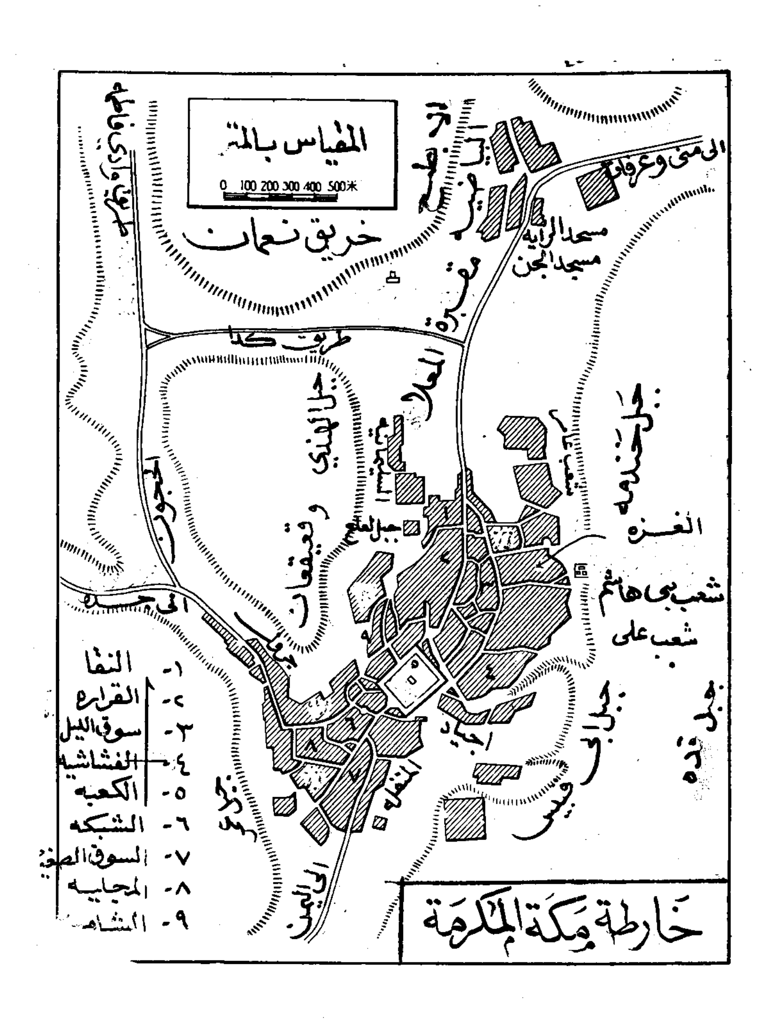
ونصوص هذه الوثائق التي كتبت في العهد الذي بدأ يفصل بين الجاهلية والاسلام لها اهميتها من كلماتها التي املاها الرسول عليه السلام وسمعها المسلمون وشهدوا بصحبتها . لان ما تعتقده امة صواب حقا واذ لم يأبه المسـتشرقون له فـان له نفس التأثير الذي ينجم عن الاعتقاد المؤكد بما هو حق وصواب وهو الذي جمعه المؤرخون ونشروه كما دون وها هي ...

اجلس رسول الله صلى الله عليه السلام وسهيلا ، ودعوا عليا ليكتب العهد فـاصلح لبقه دواته واعد قلمه وتهيأ للكتابة .. اكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) قال سهيل هذه فاتحة لا اعرفها وعبارة لا استريح اليها ولكن ليكتب «باسمك اللهـم» فيكتب علي ثم رفع القلم يستوحي عبارة العهد من رسول الله فقال «اكتب مـا صـالح عليه محمـد رسول الله سهيل بن عمرو» فامسك سهيل بقلم علي ، وقال : لا تفعـل ثم التفـت الى

رسول الله وقال : لو شهدت انك رسول الله ما قاتلتك ، ولكن اكتب اسمك واســم ابيك فقال رسول الله : اكتب «هذا ما صــالح عليه محمــد بن عبدالله ســهيل بن عمــرو : اصطلحى على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضــهم عن بعض على انه من اتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه وانه بيننا عيبة مكفوفة وانه لاسلال ولا اغلال وان من احــب ان يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن احب ان يدخل في قريش وعهــدهم دخــل فيه وان محمدا يرجع عامه هذا فلا يدخل مكة . فاذا كان ـ عام خرجت منها قــريش ودخلها بأصحابه فأقام بها ثلاثا معه سلاح المراكب ، السيوف في القرب .

وفرغ علي من الكتابة وشهد عليه رجال من الفريقين ، وقرأها المســلمون وكأنمــا دفعوا به الى امر عظيم ليس لاحد منهم فيه يدان .

ان التاريخ الاسلامي لا يحكي بتفصيل الاحداث التي لقيهــا أبطــاله الاوائل مــن صحابة الرسول كنماذج للايمان والعبر على المحن التي جابهوا بها قريشاً اذا اتفقت قريش ان يقاطعوا بني هاشم وبني عبد المطلب مقاطعة تامــة فــلا يصــاهرونهم ولا يتاجرون معهم ولا يناصرونهم . وكتبوا هذه القطيعة على قباطي مصرية بماء الذهب



وعلقوها على جدار الكعبة وها هي كما تخيلها المؤرخون يثبتون فيها تعاطي الكتابة بأسائهم وضرائهم كنموذج . عن : احمد برانئف سيرة الرسول .

نص رسالة من محمد عليه السلام في المواخاة جاء في السيرة لابن هشام « بسم الله الرحمن الرحيم» هذا الكتاب من محمد الى المؤمنين والمسلمين مـــن قـــريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم انهم امة واحـــدة مـــن دون الناس . وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس .. (ولليهود دينهم وللمسلمين دينهم) فوضع الرسول هذه الصحيفة اساسا للتسامح بين الناس .

المدينة المنورة :

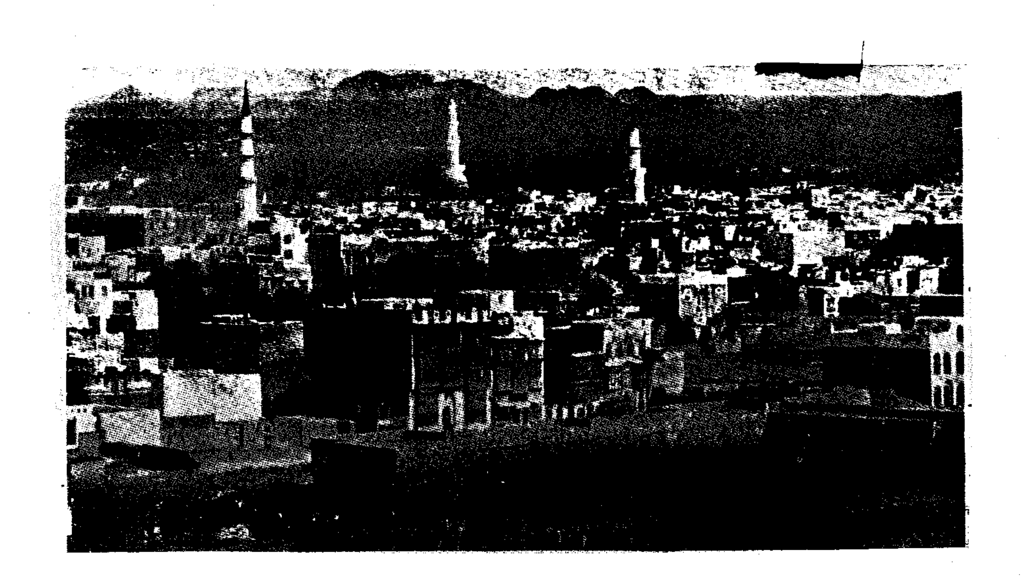
جاء في بعض الروايات ان هذا البيت الذي بني في دنيا الارض بناه الملائكة قبل آدم بالفي عام فلما حجـــه آدم قـــالت له الملائكة : بربك يادم . حججنا هـــذا البيت قبلك بالفي عام ثم تناسخت القرون حتى رفـــع أبراهيم القـــواعد منه وهـــذه الروايات الشعرية عن بناء الملائكة يعتبرها اكثر العلمـــاء مـــن الاسرائيليات التي دســـت على الاسلام فليس لها في كتاب قديم سبق نزول القرآن سند والقرآن لا يشير اليهـــا بمـــا يسوغ استنباطها . والقرائن كلها تشـــير على ان وادي مـــكة كان غير ذي زرع حين جاء ابراهيم بها جرو ابنه اسماعيل على ما جاء في القـــرآن الكريم «ان ظهـــرا بيتي للطائفين والركع السجود» .

ولقد دس على الاسلام مـــن الاسرائيليات الشيء الكثير . ولم يفتأ بنو اسرائيل منذ كانوا يحاربون النبي بالمدينة يحاولون ان يشـــوهوا صـــفاء التوحيد في الاســـلام ان يحيلوا روحانيته مادية ليضعفوا مـــن نفـــوس الاخـــرين به فليس ادعى الى ضـــعف النفس من ان يصبح العالم امامها مادة بدل ان يكون فكرة سامية سماويه . وليبلغوا من ذلك غايتهم دسوا الكثير من الاحاديث ونسبوها الى النبي (ص) .

اما الثابت الذي اجمع عليه المؤرخون . فـــذلك بناء الكعبة على عهـــد محمـــد (ص) حين طغى السيل عليها ودهن جدرانها . فلما بلغ القوم مكان الحجر الاسود اختلفوا وكادت تنشب الحرب الاهلية بينهم . ثم احتكموا الى اول من دخل باب الصفا ودخل محمد من هذا الباب وحكم بينهم بان وضع الحجر وسـط ثوب رفعـه اهـل القبائل المختلفة من اطرافه ثم رفع الحجر ووضعه مكانه من البناء وما لبث حين ارتســمت هذه الصورة امامي ان انتقلت فجاة ارى صورة اخرى تنبعـث امـامي كلهـا روعة وجلال تلك صورة محمد والمسلمون من حوله وهـــو يقضي بينهـــم قضـــاء تطمـــئن له نفوسهم وتستريح له افئدتهم ويوم فتح مكة فها هو ذا متمطيا ناقته القصـــواء وهـــو متجه الى الكعبة واصحابه من ورائه . ومن ورائهم عدد من سادات مـــكة وكبرائهـــا ويطوف رسول الله بالبيت سبعا ثم يقف امام بابه فيدعو الســـادات ويدعو الســـادن عثمان بن طلحة فيفتح الباب لجوف الكعبة فيقف محمـــد فيه وقـــد تكاثر الناس مـــن

حوله فيخطبهم ويتلو عليهم قوله تعالى : (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) ما اعظمها ساعة من ساعات التاريخ عندما توجه محمد الى الله وحده وله الحمد واليه يرجع الامر كله .

العودة بالذهن الى الليلة التي هاجر فيها الرسول من مكة الى المدينة قبل ١٣٩٠ عام .



المدينة المنورة

المهاجران في جوف الغار .

فاما هذان الرجلان اللذان يسريان وقلبهما مفعم بالايمان في ساعة الهجود قبيل الفجر من الليل متجهين الى اقرب مخرج من مخارج مكة صوب الجنوب لاينبس احدهما بنيت شقة شفه قد خرجا بين الجبال وان لهما ان يخرجا من صمتهما فيسر محمد (ص) الى صاحبه أنهما صارا من العيون بمنجاة فما يكاد يحسن وجود ابي بكر الى جواره ومحمد (ص) مستغرقا اثناء مسيره في التفكير وهو يسير خلفه ثم يلتمس صاحبه فاذا هو قد سبقه يسير امامه والجبال حولهما تشهد مسراهما وحيدين لم يسر قبلهما في مثل هذه الوحدة احد ولا يدري كل منهما ما الله صانع لقد اسر محمد (ص) ا' ، صاحبه ان الله اذن لهما في الهجرة التي تكون من مكة الى

يثرب ولكنهما لن يخرجا باعين الناس والناس لمحمد (ص) بالمرصاد وقد اتمـروا به ليقتلوه والليلة موعوده وهذا علي بن ابي طـالب في دار محمـد (ص) تسـجي برده الحصرمي الاخضر ونام حيث ينام ابن عمه مبلبل النفس منذ اسر اليه ان يؤدي مـا لديه من ودائع للناس بعد مغادرته اياها وهؤلاء فتيان قريش بالباب ينظرون لعلهـم يصيبون من محمد (ص) فرصة يفتكون به فتكة رجل واحـد حتى يضـيع دمـه بين القبائل .

ويظل محمد (ص) وصاحبه ابو بكر في انطلاقهما الى غايتهمـا يسـعدهما نسـيم الليل الرقيق حتى يبلغا اسفل غار ثور وما كان لهما ان يتخوفا مشقة او عنتا وهمـا من ابناء الجبال قد الفا خشونة العيش ولمسراها صورة روحية صورة مـن يتهـون بالحياة ومتاعها وبلغ الرجلان الغار فتقدم ابو بكر فـاستبرأ المكان ممـا حـوله ثم استبرأ الغار مخافة ان يكون به ما يؤذي الرسول فلم اتمهل ان قلت له : هلم بنا الى الغار قال : خير لك ان تدور حوله وان تدخل من صغرى فوهتيه فالدخول منهما امن ان لم يكن اشد يسرا . ودرت ودخلت منحدرا ووقفت ما اتاح سقف الغار لي ان اقف وجلست في شبه الظلمة وهذه الفوهة الكبرى مستديرة أسفت كمـا اسـف غيري ان اجترأ امير من امراء المسلمين فأوسعها عن حسن نية لييسر الدخول لمن اراد فجعل قطرها نحو متر هذه هي الغار التي اوى اليه رسول الله وصاحبه نجاه بنفسيهما من قريش متوجها بكل قلبه الى ربه يناجيه ويدعوه ان يصحف عنه كيد عدوه وصـاحبه مطمئن بجانبه بطمأنينة وقريش بمكة في حيرة من امرها كيف استطاع محمد الفرار وهي ما تنفك تأتمر وتدبر لقتل محمد (ص) في كل ناحية مما حـوله مـكة وقصـاص الاثر تبحث مما لا يرد بالخاطر وكان على مقربة من الغـار راع لم يلبثوا حين رأوه ان سألوه هل رأى محمدا (ص) او ابا بكر وهل عرف اين ذهبا ؟ واجاب الراعي قد يكونان بالغار وان لم ارَ احدا امه .



مشهد غار حراء قرب مكة لجأ اليه محمد (ص) وبرفقته ابو بكر الصديق مـن

صفة الكتابة في عهد الرسول والصحابة في الحجاز

ان الخط العربي احدث الخطوط السامية تمهداً في ش ه الجزيرة العربية ولكنه تفشى وانتشر اكثر من اي خط سامي اخر كما رسم تخطيط نشأته وانحداره عن الساميات في عصرنا الحاضر بعد الهزات العنيفة التي احدثتها المكتشفات التكنيكية والتنقيبات في الشرق الاوسط فخلفت في عقول الناس ونفوسهم مايستحق الاهتمام للفتح الى مزيد من التوعية بل واقصاها .

ان العرب قبل الاسلام لم يذكروا شيئاً عن عنايتهم لهم بالوثائق المكتوبة الا ما ندر وكشفته لنا علوم الحفريات حالياً مما يدهش المؤرخ كما سنرى في اخبار الكنعانيين والسومرين والمصريين والسبأيين ولم يترك لنا العلماء مما بوب لنا البلاذري المتوفى سنة ٨٩٢ م من امر الخط العربي ورواياتهم مايستحق الذكر والتنقل من قديم الزمان سوى قصص عن حضارة اليمن الخضراء التي استعملت خط المسند الحميري الذي كشف لنا عما لايستهان به من اخبار لتفرعاته «الصفوي – اللحياني ، الثمودي» وبعض الآثار في القلاع والاسوار والسدود وان كتابة سد ابرهة في مأرب بالخط المسند الحميري وابرهة مات عند ولادة نبينا محمد عليه السلام

مما يثبت ان هذا الخط العربي الاقدم كان رائجاً في جنوب الجزيرة حتى الهلال الخصيب ودومة الجندل ولابد ان نشوان الحميري الذي كتب عن صفة جزيرة العرب او من اسلم من اهل اليمن مثل ابي هريرة كان لابد ان يعرف ذلك الخط من كان على مشارف المدينة والحجاز والتاريخ يقول سبق ان فرض اهل اليمن سلطانهم على عرب شمال الحجاز وهو الاقليم الذي كان الاشوريون يطلقون عليه التسمية القديمة «عمورو» «او عريبي» فهل يحتمل ان تكون تلك العلاقات السياسية التي ادت الى شيوع خط المسند وفروعه وتفشيه الى شمالي فلسطين السبب مما دفع فيه ابن خلدون ومن سلك تصحبهم بطريق دومة الجندل يوم كانت عاصمة دولة الانباط «سلح» التي كانت لامعدى لمرتحل القوافل من المرور بها فالخط الذي ذكره ابن خلدون يحتمل ان يكون قد انتقل من اليمن الى الحيرة بشكله (المسند) ومن الحيرة ارتد الى الطائف بشكله الشمالي الذي مر بدومة الجندل وهي المفترق الذي عاهد النبي عليه السلام مع اكيدر (اخي البشر) بن عبدالملك صاحب دومه التي ذكرها سعدا وكان في الاصل من اهل الحيرة وكتب الكتاب وختمه بظفره والختم بالابهام معروف في جميع العالم القديم اما الختم بالظفر فهو امر يتعلق بالطرق خاصة فقد نجد هناك كتابات على اللبنات فيها علامة مثل الهلال الصغير في آخر النص ويقول فريق المعاهدة : ختمتة بظفري ولذلك ختم النبي عليه السلام بظفره بناه على طلب اكيدر .

نماذج خطنا القديم

قلنا ان الخط لا يدرس الا بالنماذج كالرسوم التصويرية ومن الغريب ان يظفر الرواد باقدم النماذج التي عثر عليها في سورية لكتابة الملك امرء القيس اللخمي في النمارة وزيد جنوب شرقي حلب ونقش حران في اللجا ونقش ام الجمال «جميل» في عين القصر وابواب الكنائس كما فصلنا ذلك انفا في كتابنا هذا .

كيفية نشر علم الخط في مكة والمدينة قبل الاسلام :

بعد ان تتخطى ما ذكرته الموارد العربية وعلى رأسها البلاذري وهو اقدم من ذكر نشر علم الخط العربي في مكة ويثرب في قريش وعرفنا ان بشر بن عبدالملك وهو معلم المعلمين وان الكتابة والخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية فهي على ذلك ضرورة اجتماعية اصطنعها الانسان ورمز بها الكلمات والكتابة على ما هو معروف المرتبة الثانية من مراتب الدلالة اللغوية تابعة في نموها وتطورها شأن كثير من الصناعات تنعدم مع البداوة وتكتسب بالتحضر والمعروف ان عرب الحجاز اشتغلوا الى شمالها ذهابا وايابا في رحلتي الشتاء والصيف ولا محيص من تخصيص الرجال الثلاثة الذين اجتمعوا في ريفه التي تقع على نهر الفرات لأنشاء خط شعبي عربي يميل الى الاستدارة يكفل السرعة ويظهران اجتماع الطائيين الذين عرفهم المؤرخون وهم (مرامر بن مرة ، واسلم بن سدرة ، وعامر بن صبروة) كان بين القرن الثالث الميلادي ونهاية القرن السادس وكان فيها رحلة الخط الشمالي من الحيرة الى الانبار في اواسط الفرات الى الحجاز وكانت الغاية من ذلك الاجتماع انهم وفقوا لقياس حروف الهجاء العربية على هجاء السريانية وهي مهمة اكاديمية لا يقوى عليها الا ذو حظ في العلم والمعرفة وقد يكاد يكون هناك اجتماع على العرب لم يصيبوا دراية بالكتابة الا نتيجة لانتمائهم الى الاطراف الفنية المحيطة بشبه الجزيرة في اليمن والحجاز وسوريا ونجوع حروان والشام لطول عهدهم بالاحتكاك بحارة الرومان . والمرجح ان ظاهرة الكتابة قد وجدت سبيلها الى مكة والطائف عن طريق دومة الجندل بالمدينة المنورة والثابت الذي ذكره البلاذري (آنفا عن اعمال بشرقي مكة هي ان ، سفيان بن امية بن عبد شمس وابو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب رأيا رجلا يكتب فسألاه ان يعلمهما الخط فعلمهما الهجاء ثم أراهما الخط فكتبا ولعل سفيان بن امية المذكور هو ابو شعبان بن حرب ولا ان النبي راهم جميعاً لما كان صبيا .

لقد ذكر صاحب الفهرست ان اول الخطوط العربية الخط المكي ، وبعده الخط المدني ثم اوضح عن شكل المكي والمدني فقال : ان في الفاته تعريج الى يمنة اليد شكله انفجاع يسير وهو الخط الذي كانوا يكتبون به قبل الاسلام . وكانت الكتابة منتشرة في مكة اذ كان فيها ١٧ رجلا وكذلك كان فيها نساء يكتبن او يعرفن القراءة

واول من كتب للرسول عليه السلام في المدينة وهو «ابي بن كعب» وروى الواقـدي ان عبدالله بن الارقم الزهري كان ايضاً يكتب رسائل الرسول وان علي ابن ابي طـالب كان يكتب عهود النبي اذا عهد وصلحه اذا صالح وكان عدد كتاب النبي ٤٣ كاتباً .

ولقد كان النبي محمد عليه السلام المعين الاول على نشر الكتابة وتعلمهـا اذ كان امره بعد غزوة بدر الى عبادة بن الصامت ان يعلم الناس الكتابة وانه عليه السـلام وافق على اطلاق سراح كل اسير لقاء تعليمه الكتابة والقـراءة لعشرة مـن صـبيان المسلمين وأنه القائل : قريش هم الكتبة الحسبة وهم اهل الجنة .

نص رسالة الرسول (ص) الى المقوقس عظيم الاقباط يدعوه الى الاسـلام عن دار الاثار العراقية عثر عليها في كنيسة اجميم .

١ ــ «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله» «فان توليت فعليك اثم القبط» .

٢ ــ «رسوله الى المقوقس عظيم القبط سـلام على» «ويا اهـل الكتاب تعـالوا الى كلمة» .

٣ ــ من اتبع الهدى (اما) بعد (فاني اد) «سواء بيننا وبينكم الا تعبدوا الا) الله .

٤ ــ «دعوك بدعاية الاسلام اسلم» «ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا» .

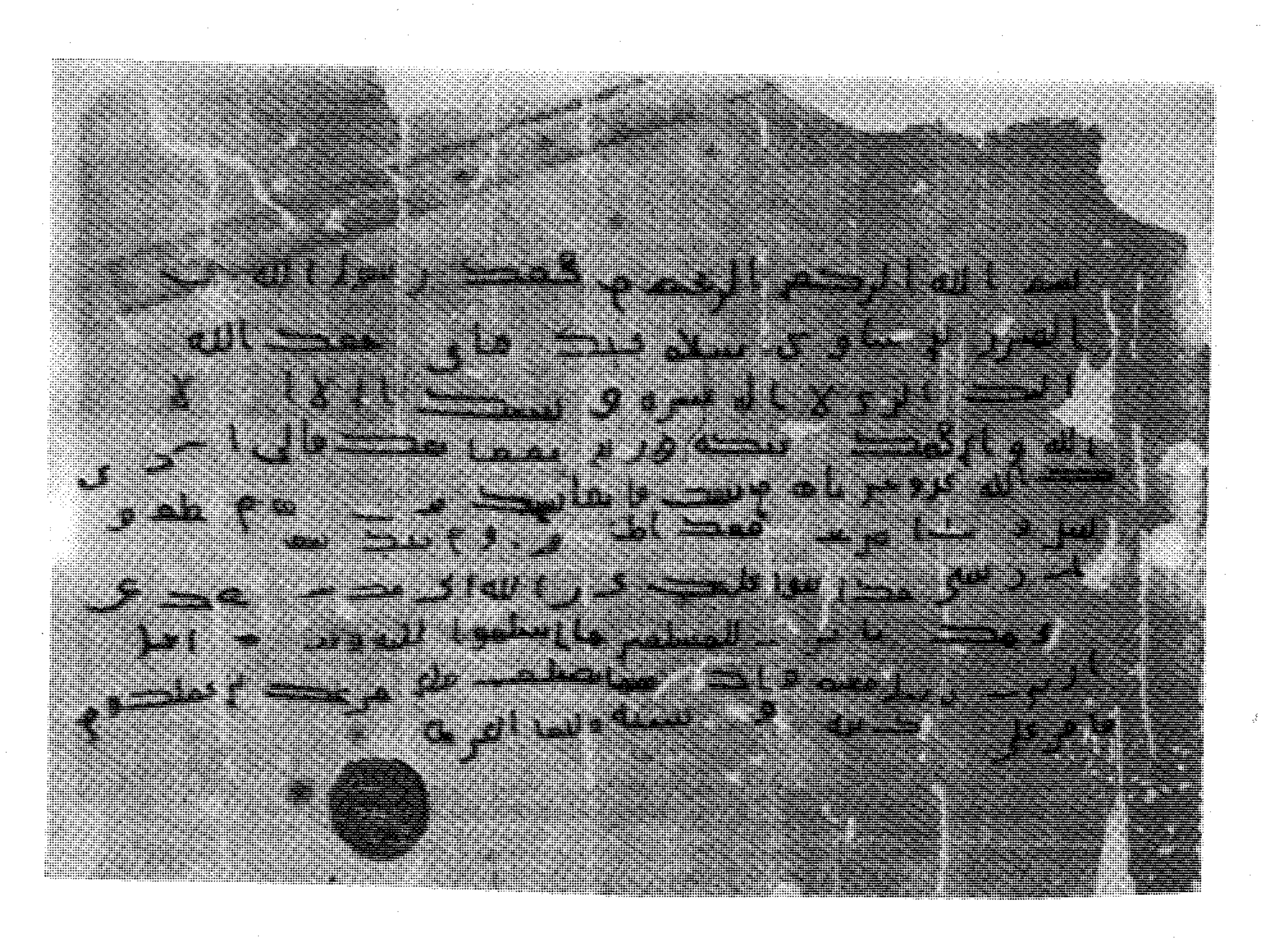
٥ ــ «تسلم يؤتك اجرك مرتين» «بعضا اربابا من دون الله فا (ن) لو» لو فقولوا اشهدوا بانا مسلم .. (لمون) .

تقول المصادر ان هذا الكتاب كتبه احد كتاب الرسول عليه السلام ارسـله مـع حافظ بن ابي بلتعة الى المقوقس عظيم الاقباط في الاسـكندرية عثر عليه مسـتشرق فرنسي يدعى «بارشيلمية» في كنيسـة اخيم سـنة ١٨٥٠م ملصـق على غلاف انجيل قبطي قديم فلما علم اهميته قدمه للسلطان عبدالمجيد العثماني فحفظ الى حين نشره ومساحة هذه الرسالة المكتوبة على الرق ٤٢,٥ × ٣٠بم وان بعض اقسـامها فيهـا تلف وهي محفوظة للآن في متحف طوب قبو امانات ولكن المستشرقين بصورة عامـة قد تحملوا الاسباب لاظهار زيفها وانكارها وهم في درجـة مـن الجهـالة وانهـم لا يعملون انه كان عدد كتاب الرسول ٤٣ كاتباً ولاشك ان هذه الرسائل صحيحة . وقـد رد العالم محمد حميد الله على اعتراضات المستشرقين وانها جميعاً تملك خصـائص الخط العربي الجاهلي «المكي والمدني» وان المقـارنة الدقيقـة بين حـروف هـذه الروايات المؤرخة (٢٢هـ) وهي الرد المفحم لكل طاعن .

تقييم رسالة الرسول عليه السلام

لو ساءلنا انفسنا ان رسالة مثل هذه نسبت الى قديس او جد من الاحبار واراد رجال الفن ان يجعلوا لها اطار لائقا فماذا عساهم كانوا يصنعون في حين هذه الرسالة قد إحتوت على ذكريات روحية لم تحوها اية رسالة مثلها بين رسائل قادة العالم وابنائه وان ذلك لابد ان يلهم ارباب الفن اسمى صور الفن والوانه ولكنها اذا تتداعى جميعاً تجعلهم في حيره لا يجدون وسيلة الى صورة او معنى بداية يحملها ويطبع في النفس اثرا باقيا بقاءها اللهم الا ان يلهموا اية رمزية تمثل قلما ينبثق منه النور تسطر كلمات زاهية فضلا ومعنى ساميا ومكانة واعتبارا اثريا وتاريخياً وقدرا عظيما لم تخمد جذوتها طول الزمن .

هذا جزء من صفحة مبكرة من ورقة بردية محفوظة في المكتبة الوطنية في فينا مجموعة (دنير) اصلها مكتوب بخطين عربي واغريقي نشرت في دليل معرض فيينا تحت رقم ١٨٩ ــ ٥٥٨ تعود لعهد خلافة عمر بن الخطاب سنة (٢٢هـ) نشرها «كروهمان» في كتابه وكتابة هذه البردية منقولة على حرف النون والشين والزاي



والذال والخاء ، فوجود هذه النقــط على بعض الحــروف ذو اهمية لتاريخ حــدوث النقط والنص الكلي في هذه الوثيقة هو .

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اخذ عبدالله .

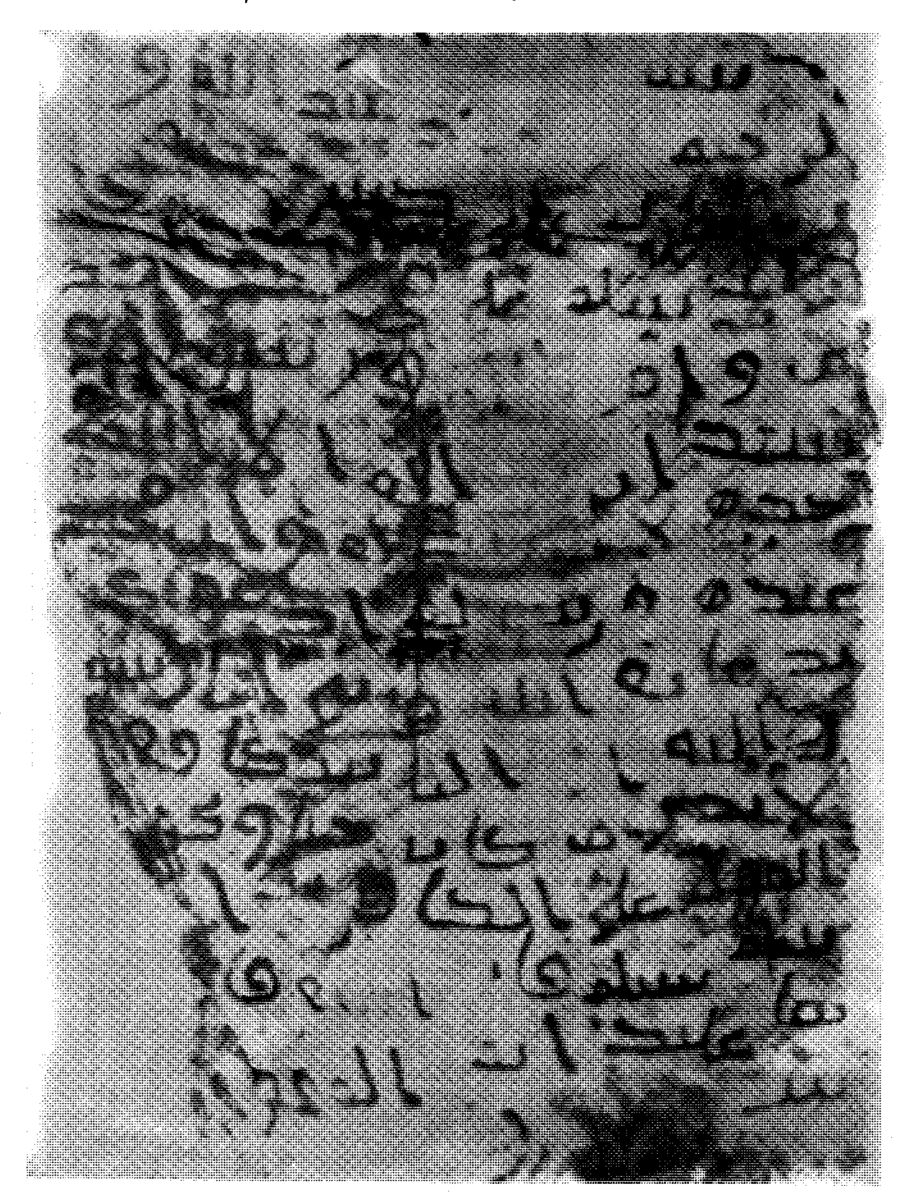
٢ ـ ابن جبير واصحبه من الجزر من اهنس اخذنا .

٣ ـ من خليفة تذرق ابن ابو قير الاصــغر ، ومــن حليفــه اصــطفى ابن قير الاكبر خمسين شاه .

٤ ـ من الجزر وخمسة عشر شاه اخرى اجزرهـا اصحب ســنة وكتبئه وتقــلاه في ٥ شهر جمادي الاول من سنة اثنين وعشرين وكتب ابن حديده .

صورة رسالة النبي (ص) الى النجاشي ملك الحبشة

صورة الرسالة التي اكتشفت حديثا (وخطها يختلف قليلا عن الرسائل المتقــدمات والكوفي اقرب وهي من النبي (ص) الى النجاشي امبراطور الحبشة وقد بحث حولها البروفسور محمد حميد الله نزيل باريس وقــد اشــير اليهــا في مجمـــوعة الوثائق السياسية ص ٢٥/٤٥ وقد عثر وظفر بها البروفســور د . م دفلوب ونشرهـــا في مجلة



الجمعية الملكية الآسيوية في شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٠م واحتفلت بهـا الجمعية الجغرافية البريطانية ـ ونقلت هذه الصورة لنا من المتحف العراقي ـ مديرية الآثار العامة ببغداد وتحت رقم (م. ق ١٢ ـ ٧٣).

Anew prophic letter (Tofase p. 54)

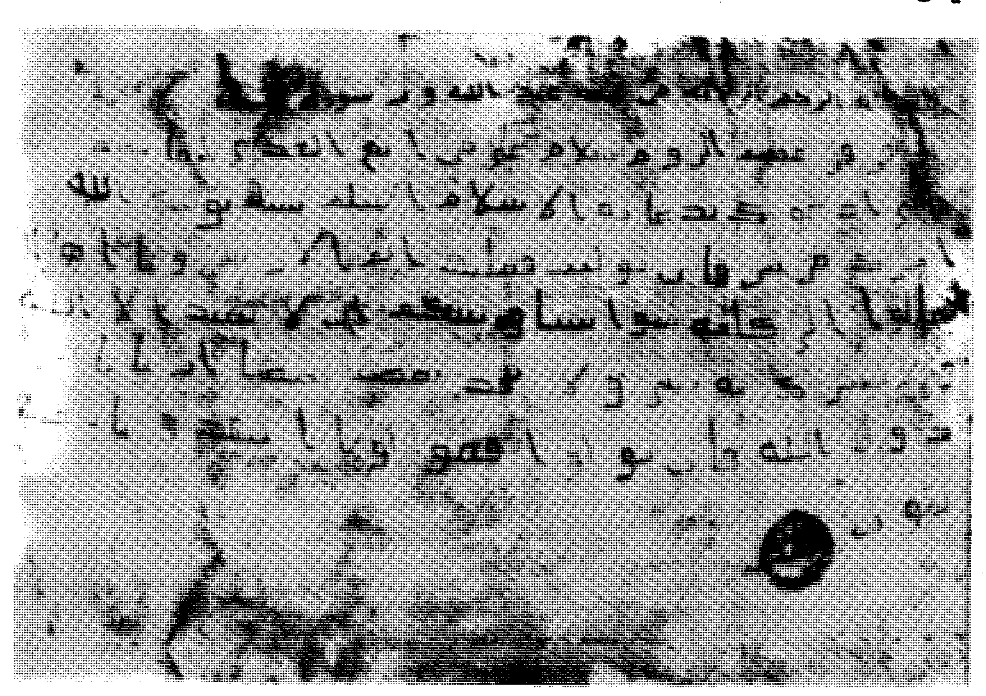


نص الرسالة بحسب سطورها الـ ١٧ سطرا :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ ـ من محمد رسول الله الى النجا
٣ ـ شي عظيم الحبشة سلام على من .
٤ ـ اتبع الهدى اما بعد فأني احمد اليـ .
٥ ـ ك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن واشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونعمه .

كما خلق ادم بيده واني ادعوك الى الله وحده لا شريك له والمولاة على طاعته وان تتبعني وتوقن بالذي جاءني فاني رسول الله واني ادعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا (كذا) نصيحتي والسلام على من اتبع (كذا) الهدى .

مجموعة الوثائق والمصادر تذكر ان مكاتيب الرسول (ص) الى النجاشي متعددة انظر الطبري ج٢ والكامل لابن الاثير واسد الغابة .

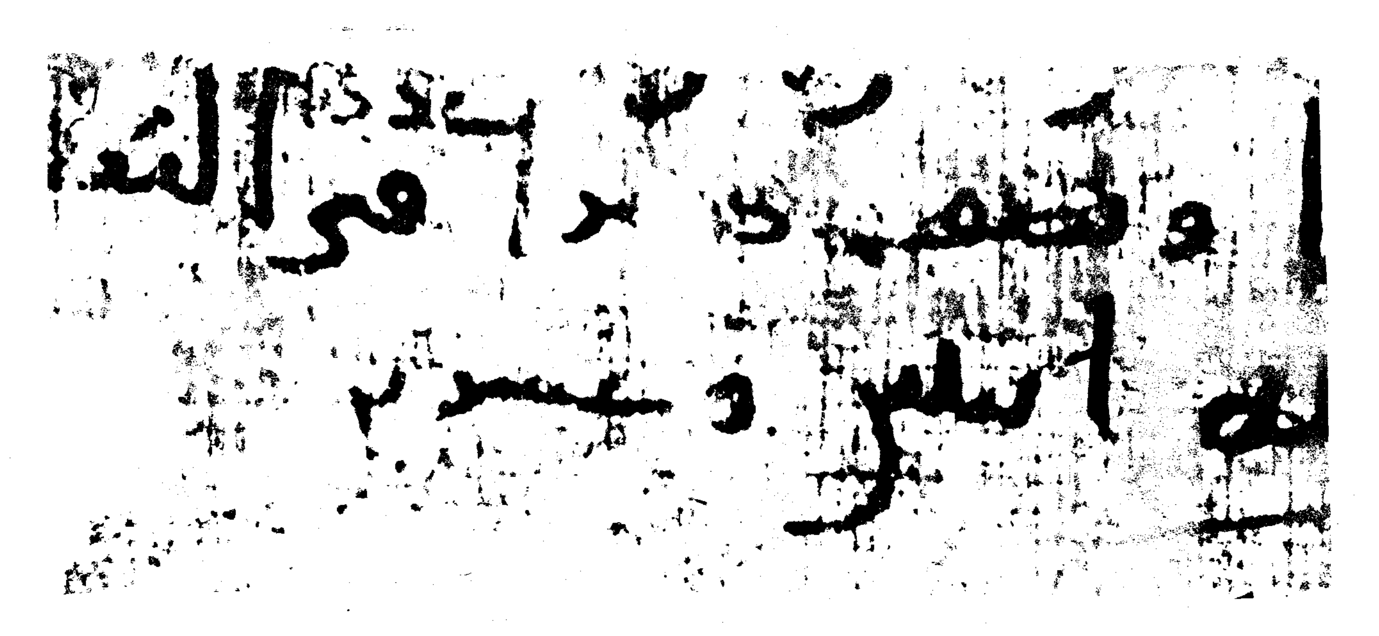


صورة رسالة النبي (ص) الى كسرى ملك الفرس عن اصلها المحفوظ في خزانة (هنري فرعون) ببيروت نشرت في جريدة الحياة ٢٢هـ ١٩٦٣ تحت مقال للدكتور صلاح الدين المنجد ولكن لم تنشر قراءة كلماتها الا ان كتب السير وطبقات L, eprophete de I, Islam

ابن سعد تقول انه لما تم صلح الحديبية في شهر ذي القعدة سنة ستة من الهجرة رجع رسول الله قرير العين بما فتح الله له .. فعندئذ كتب الى الملوك من العرب والعجم ورؤساء القبائل والاساقفة والمرازبة والعمال وغيرهم يدعوهم الى الله تعالى والى الاسلام فبدأ بامبراطوري الروم وفارس وهي تتضمن معنى واحدا وتروم قصدا نادرا . وان كان اللفظ مختلفا وهذا نص كتابه الى كسرى بن هرمز ملك الفرس وترينا الكلمات الى فن السطور وضوح ما هو آت .

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله . ادعوك بدعايته الله فاني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اسلم فان ابيت فعليك اثم المجوس .

وقد ذكرت كتب السير ان هذا الكتاب سلم الى عبدالله بن حذافة السهمي القريشي ورفع بيد كسرى وقصته طويلة ولمن اراد الاستزادة فليرجع : السيرة الحلبية والسيرة النبوية وتاريخ اليعقوبي وقد حاول كسرى تمزيقه ولكن الرق بقي خالدا وفيه اثار التدمير رغم مرور السنين والدهور .



نسخة رسالة من محمد (ص) الى هرقل امبراطور البيزنطين المرسلة اليه بيد المبعوث (دحية بن خليفة الكلبي) .

كتبت جريدة الانوار الصادرة ببيروت في العدد ٤٨٤٤ الصادر يوم الأحد ٥ ايار ١٩٧٤ السنة ١٥ تحت عنوان (دولة الامارات تعلن عن اكتشاف وثيقة دينية هامة) اعلن في ابي ظبي عن كشف ديني وتاريخي هام يتعلق بالكشف عن الكتاب النبوي الشريف الذي بعث به الرسول العربي الى هرقل امبراطور الدولة البيزنطية . وقد تبنى الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الامارات هذه الوثيقة التي كانت في حوزة اميرة عربية وكلف مستشاره الثقافي الدكتور عز الدين ابراهيم باجراء الابحاث اللازمة للتحقيق من صحتها .

وقالت صحيفة (الاتحاد) الصادرة في ابي ظبي ان الدكتور عزالدين اعلن في مؤتمر صحفي عقده يوم الخميس الماضي ، ان عملية التحقيق استغرقت عاما كاملا استعان خلاله بخبرات عدد من العلماء الاوربيين كما استفاد من الامكانيات المتاحه لدى

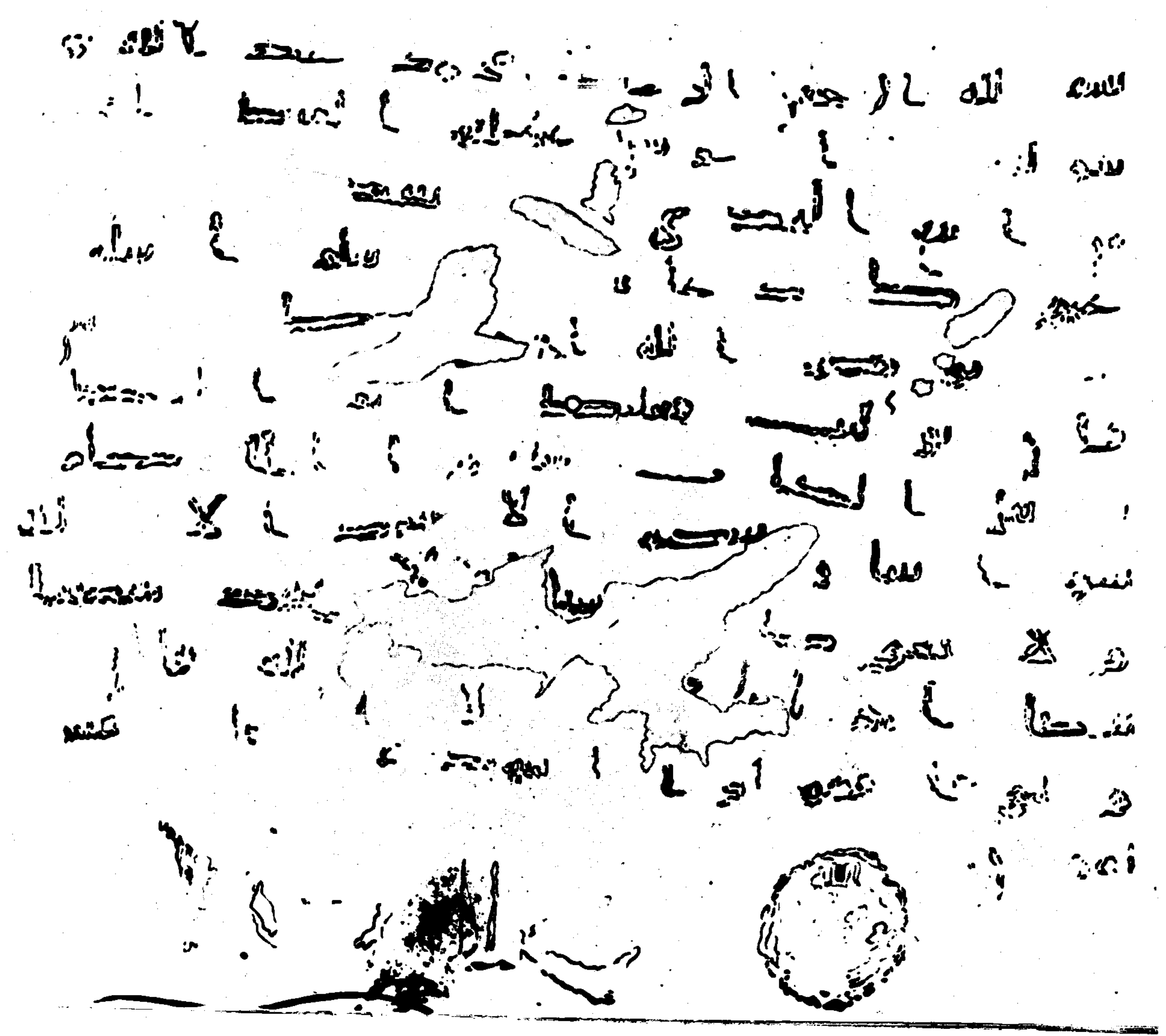
المتحف البريطاني في لندن ، ومختبرات جامعة ليدز البريطانية . وقال المستشار الثقافي ان عملية التحقق اسفرت عن ترجيح صحة هذه الوثيقة ونسبتها الى الرسول الكريم عليه السلام باعتبارها الرسالة الحقيقية التي تسلمها (هرقل) من مبعوث الرسول (دحية بن خليفة الكلبي) والتي ظلت متوارثة في أسرة هرقل وكان منهم حكام في الاندلس . وكان اخر العهد بوجودها عند امير طليطلة (اذ فونسن) . ثم انقطعت اخبارها بعد ذلك . وكان من المعتقد انها فقدت بعد خروج المسلمين من الاندلس . ولكن تبين ان هذه الوثيقة قد آلت الى اميرة عربية تقيم حالياً في لندن وقال : ان الشيخ زايد عندما علم بامر الوثيقة اوفده الى زيوريخ حيث كانت مودعة في خزانة خاصة باحد البنوك : ثم جرى نقلها بحضور الامير الى خزينة اخرى باحد بنوك لندن . وقد اقتضى البحث الاتصال بعدد من الخبراء الدوليين والمتخصصين . وقال الدكتور عزالدين انه بعد ان تم فحص هذه الوثيقة من الناحية التاريخية ومن ناحية النص والخط ، وبعد اجراء الفحوص المختبرية المكروسكوبية وبالاشعة فوق البنفسجية وبالتحاليل الكيمياوية وبتفحيم الجلد (الرق المكتوب) ثبت مايلي :

١ ـ ان عمر الرسالة هذه يزيد على الالف وثلثمائة سنة . (وهو اقصى عمر يمكن للمختبرات الحديثة ان تتوصل الى معرفته) .

٢ ـ ان هذه الوثيقة صحيحة ـ او على الاقل نسخة من الاصل حيث كانت هذه الرسائل يحتفظ بنسخ منها لدى ديوان الخليفة عمر بن الخطاب .

كما يمكن الاستشهاد باحتفاظه بنسخة المصحف الذي حافظت عليه وهو الذي جمعه عمر في الصحف ، فكانت الصحف عند ابي بكر حتى مات ثم عند عمر حتى مات ثم عند حفصه . والاسلام وهي صور التوحيد والاخاء والانسانية صفاء وقوة . فهذا الرمز هو جوهر ماترمز اليه رسائل النبي الكريم محمد (ص) ..

لقد اندرت اشياء كثيرة وعفا عليها الزمن ومنها مساجد للنبي ومواقع غزواته ومحل ولادته وولادة الخلفاء الراشدين وغيرها مما يثير المشاعر الجليلة لضعف اعتناء رجال الصحافة الكرام بها وانصرافهم لما هو اهم وهو ضبط الشريعة والدين عنها باللسان والسنان ، ولهذا فقد ضاعت اشياء كثيرة لم تصل الينا الفاظها في متاهات الجزيرة كما اختفت غيرها من الاثار الاسلامية ومن مصاحف بلغ عددها الخمسمائة في حرب صفين وهي التي رفعت على الرماح . ان الاثر الخالد القائم على مر الزمان في الحجاز وديار الحجاز وسيبقى خالدا الى قيام الساعة هو بيت الله وكل اثر غيره يتصل به . وقد شمر العلماء الافذاذ عن ساعد الجد للرد على تقولات المستشرقين التي كانت اضعف حظا بالتثبت العلمي ، فهي متنفسهم المكشوف لمشاعرهم المخفية ، واذكر منهم الفيلسوف الحجة محمد حميد الله في كتابة انظر عن هذه الرسائل : (ابن طولون اعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين) ، حميد الله الوثائق السياسية) والمصادر الاخرى منها كتاب (مكاتيب الرسول ، على الاحميري) .



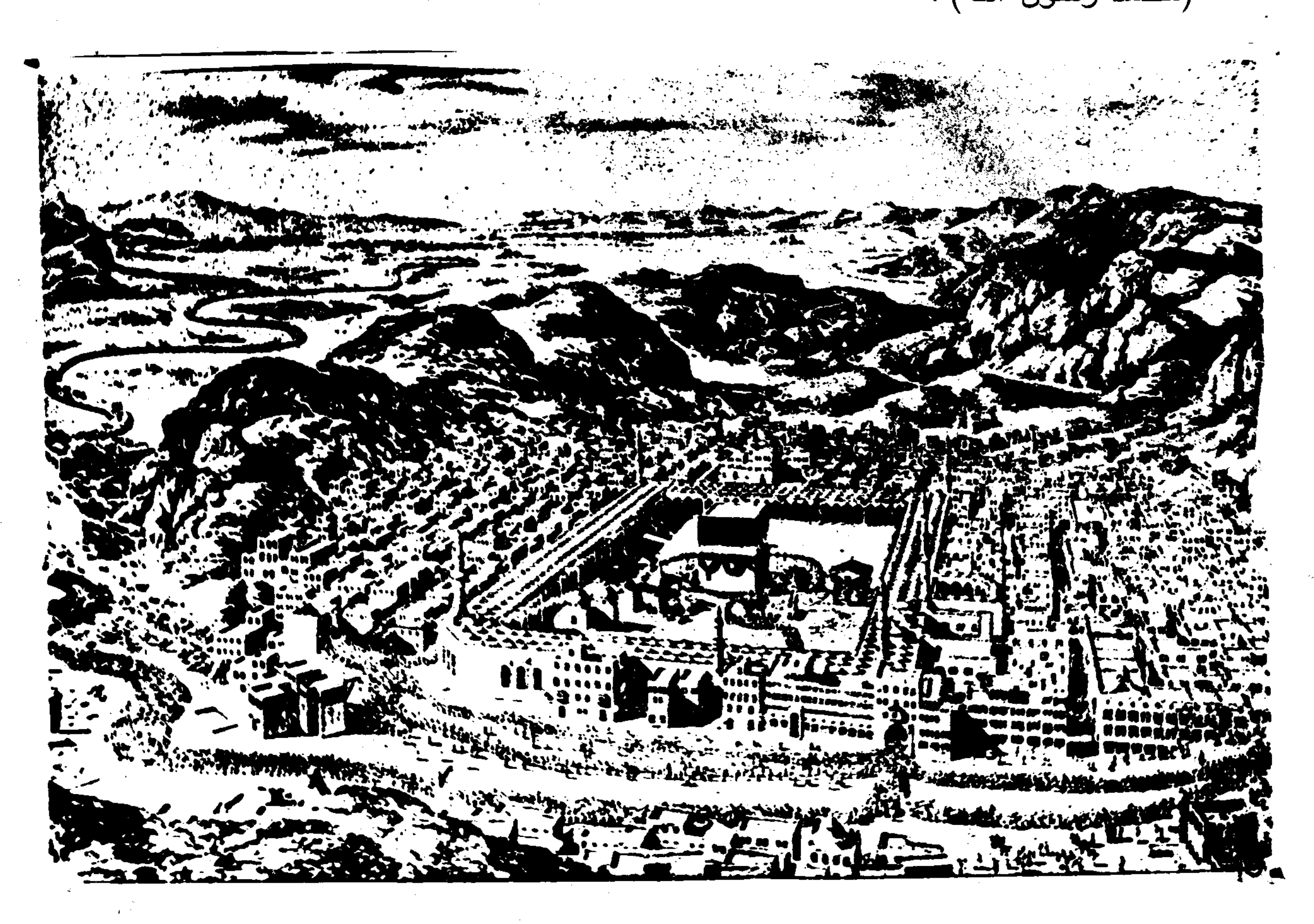
صورة رسالة النبي (ص) الى المقوقس عظيم الاقباط عن الاصل المنشور - يدعوه الى الاسلام :

وانظر الدراسة التي كتبها الدكتور المنجد عن الرسالة النبوية التي يحتفظ باصلها هنري فرعون في خزانته ببيروت ، ونشرها في جريدة (الحياة البيروتية ، السنة ١٨ ، ١٩٦٣ ، العدد ٥٢٤٢ في ١٩٦٣/٥/٢٢ وجريدة (لوجور - البيروتية العدد ٨٨٢٢ في ١٩٦٣/٥/٢٣ . وانظر مجلة الابحاث ١٩٦٤ ، ص ٢٢٧ و ٣١٦ . (ابو الفرج العش ، كتابات عربية غير منشورة في مجلة الحوليات) .

- عثر عليها في كنيسة احميم في صعيد مصر . وهي اعظم وثيقة كتبت بالخط الحجازي ، المكي او المدني (عن الوثائق السياسية - دار الاثار العراقية - المتحف ١٢/٧٢ م .ق) . نصها بحسب ترتيب السطور وخصائص خطها هو الخط الشائع في مكة والمدينة في ذلك العصر .

١ - بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله و .

٢ ـ سوله الى المقوقس عظيم الاقباط .
٣ ـ سلام على من اتبع الهدى اما بعد .
٤ ـ فاني ادعوك برعاية الاسلام .
٥ ـ اسلم تسلم يؤتك اجرك .
٦ ـ مرتين فان توليت فعليك .
٧ ـ اثم كل القبط .
٨ ـ ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة .
٩ ـ سواء بيننا وبينكم ان لاتعبدوا .
١٠ ـ الا الله ولا تشركوا به شيئا .
١١ ـ ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من .
١٢ ـ دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا (مسلمون) التوقيع (محمد رسول الله) .



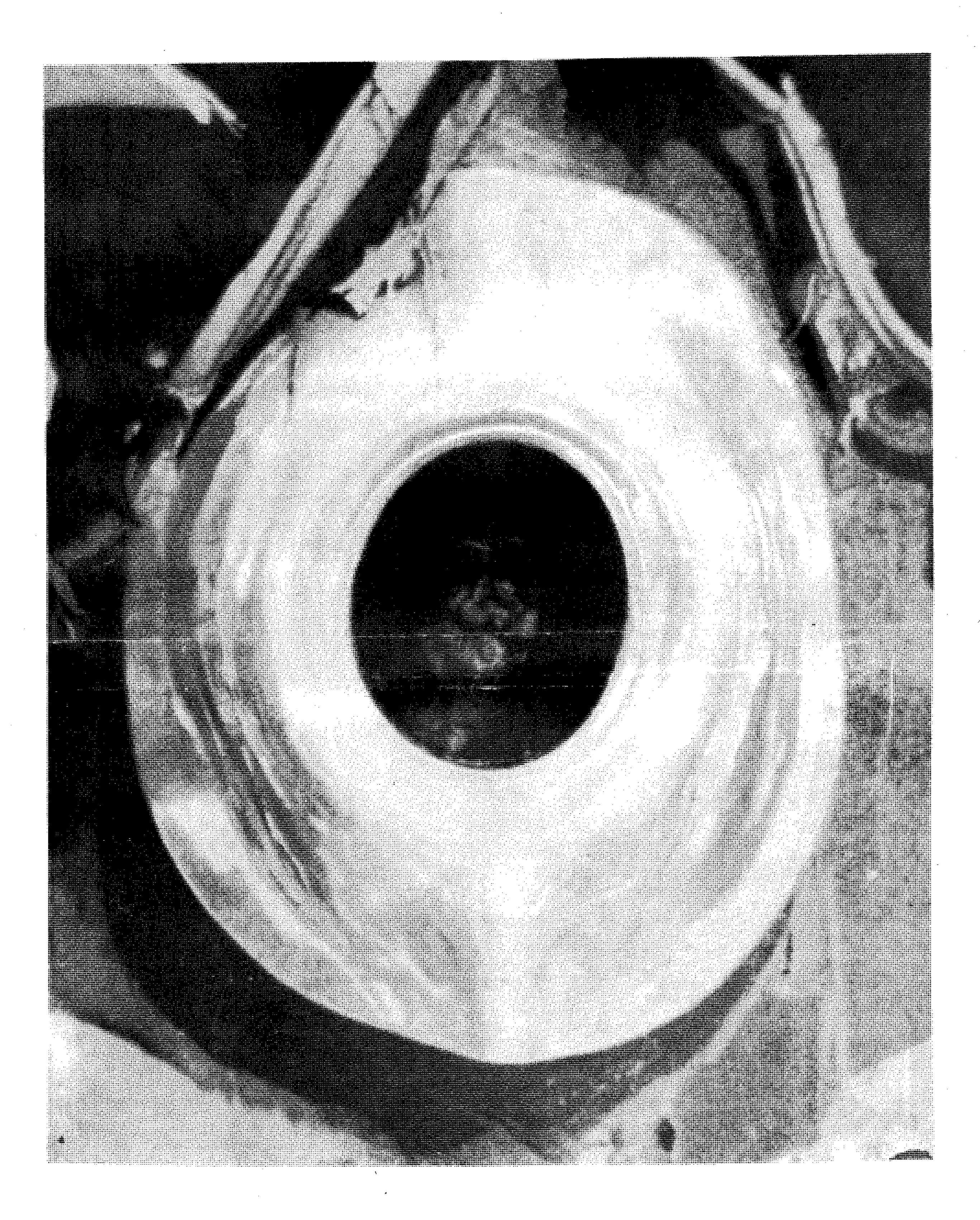
صورة ـ الكعبة المشرفة (بيت الله الحرام) بمكة المكرمة .

كان يأتيها العرب من كل فج لتحريم القتال فيه . قال زيد بن اسلم :

مكة اسم الكعبة والمسجد ولها عدة اسماء فهي ام القرى كما سماها الله تعالى في قوله «لتنذر ام القرى ومن حولها» وهي البلد الامين .

موسم الحج

كانت تفد على مكة في المواسم من مختلف انحاء الجزيرة مختلف الطبقات والشخصيات للاتصال بالنبي (ص) فكان يتحدث اليهم ويتلو عليهم آيات القرآن الكريم ويتفاهم معهم بلغته التي هي اللغة القرآنية . ومن المتواتر ان مواسم الحج واسواقه قبل البعثة كان يأيتها العرب من انحاء بعيدة من كل فج عميق ومنهم نصارى العرب من تغلب واياد وغسان وكلب وغيرهم من خارج الجزيرة ايضا . فضلا عن وفود المشركين من المجوس الذين كانوا يغدون على النبي في المدينة المنورة بعد الهجرة ولاسيما بعد انتصاراته وانتشار اسمه وكلمته في اليمن ونجد والاحساء والبحرين والعراق والشام وفلسطين وحضرموت . فكان صلوات الله عليه يتلو عليهم القرآن ويتخاطب معهم هو واصحابه الحجازيون بلغتهم التي هي لغة قريش بصورة عادية وطبيعية وانه كان يرسل معهم قراء من كبار اصحابه الحجازيين ليعلموهم القرآن ويفقهوهم في الدين ويتولوا امر القضاء بينهم وجباية الزكاة منهم وانه كان يكتب لهم الرقاع والعهود والوصايا والتشريعات بنفس هذه اللغة والخط الذي كان يكتبه له كتابه الذين وصل عددهم الى (٤٣) رجلا وهو الخط المكي الذي كتب به الوحي للنبي عليه السلام .



الحجر الأسود في الكعبة المشرفة

أشرف عليه ونفذه ـ صبحي عباس الجبوري

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٤٥ لسنة ١٩٨٤

توزيع الدار الوطنية للتوزيع والنشر